

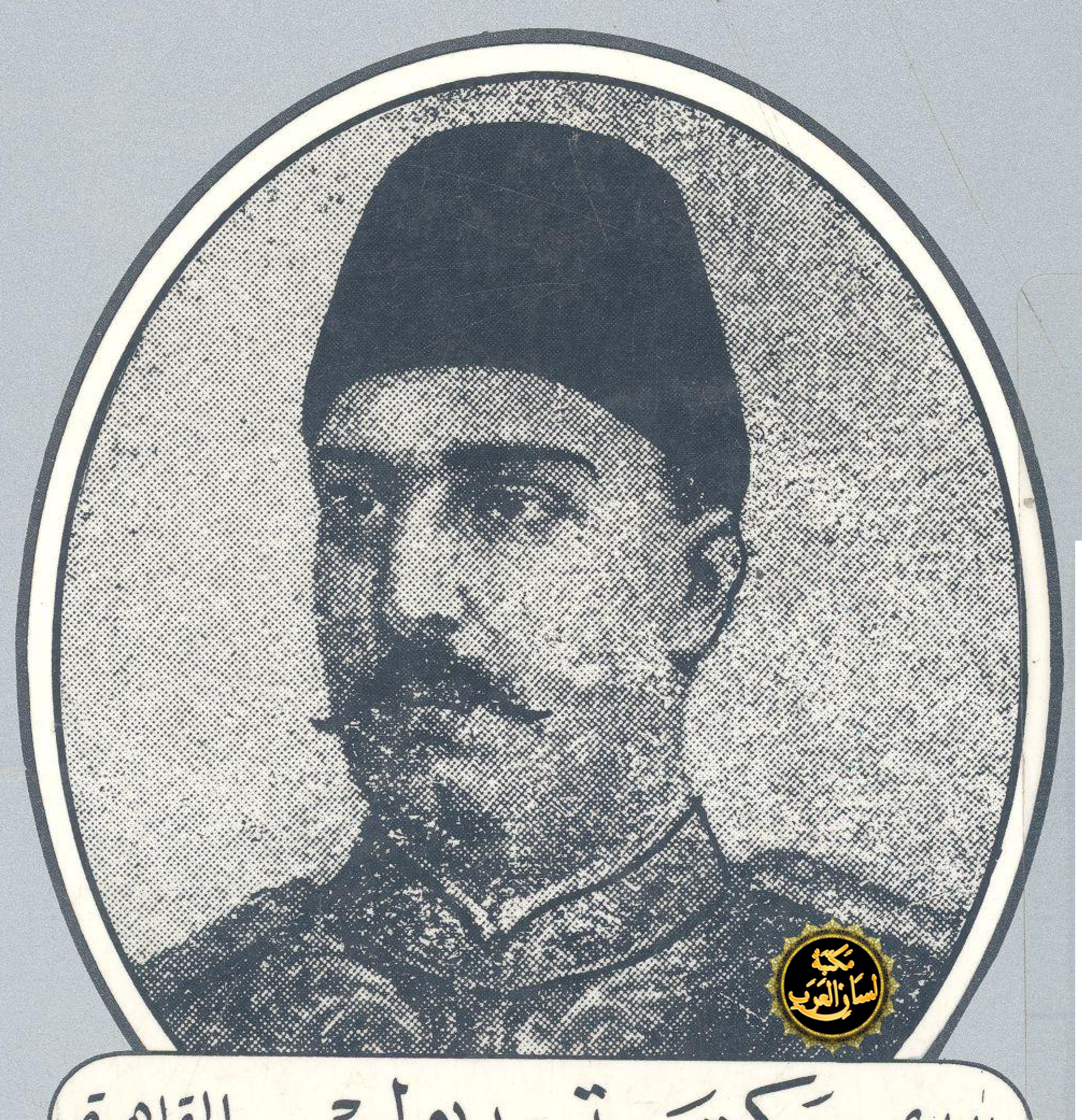


تاريخ الخديوي

محمّد باشا توفيق

تأليف

عزيز زند



الناشر: مكتبة مدبولي. القاهرة


مكتبة
لسان العرب

تاريخ الخديوي

محمد باشا توفيق





الناشـــر
مكتبة مدبولى
ميدان طلعت حرب بالقاهرة - ج م ع
تليفون ٧٥٦٤٢١

صفحات من تاريخ مصر

(١٥)

تاريخ الخديوي

محمد باشا توفيق

الفقير إليه تعالى

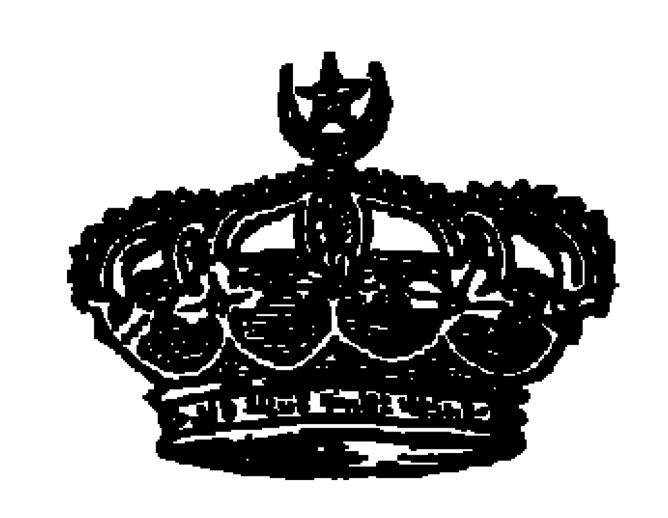
عزيز زند

مدير جريدة "المحروسة" ومحررها



مكتبة مدبولي

القاهرة



APERÇU

SUR LA VIE ET LA MORT

DE

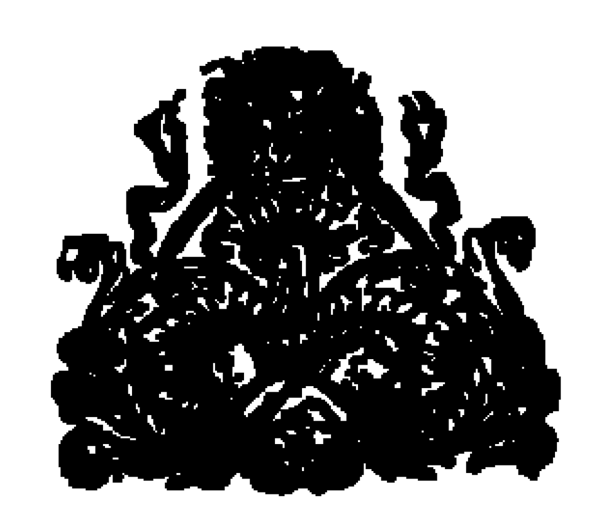
S. A. MÉHÉMET THEWFIK I

KHÉDIVE D'EGYPTE

PAR

AZIZ ZEIND

Directeur-Rédacteur du journal arabe "*Al-Mahroussa*"





المرءُ يمضي ويبقى رسمُ صورتهِ   عنوانَ تذكرةٍ من بعد رحلتهِ

فشاهدوها وقولوا « الله يرحمهُ »   جزآءَ احسانهِ في عهد دولتهِ

خطبة الكتاب

الحمد لله الذي استأثر بالبقآء لنفسهِ واختص بهِ ازلا . ورسم على صفحات الكائنات ان لكلّ بدايةٍ نهايةً وان لكلِّ حيٍ أجلا . وخلقَ الموتَ والحياة ليبلوالناس أيُّهم احسن عملا . فاذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعةً ولا يستقدمون * وفاوت بين الناس في الخَلق والخُلق والمطلب والمنصب حكمةً منهُ وعدلا . وساوى بينهم في الانتقال من دار الفنآء الى دار البقاء ليفصل بينهم فيما اختلفوا فيه قولاً وفعلا . وهو الذي يبدأُ الخلقَ ثم يعيدهُ وهواهون عليهِ وله المثل الاعلى . سبحانه من الهٍ لا تصوِّرهُ الاوهام ولا تحدق به العيون

اما بعد فان من الضروري الذي لا يحتاج الى بيان . ومن البديهي الذي لا يُسْنَدالى برهان . ان لا مفرّ من المنون ولا مناص . ولانجاة من المنيَّة ولا خلاص . بل كأسها دائماً دائر . بين الاصاغر والاكابر . ولو سكنوا القصور واحتاطت بها الجنود المجنَّدة . مصداقاً لقوله تعالى « اينما تكونوا يدركم الموت ولو كنتم في بروج مشيَّدة » . وقدانذر الله ان لا هرب من المنية ولا فوت . فقال جلّ شأنه « كلُّ نفسٍ ذائقة الموت » . فكم من جمعٍ مزّقته يدُ الشتات . وكم من طودٍ تزعزع بعد الثبات . وكم من حصنٍ نقوّض بنآؤهُ . وكم من حسنٍ تغيَّر بهآؤهُ ورواؤهُ . وكم وكم مماَّ لو نظر اليهِ المرء بعين الاعتبار . وسبر غوره بمسبار الاختبار . لشهد بلسان الحق اليقين . ان الموت محيط الدائرة بالعالمين . وميزان التسوية

بين الجليل والحقير · والكبير والصغير · والمالك والمملوك · والغني والصعلوك · فانظر ايها المعتبر بناظرة التبصر · وباصرة التفكر · الى الطريق الأمم · وحدث عن سالف الأمم · هل احد عداه الفناء · او تخطاه القضاء · اين ابو البشر آدم · اين حوآء أم العالم · اين ابراهيم اين موسى · اين داود اين عيسى · اين يوسف اين يعقوب · اين سليمان اين ايوب · اين نوح اين هود · اين عاد اين ثامود · اين جميع المرسلين · اين عموم النبيين؟

اين الذين ذلت لهم المشارق والمغارب · اين الذين تمتعوا باللذات والمآرب · اين الذين تاهوا على الخلق تكبرا وعتيا · اين الذين استلانوا الملابس أثاثا ورئيا · اين سابور اين بختنصر · اين كسرى اين قيصر · اين النعمان · اين خاقان · اين التبابعه اين العمالقة · اين العبابدة اين الزنادقة · اين من سلف من الملوك والامرآء · اين من سبق من الاقيال والوزرآء · اين من خلدوا الآثار المأثوره · وتركوا الاذكار المذكوره — اين من اوجد للحريـة شعارا · وشيد للمساواة اسوارا · ورفع للاخاء منارا * ومهد سبيل المعارف في ايامه · ووطد دعامة العدل في أحكامه · وأيد جانب الامن تحت ظلال اعلامه * ونشر للانسانية رايات · واثبت للمدنية آيات بينات · واستجمع هذه الصفات * من هو بجزيل المدح خليق · وبجميل الثناء حقيق

محمد باشا توفيق

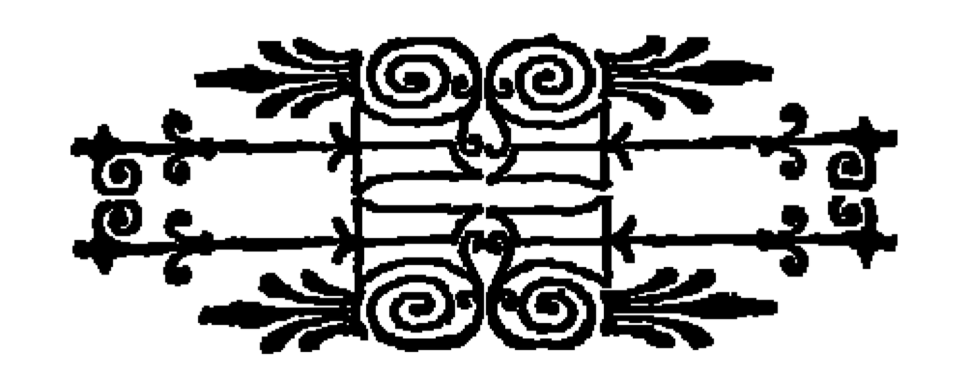
فقيدنا الذي قضى وأأسفاه · وعزيزنا الذي مضى والهفاه · رحل فجرحت الدموع المحاجر على رحيله · وبلغت القلوب الحناجر على بعد مقيله

وتأثرت النفوس وانقطعت الانفاس · واتفقت على عظم المصيبة فيه جميع الناس · على اختلاف المذاهب وتباين الاجناس

ولكن ليت شعري ماذا يستفيد الفقيد من البكاء والعويل · والحزن الطويل · أجل لا يفيده الاّ الذكر الجميل · والأثر الجليل · والاجر الجزيل · فها نحن نطلب له غفرانا · على ما والانا به واولانا · ونرسم له على بياض الاوراق اثرًا مشهودا · كما رسمناه على صفحات القلوب ذكرًا محمودا

ولما كان التاريخ مرآةً تنطبع فيها تماثيل الاعمال · وتنجلي بها احوال الرجال · وبه يُعرف سِيَرُ مَن مضى · وتُعلم سِيَرُ مَن انقضى · رايت ان اجمع هذا الكتاب · واودع فيه كلَّ مستطاب · من سيرة المغفور له ساكن الجنان فقيدنا العزيز مبتدئاً بذكر اسباب مرضه ووفاته واثبات تقريرَي الاطباء بشأن ذلك فاقوال الجرائد المحلية بين عربية وافرنكية فاقوال الجرائد الاجنبية فمراثي الشعراء والفضلاء فترجمة الفقيد فمناقبه وبالله الاستعانة وهو وليُّ التوفيق

﴿ عزيز زند ﴾



اسباب وفاة الخديوي المغفور له

محمد توفيق باشا

قد رأينا ان نذكر هنا اسباب وفاة الفقيد العزيز مأخوذةً عن اصحّ المصادر واصدق الروايات ونثبت ايضًا تقريرَي الاطباء بشأنها تعميمًا للفائدة — فنقول

كان الجناب الخديوي المغفور له محمد توفيق باشا قويَّ البنية سليم الجسم شديد الحرص على رعاية صحتهِ لعلمهِ — رحمهُ الله — ان صيانة الصحة من اهم الامور الواجب المحافظة عليها خصوصاً عند كثيري الاشتغال بالمسائل العقلية والشؤون الفكريه· وكانت ظواهر حالتهِ الصحيه تدلُّ على انهُ من طويلي الحياة وكثيري الاعمار نظرًا لقوَّة بنيتهِ ورعايتهِ لشؤون صحتهِ

وقد خرج — رحمة الله عليه — من قصرهِ الخديوي الكائن بمدينة حلوان وذلك بعد ظهر يوم الخميس ختام عام ١٨٩١ (غاية جمادى الاولى عام ١٣٠٩) وتجوَّل خارج المدينة ترويحاً للنفس وتنزيهاً للفكر من عناء الاشتغال · وكانت صحتهُ على غاية ما يرام من تمام السلامه وكمال العافيه· ثم عاد عند الغروب الى قصره المشار اليه وبعد وصوله بمدة يسيرة شعر ببردٍ خفيف خلافاً للعادة. فلم يعبأ به بادئ بدء الى ان احسَّ باشتداد البرد

اكثر مما كان يشعر به قبلاً فشرح الحالة الى الاطباء فوصفوا له العلاج اللازم بحسب مقتضيات الحالة واشاروا عليه بالبقاء في القصر الخديوي تحرُّزًا

وفي يوم الاثنين الواقع في ٤ يناير سنة ١٨٩٢ (٤ جمادى الثانية سنة ١٣٠٩) زال عن الامير المشار اليه ما كان ممَّا بمزاجه الشريف من الانحراف الخفيف وعادت اليه العافية التامة فاراد ان يبارح القصر الخديوي ويتنزَّه قليلاً خارج ذلك القصر فاشارت عليه الاطباء بالعدول عن العزم وملازمة القصر يوماً او يومين رغبةً في زيادة التحفظ والتحرُّز فامتثل رحمه الله الى هذا الرأْي لما راى فيه من الاصابة والاصالة

وفي يوم الثلاثاء ٥ يناير (الموافق ٥ جمادى الثانية) عاد الامير فشعر بشيء خفيف مما كان يشعر به من الالم قبل اليوم البارح فكاشف الاطباء بالامر فعالجوه بالوسائل الطبية ولكن ذلك لم يمنع اشتداد انتكاس الداء فقضي الامير ليلة الاربعاء على طُولها الشتائي وطَولها المرضي واصبح النهار وهو يشعر بزيادة الأَلم واشتداد وطأَة المرض عليه فاجتهد الاطباء في تخفيف الآلام ومداواة الداء ولكن على غير جدوى . وفي اوائل ليلة الخميس كانت حالة الامير قد زادت اضطراباً وارتباكاً رغماً عن الوسائل التي اتخذها الاطباء . وبعد منتصف تلك الليلة بقليل دعت الحالة الى تشكيل لجنة طبية استشارية فدُعي كلٌّ من الدكتور كومانوس والدكتور هيس لقيامها من مصر الى حلوان على جناح السرعة فسار بها قطارٌ خصوصيٌّ عند الساعة الرابعة (على حساب الميقات الافرنكي) من بعد منتصف تلك الليلة فشاهدا الامير في حالة اضطراب شديدة وهو يشكو

ويتألم من صعوبة التنفس فهالهما هذا الامر واندهشا من بلوغ الشدّة الى تلك الدرجة ثم اسرعا بوصف العلاج الذي اقتضته حالة المرض وعادا الى مصر بعد ان مكثا برهةً بجانب الامير · وعند الساعة الاولى من بعد ظهر يوم الخميس المذكور عاد الطبيبان الموما اليهما الى حلوان فعاينا ان حالة الامير زادت عن قبل تقدماً الى جهة الخطر بما قطع آمالهما من الشفاء · على ان ذلك لم يمنعهما عن متابعة المعالجة ولكن واأسفاه على غير فائدة الى ان كانت الساعة ٧ والدقيقة ١٧ (على حساب الميقات الافرنكي) او الساعة ١ والدقيقة ٥٦ (على حساب الميقات العربي) من مساء يوم الخميس ٧ يناير سنة ١٨٩٢ (الموافق ٧ جمادى الثانية سنة ١٣٠٩) وحينئذ انقضى الامر وانطفأ نور حياة الامير بخروج السرّ الالهي فصعدت روحه الطاهرة الى الله ذي الجلال والكمال راضيةً مرضيةً بما وفّقها الله سبحانه وتعالى الى اتيانه من البر والاحسان وارشدها الي عمله من الخير والمعروف

وما فارقت روح الفقيد جسده حتى قامت قيامة الاحزان وثارت ثورة الاشجان داخل القصر الخديوي الذي كان فيهِ عدد غير قليل من كبار القوم ذوي المراتب السامية والمناصب العالية نذكر منهم حضرة دولتلو البرنس حسين باشا كامل شقيق الفقيد العزيز وحضرات النظار الكرام وفي مقدمتهم رئيسهم عطوفتلو مصطفى باشا فهمي وكلاً من الماركيز دو ريفرسو قنصل جنرال دولة فرنسا ووكيلها السياسي والسير افلن بارنج قنصل جنرال دولة انكلترا ووكيلها السياسي وغيرهم فأدهشهم المصاب واثر في نفوسهم تاثيرًا مبرِّحاً ولا سيما دولتلو البرنس حسين باشا فان تباريح الأسى قد

فعلت به فعلاً أليماً جدًّا خصوصاً ان دولته كان ـ قبل اشتداد الخطر على الفقيد ـ مصاباً بمرض « الانفلوينزا » وكان لم يُشْفَ منه تمام الشفآء

اما مؤثرات الحزن التي استولت على ربة العصمة والعفاف الحرم المصون والكريمتين الكريمتين فلا نتكلم عنها لا كثيرًا ولا يسيرًا بل نترك ادراك عظم ذلك التأثير الى حكمة القاري

وقد اجتمع مجلس النظـار على اثر حصول المصاب ووقوع الخطب وارسل نعي الفقيد بالتلغراف الى سمو الامير عباس باشا خديوينا الحالي (اطال الله بقاءه وأمدَّ ايامه) في مدينة فينَّا (عاصمة بلاد النمسا) والى جلالة سيدنا ومولانا السلطان الاعظم ثم الى جميع مديريات ومحافظات القطر المصري وقرّر بعد ذلك كيفية السير في تشييع الجنازة· وما لبث الخبر ان انتشر بالتلغرافات في جميع عواصم الممالك ومدنها الشهيره فكان له وقع مؤثر في نفوس الكبرآء والعظمآء من ملوك وامرآء ووزرآء وسفرآء وغيرهم كما ايّدت ذلك الانبآء البرقية التي وردت علينا متواليةً متتابعةً على اثر حلول الخطب المفجع وحصول الكرب المصدع

وما ذاع خبر المصاب في داخلية البلاد حتى توالى وفود الوفود من كل صوب وناحية من انحاء الوجهين البحري والقبلي وحتى غصت بهم مدينة حلوان وعاصمة القطر وكلهم بين مسلوب قلب وفاقد لب من عظم هول الحادث الفجائي

وما صبح صباح يوم الجمعة الواقع في ٨ يناير حتى أُطلقت المدافع من قلاع العاصمة وحصونها على طريقة مؤثرة تزيد نار الاسى اشتعالاً واضطراماً

اذ كان بين كل طلقة وأُخرى بضع دقائق كما هي العادة المتبعة في إعلام الناس بحلول خطب جلل. واستمرَّ اطلاق المدافع من الصباح الى الساعة ١١ قبل الظهر وكانت اعلام القنصليات منكسة والجامع والاماكن العمومية مقفولة والبورصات والمحال التجارية خالية من الاعمال والعمال وغراب الحزن ينعب في كل نادٍ ومنتدى بما يزيد الاشجان هيجاناً في قلوب الجميع

اما رؤساء الجيش المصري وجيش الاحتلال وقوّاد الشرطه فكانوا منذ الصباح مشتغلين باتخاذ وسائل التأهب المسير في تشييع الجنازة على النمط الذي قرَّرهُ مجلس النظار في ليلة ذلك اليوم وهو مبيَّنٌ بشرحٍ وافٍ وبيانٍ كافٍ في اقوال الجرائد المثبتة في بابها

وبعد وقوع هذا المصاب الأليم بقليل زمن أَخذ الناس يتحدَّثون في اسباب الوفاة ويذهبون بشأنها مذاهب مختلفة وانبرى كثيرون منهم يخطِّئون الاطباء الذين كانوا متولين معالجة الفقيد رحمة الله عليه ويسلقونهم بأَلسنة حداد وينسبونهم تارةً الى القصور وطوراً الى التقصير ومرةً الى غير ذلك مما افسح مجالاً واسعاً لتضارب الظنون واوسع مقاماً فسيحاً لتباين التخامين حتى اتصلت الاشاعات بكبار رجال الحكومة السنية فارادوا وضع حدٍ محدود لما كان كثير التداول على السنة الناس بمعرفة اسباب الوفاة فقرر مجلس النظار في جلسة يوم الاثنين الواقع في ١١ يناير سنة ١٨٩٢ تشكيل لجنة طبية لتحقيق اسباب الوفاة برئاسة سعادتلو روجرس باشا وعضوية كل من سعادتلو ابرهيم باشا حسن وعزتلو محمد دري بك واثنين من الاجانب وهما الدكتور بينيه والدكتور ويلد. وقد اظهرت الجرائد

المصرية عموماً ارتياحاً زائداً الى قرار مجلس النظار المشار اليه وقالت عند اظهار استحسانها له ان مجلس النظار قد اصاب في تشكيل هذه اللجنة لانه ان لم تطالب الحكومة اجراء تحقيق اسباب الوفاة طلبته الامة وان لم تطلبه الامة طلبته الدولة العلية وان لم تطلبه هذه طلبته كل دولة لها شان في مصر

وقد طلب مجلس النظار على اثر صدور القرار المشار اليه الى كلٍّ من الدكتور كومانوس والدكتور هيس ان يقدّما تقريرًا بما عايناه اثناء مرض الفقيد فحررا التقرير الآتي تعريبه وهو

بناء على طلب عطوفتكم منا ان نوضح راينا في مرض الحضرة الفخيمة الخديوية ووفاتها نتشرف بان نعرض لعطوفتكم ما ياتي .

يوم الخميس في ٧ يناير الجاري الساعة الرابعة صباحاً استدعينا في قطار مخصوص لمشورة طبية بين يدي سموه في حلوان فوصلنا الى هناك الساعة الخامسة ونصفاً صباحاً فاستقبلنا سعادة الدكتور سالم باشا طبيب سموه الخاص واوضح لنا بكلام وجيز ان سموهُ أُصيب منذ ثمانية ايام بالنزلة الوافدة وكان سيرها الى مساء تلك الليلة طبيعياً وانما في الليلة البارحة كانت الحمى قد ازدادت فبات سموه ارقاً يشكو من ثقل في التنفس مع ألم في الجانب الايسر وانه حُقن بالمورفين لتسكين الالم

و بعد هذا الايضاح دخلنا الى مخدع المريض فدُهشنا عند رؤية سموه في حاله تنذر بالخطر وهيئته العمومية متغيرة ولونه اصفر وعيناه ذابلتان وجنابه متكئ في سريره على ذراعي خادمين وعسر التنفس ظاهر جلياً عليه . ولم يكن يدرك تمام الادراك لما هو حوله وكان يشكو خصوصاً من عدم رؤية النور . فوجدنا درجة الحرارة ٤٠ والنبض زائد السرعة شديد الضعف يبطل بسهولة . ثم بحثنا في الجسد فوجدنا كمية غير قليلة من الارتشاح الشعبي الرئوي من الرئة اليسرى وخراخر شعبية في الرئة اليمنى . ومع ان هذه الحالة الرئوية ثقيلة الا انها هي لا توجب الاعراض الدماغية التي كانت ظاهرة حينئذ فلذلك

وجهنا انتباهنا الى اعضاء اخرى وخصوصاً الى حالة الكليتين فسالنا الطبيبين اللذين كانا يتوليان المعالجة عن صفة البول فقيل لنا انه لم يكن فيه شيء غير طبيعي

ولما انتهينا من البحث على ما تقدم وصفنا علاجاً شديداً ومناسباً لتشخيصنا وذهبنا الى القاهرة للاهتمام بمرضانا ثم العودة الى ما بين يدي سموه . فلما رجعنا الى حلوان نحو الساعة الاولى بعد الظهر شقّ علينا جداً اننا وجدنا حالة سموه قد صارت اردأ وان اعراض جانب الصدر قد اشتدت ولم يقتصر الامر على ذلك بل ان الاعراض الدماغية بلغت درجة اليأس فاتضح لنا جلياً من هذه الاعراض الاخيرة تسمم الدم بواسطة البول واضطررنا حينئذ ان نصرّ على رؤية البول . وعند ذلك قيل لنا ان سموه لم يبلّ منذ السهرة فادخلنا المجس حينئذ واستخرجنا بواسطة القساطير كمية من البول الاسمر الداكن وتبين بعد تحليله تحليلاً كيماوياً ان فيه كثيرًا من الالبومين (الزلال)

فاثبت لنا ذلك طبيعة المرض بوجه اكيد وهي ان سموه اصيب على اثر النزلة الوافدة بذات رئة معدية مختلطة بالتهاب الكليتين كذلك وانه في مثل تلك الحال لم يبقَ امل بالشفاء . غير ان ذلك لم يمنعنا من استعمال انفع وافضل الوسائط التي هدانا العلم اليها ولكنها ذهبت سدًى واأسفاه

وقد شاهدنا بالاسف الشديد الوفاة التي نتجت عن ذلك في الساعة السابعة وربع من المساء هذا ولنا الشرف ان نكون لعطوفتكم الخادمين الامينين

الدكتور كومانوس الدكتور هيس

صح — لما كنت ذاهباً من حلوان نحو الساعة الثامنة صباحاً رغبت الى سعادة الدكتور سالم باشا ان يتكرّم باخبار عطوفتلو رئيس مجلس النظار ودولتلو البرنس حسين باشا بالحالة الخطرة التي كان سمو الخديوي فيها الدكتور

كومانوس

وقد طلب ايضاً مجلس النظار الى كل من الدكتور سالم باشا سالم والدكتور عيسى باشا حمدي ان يقدِّما تقريرًا بالشان المتقدم ذكره فلم يشأ سعادتلو سالم باشا ان يشاركه في تحرير تقريره مشاركٌ لاسباب لا يعلمها الا الله والراسخون في العلم وبعد يومين قدم سعادته التقرير الآتي نصه

في يوم الجمعة اوّل يناير سنة ١٨٩٢ الموافق غرة جمادى الاخرى سنة ١٣٠٩ كنتُ بمصر حسب التصريح الصادر لي بذلك فبلغني من الخارج ان الجناب العالي الخديوي لم يؤدِّ صلاة الجمعة بمسجد حلوان حسب عادته الشريفة فتوجهتُ الى حلوان فورًا لعيادة جنابه حسب العادة فوجدتهُ داخل السراي منحرف الصحة وقد تعاطى شربة من المياه المعدنية صباحًا قبل وصولي . و بالبحث وجدت ان الحرارة ارتفعت اذ ذاك الى ٣٧٫١ درجة مع سعال خفيف وسرعة خفيفة في النبض واخبرني جنابه العالي انه شاعر بانحراف في صحته منذ يومين . و بالقرع والسمع على الصدر لم يوجد غير خراخر شعبية خفيفة وتلك الاعراض هي اعراض النزله الوافدة فاشرت لجنابه العالي بتعاطي علاجٍ معرق خفيف وهو منقوع زهر البنفسج والتدثر جيدًا مع الحمية والتزمت ان ابيت بحلوان في اللوكندة تحت الطلب

وفي صباح يوم السبت (٢ يناير) عدت جنابه الفخيم و بحثت عن حالتهِ فوجدت ان الحرارة تزايدت يسيرًا فبلغت نحو ٣٧٫١ و بعض خطوط فرتبت لجنابه العالي العلاج المعتاد ان اعطيه في هذا المرض وهو الكينين بصفة برشان مع جرعة من بيكربونات الصودا والمانيزا السائلة . ثم وجدت الحرارة وقت عيادته في المساء نحو ٣٨ درجة و بعض خطوط فاشرت بالاستمرار على ذلك العلاج

وفي صباح يوم الاحد (٣ منهُ) الساعة الثامنة افرنكي عدت جنابهُ الفخيم فوجدتهُ مستريحًا بالنسبة الى ما كان في اليوم الماضي والحرارة ٣٧٫١ درجة والسعال على حالته فوصفت الكينين في برشان مثل اليوم السابق و بدل الجرعة وصفت استعمال ماء و يشي مع اللبن وشراب الكودايين وهذه المعالجة هي عين المعالجة التي عولج بها منذ نحو سنتين حين أُصيب جنابهُ العالي بالنزلة الوافدة عينها

وفي صباح يوم الاثنين (٤ منه) انحطت الاعراض بالكلية تقريبًا وهبطت درجة الحرارة الى ٣٧ وتناقص السعال ايضًا حتى ان جنابه الفخيم كان قد عزم على الخروج في هذا اليوم فاشرت عليه بالاعتكاف تحفظًا وتجنبًا لحصول نكسة مع الاستمرار على تعاطي ماء و يشي واللبن وشراب الكودايين

وفي صباح يوم الثلاثاء (٥ منهُ) الساعة ٨ افرنكي وجدت حين عيادتي لجنابه العالي ان الحرارة عادت فبلغت ٣٨٫١ مع فتور في الجسم واما السعال فلم يزدد بل بقي على حاله .

و بالبحث على العلامات الطبيعية بالقرع والسمع لم يوجد الا بعض الخراخر الشعبية فتحقق لي حصول ثوران ثان اعني ابتداء نكسة فرتبت لجنابه العلاج الابتدائي اعني استعمال الكينين ثانياً مع ماء ويشي وشراب الكوداېين واللبن والحمية القوية اي تعاطي الامراق والالبان فقط · وفي مساء هذا اليوم ازدادت الحرارة ثانيةً وذلك في الساعة الثالثة افرنكي بعد الظهر حتى بلغت ١٠/١ ٣٨ و بعض خطوط واستمرت المعالجة السابق ذكرها

وفي صباح يوم الاربعاء (٦ منهُ) عدت جنابهُ كالعادة فوجدت حالته مثل ما كانت في صباح يوم الثلاثاء ودرجة حرارته ١٠/١ ٣٧ ومعه امساك وآلام في الراس فامرت باستعمال ورقتين من ملح السدلس و بعد تاثيره يستمر على المعالجه السابقة

وفي مساء يوم الاربعاء المذكور الساعة السادسة افرنكي اي بعد الغروب بنصف ساعة تقريباً عدت جنابه الفخيم فاخبرني ان السدلس سهل معه اربع مرات وانه داوم على المعالجة وان الم الراس زال تقريباً ·وكان جنابه يخاطبني وقتئذ وهو مضطجع على سريره متمتعاً بجميع قواهُ العقلية وبالبحث بالقرع والسمع وجدت بعض خراخر شعبية واما التنفس الرئوي فكان على حالته الطبيعية من امام الصدر والخلف بلا ادنى اهمية ولا الام ووجدت درجة الحرارة مرتفعة عما كانت صباحاً اي انها بلغت ١٠/١ ٣٨ درجة و بعض خطوط واما السعال فكان كما كان فاشرت على جنابه بالاستمرار على المعالجة السابقه

ثم انه في اليوم عينه الساعة الثامنة افرنكي مساءً عدت لاخبر اغا الحرم النوبتجي اني سابيت بمنزل ولدي بحلوان وليس باللوكاندة مثل الليالي السابقة ليكون ذلك معلوماً وكذا لعيادة جنابه الفخيم فدخل الاغا ثم عاد بعد برهة وقال لي ان جنابه دخل الفراش للنوم وهو مستريح ولا لزوم لدخولي الان الى جنابـه فتوجهت الى منزل ولدي في الجهة الشرقية في حلوان و بقيت هناك تحت الطلب· وفي الساعة الرابعة تقريباً بعد نصف الليل اتاني احد الجاويشية المراسلة يدعوني الى السراي حسب الامر فلما اتيت باب السراي أُمرت بالانتظار بواسطة اغا الحريم النوبتجي فمكثت مع حضرة علي بك اجزاجي باشا في اودتو · فانتظرت ساعة تقريباً ولما استفهمت عن سبب استحضاري أُخبرت ان صحة الجناب العالي متغيرة جداً وقيل لي انـه قد ارسل قطار مخصوص لاستحضار كل من الطبيبين الدكتور كومانوس والدكتور هيس من المحروسة · وعند الساعة الخامسة افرنكي تقريباً وقبيل حضور الطبيبين المذكورين امرت بالدخول لمعاينة حال الجناب العالي . فاندهشت عند

رؤية سيدي وولي نعمتي من الحالة التي وجدته فيها حيث ظهر لي بالبحث انـه في حالة تخدر زائد وضيق في التنفس وانحطاط كلي في القوى وخراخر صدرية وكانت الحرارة تبلغ ٤٠ درجة · فاستفهمت من سعادة عيسى باشا الذي كان مقيماً عند جنابه في هذا الوقت وكان يعالجه بمعرفته فاخبرني انـه استعمل له الحقن تحت الجلد بالمورفين لاجل تسكين الالم الجنبي وان هذه الحالة طرأت في الساعة التاسعة افرنكي بعد الظهر وانـه اجرى جميع ما في جهده من المعالجات والمسكنات وغيرها · فسالته عند ذلك عن حالة البول فاخبرني انه ليس هناك شيء مخالف وقيل لي من داخل السراي انه لما ثقلت الحالة واشتد الامر اقتضت الحال طلبي مع الطبيبين المذكورين آنفاً

وحيث كان قد تحقق لي بالبحث طروء مضاعفة شديدة خطرة لحالة المرض وهي الالتهاب الشعبي الرئوي سيما في الجهة اليسرى اتفقت مع سعادة عيسى باشا بالاسراع اولاً في الحجامة الجافة على قاعدة الصدر مع استعمال الادوية المقوية للقلب وبالفعل شرع في اجراء الحجامة بيده في حضوري · وفي تلك الاثناء حضر الدكتور هيس والدكتور كومانوس بعد دخولي بنحو ثلث ساعة · ثم بحثنا عن الحالة بعد ان اخبرتهما عن سير المرض وبعد ذلك انتقلنا نحن الاربعة الى اودة اخرى لاجل التروي واعطاء القرار اللازم وقد اخبرتهم بسير المرض وما اجريته من المعالجة من ابتداء حدوثـه الى غاية الساعة السادسة افرنكي من الليلة التي كنا فيها واخبرتهما ايضاً بحضور عيسى باشا بما كان قد اخبرني بـه من المعالجات واستعمال المسكنات التي اجراها هو من وقت طروء هذه المضاعفة الخطرة من ابتداء الساعة التاسعة افرنكي مساء · وحينئذ قر راينا جميعاً على تشخيص الالتهاب الشعبي الرئوي خصوصاً في الجهة اليسرى كما كنا قد شخصنا من قبل مع ارتفاع زائد في درجة الحرارة وانحطاط في قوى القلب وان هذه الحالة خطرة وتحتاج الى اجراء معالجة محولة على الصدر بالحجامة الجافة القوية بواسطة احد المتمرنين في ذلك وهو المسيو موللر وباستعمال الكافيين بصفة جرعة من الباطن لتقوية ضربات القلب مع وضع حراقـة عريضة على الجهة الخلفية اليسرى من الصدر ولما عرضت على المجلس الطبي (القنسلتو) الذي كنا فية استعمال بيكلورور الكينين بصفة حقن تحت الجلد ترجح استعمال الكافيين والحراقة على الصدر وقد كان واستحضرت جرعة الكافيين واستعملت مع بعض المنبهات الاخرى كالاثير بالحقن تحت الجلد ووضعت حراقة عريضة على الصدر من الجهة اليسرى الخلفية

وتقرر ايضاً الاخبار رسمياً بحالة الخطر في هذا الوقت واعادة المجلس الطبي ثانياً وقت الظهر بعد احضار المسيو موللر الى حلوان واجراء الحجامة الجافة بالطريقة التي تقررت ولازمت جنابه العالي مع سعادة عيسى باشا لتنفيذ قرار المجلس الطبي وترك الدكتور هيس والدكتور كومانوس السراي للتوجه الى القاهرة · وحضر المسيو موللر الساعة الحاديه عشرة افرنكي تقريباً واجرى الحجامة الجافة من امام الصدر وخلفه وجانبه من الجهة اليسرى بكل قوة ودقة · وعند الظهر فقد الجناب الخديوي الوجدان تقريباً وكان ذلك قد ابتدا فيه تدريجاً من صباح يوم الخميس قبل انعقاد المجلس الطبي الاول بل وقبل دخولي عند الجناب العالي وفي الساعة الاولى تقريباً بعد الظهر من يوم الخميس المذكور حضر حضرة الدكتور كومانوس والدكتور هيس وبحثنا جميعاً عن الحالة ثانية فرأينا انها لم تزل متزايدة في الخطر واتضحت لنا اعراض التسمم البولي فبحثنا حينئذ بالدقة عن حالة المثانة والمجاري البولية فوجدنا ان البول محتبس وبوضع القساطير المرنة في قناة مجرى البول وجد ان الغدة التي امام المثانة (وهي المسماة بالبروستاتا) وارمة ورماً زائداً ولم يمكن دخول تلك القساطير المرنة فاستحضرت قساطير فضة خصوصية واستخرجت كمية من البول الاحمر الداكن بزيادة عن الحالة العادية وكان ذلك الساعة الثانية ونصفاً بعد الظهر · وحينئذ اتضح لنا ان البروستاتا كانت مريضة من مدة ولم اعلم بذلك الى ذلك الوقت ولابما كان جارياً في شانها من المعالجة اوعدمها ولا بد ان الكليتين والمثانة كانت في حالة التهاب · وفي ذلك الوقت عرضت هذا الامر على اعتاب دولتلو عصمتلو ولية النعم · ثم كشفنا عن حالة البول لنعلم هل به زلال ام لا فاتضح اخيراً ان به زلالاً وعند ذلك قررنا جميعاً رفع الحراقة واستعمال الكافيين حقناً تحت الجلد وكذا الاثير والكينين والمنعشات الالكولية والمسهلات الشديدة والثلج على الراس لمقاومة التسمم البولي واحداث التحويل على القناة المعوية وتقوية القلب · وفي هذه الجلسة تقرر الحقن بيبكلورور الكينين الذي كنت قد عرضته على الجلسة السابقة · وفي الساعة الخامسة تقريباً حضر حضرة الدكتور ويلد والدكتور امبرون والدكتور بينيه علاوة على اعضاء المجلس السابق ذكرهُ وذلك بامر مجلس النظار فقرروا الاستمرار على المعالجة وداومنا عليها الى آخر الوقت · ومع ذلك فلم تفد هذه المعالجات شيئاً حتى نفذ امر الله وكان امر الله قدراً مقدوراً

خلاصة

يتضح من تلاوة هذا التقرير . اولاً ان المغفور له مولانا الخديوي كان مصاباً بالنزلة الوافدة (الانفلينزا)

ثانياً . ان هذا المرض سار سيرهُ الاعتيادي الطبيعي من ابتداء ظهوره الى غاية الساعة السادسة افرنكي بعد الظهر من يوم الاربعاء في ٦ يناير سنة ٩٢

ثالثاً . ان الحالة الخطرة طرأت من ابتداء الساعة التاسعة افرنكي بعد الظهر من يوم الاربعاء المذكور كما اخبرنا بذلك سعادة عيسى باشا

رابعاً . انه في فجر يوم الخميس عند دخولي لمشاهدة الحالة المضطربة التي قد طرأت على الحضرة الفخيمة الخديوية شخصتها مع سعادة عيسى باشا بانها حالة التهاب شعبيّ رئوي وقد صادق على ذلك نفس المجلس الذي اجتمع بعد ذلك بثلث ساعة تقريباً

خامساً . وقت انعقاد المجلس الثاني في الساعة الاولى بعد الظهر من يوم الخميس اتضح لنا جميعاً انهُ كان هناك مرض في المجاري البولية والبروستاتا والكليتين وكان هذا غير معلوم عندي مطلقاً من قبل بل أُخفي عني

سادساً على رأيي ان المضاعفة الخطرة التي كثيرًا ما تطرأ في اثناء سير مرض الانفلينزا قد ساعد على اشتدادها مرض المجاري البولية والبروستاتا . انتهى

اما سعادتلو عيسى باشا حمدي فلم يقدم تقريره لمجلس النظار فاتخذ الناس امتناعه عن تقديم تقريره ذريعة الى التعنيف ووسيلة الى التنديد كما نطق بذلك لسان الجرائد المحلية على اختلاف نزعاتها . اما نحن فلا نبدي من عند انفسنا رأياً من الآراء لا في التصويب ولا في التخطئة بل نترك ذلك الى حكمة الاطباء والواقفين على دخائل الشؤون وحقائق الامور فهم ادرى منا وأولى بمثل هذا الحكم

اقوال الجرايد المصريه

﴿ جرائد عربية ﴾

قالت جريدة «المحروسة» بلسان العاجز مؤلف هذا الكتاب
وذلك بعددها الصادر في ٨ يناير سنة ١٨٩٢

خطب جلل

ننعي الى الفضل وآله · والنبل ورجاله · والحكم ونصرائه · والحزم وظهرائه · والجلال وذويه · والكمال وبنيه · فقد المولى الكبير · والامير الخطير · رافع لواء الانصاف · ومبدِّد غيهب الاعتساف · صاحب الايادي البيضاء والمآثر الغراء · سيدنا ومولانا على التحقيق

محمد باشا توفيق

أُصيب — رحمة الله عليهِ — بداء عياء · لم ينجع فيهِ دواء · ولم تنجح في شفائهِ الاطباء · فتوفاهُ الله عند الساعة ٧ والدقية ١٧ من بعد ظهر امس في مدينة حلوان · فثارت الاشجان · وسادت الاحزان · وعمت الشكوى · وطمت البلوى · وصرنا لانرى إلا دموعاً مستبقه · وقلوباً محترقه · وصدورًا منطبقه · ورؤوساً قلقه · فيا لله

وكيف لا تدمي العيون · وتتقرح الجفون · من هذا الخطب العظيم · والكرب العميم · وكيف لا تتمزق الضلوع · ويتتنع المجوع · من هذا الهول الجسيم · والبلاء المقيم · بل كيف لا نبكي بكاء الخنساء · ونجد سبيلاً

للصبر والعزآء · وقد ثلَّ عرش المجد · وغار نجم السعد · وغابت شمس الرغد · وتاه منا القصد · واستولى النكد · واستعلى الكمد · فواحسرتاه

مضى اميرنا المحبوب · مالك الرقاب والقلوب · فمضى الهنآء · وغاض الصفـآء · وأُبدلت الافراح اتراحاً · وامتلأَت جوانب البلاد نواحاً · واضطربت الافكار · وخشعت الابصار · وحارت العقول · وتولَّى الذهول · وبدت سيول المحاجر · تعرب عما في السرائر والضمائر · فوالهفاه

اجل على فقيدنا المفدَّى يحمد البكآء · ولاميرنا العزيز يجب الرثآء · فقد كان لنا اباً شفوقاً · لا يدع احدًا من بنيهِ ما لم يكن بعينه مرموقاً · فلا عجب اذا بكيناه بكاءً مرًّا · ونثرنا عليهِ الدمع نثرًا · بل العجب اذا كنا لا نبكيه · والغرابة اذا لا نعظم المصيبة فيه · وقد غمرنا بعدله إِحساناً · لا نرى لهُ مدى الزمان فقداناً · واولانا من فضلهِ بياناً · يرفع لنا في كل يوم شاناً · نقدِم لهُ عليهِ شكراناً · سواءٌ كان في الحياة · او بعد الممات · فوارحمتاه

كان — يا رحمهُ الله — سيدًا مهاباً وقورًا · سندًا مقداماً غيورًا · اميرًا خطيرًا جليلاً · راعياً صالحًا نبيلاً · كبير الهمة · ثابت العزمة · عالي الحكمة · ذا نفسٍ أَبيَّة · ونيَّةٍ نقيَّة · وطويَّةٍ نقيَّة · سامي الفهم · واسع العلم · كثير الحلم · نبيل العزم · جزيل الحزم · فوا أَسفاهُ

قد تولَّى الاريكة الخديوية — تغمدهُ الله برحمتهِ ورضوانهِ واسكنهُ فسيح جنانهِ — في عام ١٨٧٩ فساس الرعية بالعدل والقسطاس وأَضآء في سبيل تقدمهم كلَّ نبراس · فتدرَّجوا في مدارج التقدم العصري ورقوا في

مراقي الترقي الادبي والمادي اذ اكثر بينهم عدد المدارس وكان له الساعد الاول في رفع منارها وتعظيم اثارها · واعتنى اعتناء زائدًا بتحسين حال الرعية فازال عنهم كثيرًا من الاحمال الثقيلة التي كانت ملقاةً على عواتقهم كإلغاء بعض الضرائب وتخفيف البعض الآخر وغير ذلك من انواع الاصلاح وضروب التحسين فبلغت مصر في ايامه السعيدة مبلغاً من التقدم يسرُّ احباءها ويسيء اعداءها وذاق المصريون حلاوة حكم اميرهم وعلموا بمقاصده النبيله نحوهم فاوقفوا قلوبهم على حبه وعقدوا نواياهم على ولائه وظلُّوا بفضله معترفين ومن بحر عدله مغترفين الى ان فاجأَهم خبر وفاته وأُفول بدر حياته فكبر عليهم المصاب وعظم الامر واشتد الكرب وقامت قيامة النياحة وكان الهول هولاً صيَّر سواد الرؤوس بيضاً وبياض الوجوه سودًا وهوَّن المصائب وشيَّب الذوائب

وقد كانت صحتهُ اخذة باسباب التحسين لغاية يوم الثلاثاء حيث انتكس الداءُ وعزَّ الشفاءُ فلم تدفع الاطباءُ مقدورًا ولم يمحوا ما كان من القضاء مسطورًا فقضي الامر ونفذ سهم الغدر فمات ماسوفاً عليه في الوقت والمكان السابق ذكرهما آنفاً وكان ما كان وما هو كائنٌ للآن من ثورة الاحزان وهيجان الاشجان

وعند الساعة ١٠ من مساء امس اجتمع النظار وقرروا ارسال نعيه بالتلغراف الى جلالة مولانا السلطان الاعظم والى سمو والده اسماعيل باشا الخديوي السابق في الاستانة العلية والى نجليه الكريمين البرنس عباس باشا والبرنس محمد علي بك في فينا

وفي صباح هذا اليوم كان الخبر المشؤم قد ملأ جوانب العاصمة وسائر بلاد القطر المصري انتشارًا فاقفل التجار مخازنهم وامتنعت الناس جميعاً عن الاشغال لا في المحلات العمومية ولا الخصوصية · وغصّت الطرق والشوارع العمومية بجماهير الناس يتوافدون من كل جانب

وبعد ظهر هذا اليوم بقليل جيء بنعش الفقيد المفدّى على قطار خاص من مدينة حلوان الى سراي عابدين بكل تعظيم وتكريم وكانت جميع الشوارع التي مرّ فيها النعش غاصة بالعدد الكثير يهمي من عيونهم الدمع الغزير

وعند الساعة ٢ بعد الظهر سير بالجنازه على الترتيب الذي اقرّ عليه مجلس النظار وهو

١ الكفارة ٢ الجيش ٣ ارباب الاشائر ٤ الفقهاء ٥ تلامذة المكاتب الاهليه ٦ الامراء الاوربيون والاهالي ٧ موظفو الحكومة العظام ٨ قضاة المجالس المختلطة والاهلية ٩ مديرو صندوق الدين والسكة الحديد والدائرة السنية والدومين ١٠ الرؤساء الروحيون ١١ القناصل الجنرالية ١٢ النظار ١٣ برنسات العائلة الخديوية ١٤ منلا افندي مصر وشيخ الجامع الازهر والمفتي والعلماء ١٥ حملة القماقم والمباخر ١٦ اولاد الكتاب والمنشدون وحملة المصاحف ١٧ النعش ١٨ اورطة بيادة

وكان يحيط بالجنازه من الجانبين البوليس والجيش وكان الاحتفال بكساوي التشريفة

وكان المسير بالجنازة من سراي عابدين عند الساعة ٢ بعد الظهر كما تقدم الذكر الى شارع عبد العزيز الى شارع العتبه الخضراء الى الموسكي الى السكة الجديدة الى العفيفي على النمط السابق الاتيان على ذكره

وكانت الاقوام متزاحمة والاقدام متراكمة والطرُق والشوارع غاصة بالروائح والغوادي وفي القلوب جمراتٌ من الحزن لا تطفئها عبَرات المحاجر . وعلى الوجوه علائم الاسف لا تخفى على عيون النواظر . والكلُّ يتنفس الصعداء ولا يجد سبيلاً للصبر والعزاء

وكيف نلتمس على هذا الخطب الجلل صبرًا جميلاً . وعزاء طويلاً . وهو الامير الذي لم يدع شاردةً من المراحم الا ادناها . ولم يترك غادرةً من المكارم الا احصاها . فالان يحق للعيون ان تدمع . وللقلوب ان تفجع . وللابصار ان تخشع . اسفاً على أُفول بدر الكمال ولهفاً على ذبول زهر الجلال وحزناً على غروب شمس الافضال

ونحن اليوم بين قلبٍ حزين ودمعٍ سخين لا نجد في التأبين غير العبَرات بدل العبارات ولا نرى في التعزية غير البكاء بدل الرثاء . كيف لا وكلما قبضنا على القرطاس كادت ان تحرقهُ حرارة الانفاس وكلما تحرّكت عوامل البنان سكنته فواعل الاحزان فلم نرَ بدًّا من الاقتصار انقيادًا لحكم الاضطرار تاركين الاستيفاء الى حينه

ونختم المقال في هذا المجال بالتضرع والابتهال الى الكريم المتعال ان يهمي على الفقيد المفدّى غيوث الرحمة والرضوان وسحائب الأجر والغفران وان يحسن اليه في مماته كما احسن الينا في حياته

ونتقدّم بعد ذلك برفع مواجب التعزية على اكفّ الخضوع والخشوع الى مقام حضرة ربة الخدر والصيانة وعقيلة المجد والرصانة الحرم المصون والى مقام صاحبي السمو والفخامة النجلين الكريمين وسائر العائلة الخديوية الفخيمة سائلين الله عزَّ وجلَّ ان يلهمهم نعمة الصبر ويعظِّم لهم بفقدهِ مزيد الاجر

وقالت جريدة « الاهرام » بعددها الصادر بتاريخ ٨ يناير

سبحان الحي الباقي

كذا فليجل الخطب وليفدح الامرُ　　فليس لعين لم يفض ماؤُها عذرُ

طلع على مصر صباح اليوم بما اظلم ضحاها وودَّ الناس معه لو طال ليلها وامتدَّ دجاها ينعي الى رجالها خطب فقيد تقومت لمنعاهُ الاضالع · وفقد عظيم ارتجت لوقعه القلوب واستكت لمنعاهُ المسامع · فقامت تندب بفقد اميرها الكريم على توفيقها المحبوب · وتبكي على عزيزها العظيم بما استنزف شؤُون المدامع واستدر حبات القلوب · وكيف لايبكي الوطن على من كان لهُ اباً شفوقاً · بل كيف لا تسفح عين العدالة والمكارم على من كان لها خدناً ورفيقاً · بل كيف لا يندبه وطن ساوى بعدله بين جميع سكانه · حتى ذهب كريماً مندوباً ينشده الحال بلسانه

فكنت لناشئهم اباً ولكهلهم　　اخاً ولذي التقويس والكبرة ابنا

فلتبكِ عليك البلاد ياتوفيقها عدد انعامك وعدلك · ولتنتحب عليك قلوب ابنائها بمقدار ما خزنت فيها من حبك وفضلك · فانها لو بكتك بما لك

في نفوسها من الفضل والمكارم · اذن ما رأينا مقلة الا وهي دامعة ولا مدمعاً الا وهو ساجم · فعليك رحمة ربك من ذاهب ذهبت الاكباد على آثاره · وفقيد فقدنا الصبر من بعده فحل محله شديد تذكاره · وكريم تولت المكرمات لما مات · وواعظ مرشد هدي الناس في الحياة حتى هداهم في الممات · فأيُّ آثار فضلك لا يندبون بعدك · وانت لم يطلبوا منك محمدة وعدلاً الا وجدوهما عندك · بل اي فضائلك ينساها الناس · وقد كنت لهم اباً رحيماً كما انت ابو العباس · أمحاسن فضلك · ام مآثر عدلك · ام فيض مراحمك · ام غزارة مكارمك · ام حسن اخلاقك · ام كرم اعراقك

ايُّ الفضائل منك نندب فقدها يا ابن المكارم يا ابا العباس
فلقد حويت من المحاسن مثلما جمعت جميع الناس لفظة ناس

فقل لمصر الان ان ترثيك بعد مدائحها · ولشعرائها ان تجود في تأبينك ان كنت ابقيت لغير الحزن مجالاً في قرائحها · وللاقلام ان تبكيك بدمع محابرها · وللكتاب ان تنفجع عليك بما يسود وجوه دفاترها · فلقد طالما بيضتها بمحاسن اعمالك ومعاليك · فصار يحق لها ان تلبس اثواب الحداد من خط مراثيك · فانك الراحل الذي لم يجعل مطاياهُ غير القلوب · والمودع الذي لم يترك للناس زاداً غير اكباد ملتهبة ودمع مصبوب · فنحن نودعك بما ابقى فقدك في نفوسنا ان كان فيها بقية · ولا نزال نذكر رزيتنا فيك مع امثالها ان كان يوجد مثلها رزية · رحمك الله رحمة واسعة عداد حسناتك واجمل اجرك وآجر البلاد فيك بعدد مبراتك وخيراتك · فانت الفقيد الكريم في حالي فقدك ووجودك ويومي حياتك ومماتك

ثم نتقدم بعدك بالعزاء الى صاحبة الطهر والعفاف والنجلين الكريمين اللذين يعز علينا ان نعزيهما بك بعد ان كنا نهنيك ببدريهما الكاملين . ولكن مثل بيتك الكريم من حمل المصائب . ومثل آلك المصون من عودته على التقاء الخطوب واستقبال النوائب . فانَّا عهدنا الصبر على قدر قلب الثاكل . كما عهدنا الاجر فيه على قدر الفقيد الراحل . فايهما اعتبرنا فهم اصحاب الصبر الكريم . والى ايهما ذهبنا فانت الفقيد الراحل العظيم . نسال الله ان يعوضهم وايانا جميل الصبر . وان يكتب لك بما تقدم من عدلك مزيد الاجر . فانك لم تخل قلباً من المسرة في حياتك . ولم تحزن نفساً قط الا في مماتك

ومن يحزن الناس فقدانه يسر ملائك دار النعيم

هذا ما سمحت به بادرة الحزن واجازهُ على القلم وقع المصاب وهول الفجاءة ووسعهُ مقام الجريدة وضيق الوقت والصدر منهما اضيق والقلب اصغر واحرج وسنأتي غدًا على ترجمة سموه الكريم مع بيان الاحتفال بمشهده العظيم اما اخبار مرضه واعتلاله فمنشورة في صدر المحلية من عدد هذا اليوم ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم

يادهر بع رتب المعالي بعده بيع السماح ربحت ام لم تربح
قدّم واخر من تشاءُ فانهُ مات الذي قد كنت منه تستحي

وقالت ايضاً في (قسم الحوادث المحلية)

لقد ادركت فينا المنايا بثارها وحلت بخطب وهيه ليس يرقع

قد دهانا المصاب فجاءةً واغتيالاً فانه لم يمر على اعتلال الامير الا بضعة

ايام ولم يكن في الحسبان ان تثور العلة ولا ترحم حتى اذا كان الامس اخذت الاسلاك البرقية تنقل الينا شدة وطأة الداء ولم تأتِ الساعه الثامنة من المساء حتى وردت الانباء البرقية تترى تشير الى هذا الخطب الذي صدع الاكباد والافئدة فتوافد الناس جماهير الى دار المحافظة يستفهمون ولا سيا القناصل والاعيان ولم يكن عند سعادة المحافظ خبر رسمي ولكن وفرة ورود الانباء اكدت الحادث فابطل اصحاب المراقص مراقصهم وارباب الافراح افراحهم وامست الاسكندرية في الليل الفائت كالسفينة تلطمها الامواج ولا بدع

وضجت الارض فالعباد بها لاطمةٌ والبلاد تلتطمُ

ثم وردت الانباء البرقية الرسمية بحلول المصاب فانقضى الليل والحزن شامل والكدر عام

وصباح اليوم لبس الثغر الاسكندري لباس الحداد فنكست فيه الاعلام واقفلت دوائر الحكومة والبنوكة والبورصات والمحلات التجارية وبرحه في الصباح الى العاصمة كل وجهائه بين وطنيين واجانب وفي مقدمتهم سعادة محافظ الثغر وحضرات حكمدار البوليس ومدير الجمارك ورئيس المواني والمنائر ورئيسا مجلس الاستئناف المختلط والمحكمة الاهلية وجميع رؤساء الاقلام الاميرية وموظفو الحكومة وكلهم بلباس الحزن والحداد اسفاً على الامير الذي قضى فتزعزعت اركان البلاد ورن سهم الاسف والغم على فقده في كل فؤاد اما دوائر الحكومة وجميع اقلامها ومصالحها فستبقى مقفلة مدة ثلاثة ايام متوالية

ولد رحمة الله عليه في ١٠ رجب الفرد سنة ١٢٦٩ وتولى الاريكة الخديوية في ٢٦ شهر جونيو سنة ١٨٧٩ وتوفي رحمه الله في ٧ شهر ينابر سنة ١٨٩٢ الموافق ٧ شهر جمادى الثانية سنة ١٣٠٩

وقالت جريدة (المقطم) بعددها الصادر بالتاريخ عينه

الخطب العميم والمصاب الجسيم

كذا فليجل الخطب وليفدحِ الامرُ وليس لعينٍ لم يفض ماؤُها عذرُ

استحكم الداء وعزَّ الشفاء ونفذ القضاء فصبرًا جميلا. امير البلاد الذي اوردها موارد الخير والهناء ودفع عنها كل ضيم وبلاء قضى وغادر في القلوب فلولا. امير عبس الزمان في وجهه فقابله بهمَّةٍ امضى من السيف وانفذ من السهم لا يحسب الخطب الجليل جليلا . واستعان عليهِ بالرأي السديد والعزم الوطيد حتى انثنى طرف الزمان كليلا. امير رفع راية العدل ونشر رواق الأَمن فاضحت حزون الحادثات سهولا. امير ملك القلوب بحبه وفضائله وأَسر النفوس بانسه وفواضله فكيف جئته تلقاه حبلاً بالندى موصولا. ولما صفت له الايام وسالمته الليالي جعل همه ترقية شأْن رعيته ورفع مقامها بين ممالك الارض فرفع عنها احمالاً كانت تنوءُ تحتها وسار بها في طريق العمران شوطاً طويلا. وفيما الآمال معلقة عليه والنفوس مطمئنة بان ما اولاها من نعمه انما هو مقدمة لخيرات تتوالى ونِعَم تتزايد دنت المنية وحُمَّ القضاء وجفَّ القلم فصبرًا جميلاً

وقد كانت صحة الامير العظيم والفقيد الكريم آخذةً في التحسن

يوم الاثنين ثم انتكس عليه الداء يوم الثلاثاء واشتد في الساعة التاسعة من يوم الاربعاء فاصابته غيبوبة وبقي على هذه الحال الى ان قبضه الله اليه في مدينة حلوان الساعة السادسة والدقيقة الثلاثين (الصواب الساعة ٧ والدقيقة ١٧) مساء امس وكان بجانب سريره الحرم والاطباء ودولتلو البرنس حسين باشا وفي الساعة العاشرة اجتمع مجلس النظار وارسل نعيه بالبرق الى جلالة مولانا السلطان والى جناب والده الخديوي السابق والى سمو البرنسين الكريمين واستدعاهما الى العاصمة واقرّ على الطريقة الواجبة الاتباع في سير الجنازه

ولم يمضِ الا القليل على وفاته الى رحمة ربه حتى انتشر منعاه في العاصمة وسائر مدن القطر المصري فكان لذلك رنَّة اسفٍ واسىً مزقت القلوب قبل الصدور وعمّ الحزن كبار البلاد وصغارها فالاعيان هرعوا من سائر اطراف القطر الى العاصمه والتجار ابطلوا تجارتهم والباعة اقفلوا حوانيتهم وحاناتهم والمراسح أُبطلت والافراح بدلت بالاتراح · وانتشر الناس في شوارع العاصمة مئات والوفاً حتى اذا جاء القطر المخصوص ظهر اليوم يقل الفقيد الكريم ضاقت الارض بالجماهير وسارت الجنازة كذلك من سراي عابدين على الترتيب الذي قرره مجلس النظار

(ثم ذكرت الجريدة ترجمة الفقيد — طيب الله ثراه — فضربنا صفحاً عن اثباتها هنا اكتفاءً بما سننشرهُ من تفصيلاتها في بابها)

وقالت جريدة (النيل) بالتاريخ ذاته

سبحان الحي الذي لا يموت

قل اللهم مالك الملك تؤتي الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتعز من تشاء وتذل من تشاء بيدك الخير انك على كل شيء قدير

سمو ولي نعمتنا البر الرحيم بنا المشفق علينا خديوينا المعظم بالامس محمد توفيق الاول هو اليوم الخديوي المرحوم . هو اليوم الفقيد العزيز . هو اليوم ساكن الجنان افتخار رضوان عليه الرحمة والرضوان ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم

قد مات توفيقنا والدائم الله فليهرق الدمع ولتستتبع الآه
مات الخديو الرحيم البر فطرته قدسية ملكيات سجاياه
قضى فياحسرة الملك العظيم له ومات فلتندب العلياء علياه
فازت بطلعته الأُخرى ويااسفاً اضحت تعزي به من بعد دنياه

اي وربك ان خديوينا العزيز . امير مصر المحبوب توفيق الاول قد فارق الدنيا مأسوفاً عليه بقلوب الامة مبكي الشمائل بدموع الوطن

انتقل الى جوار مولاه طيب الله ثراه واكرم في الفردوس مثواه فترك القلوب تسامي الجيوب في الانشقاق وودع العيون المندفقة تجاري المهج المحترقة فالتقى النهران دم يراق ودمع مهراق وحق لهول هذا اليوم وناهيك به يوم الفراق

بكينا خديوينا العزيز وانما بكى كل مصريٍّ اميرًا ووالدًا

ولو ان في الاقدار ما يبلغ المنى   تمنى بنوها ان يكونوا له الفدا

يعز على الاقلام التي كانت تستمد الخير من آثار حكمته ان تبتلي بصب دموع المداد يوم رحلته رحيل مدهش · وسفر بعيد · واوب غير منتظر الى يوم موعود

رسم وداع لكن الى الابد · موكب حافل لكنه مأتم سيار · وحزن قهار · وقلوب في نار · وعقول في ابتهار · ودهشة محرقة · وموقف عظيم ·

الوداع الوداع ايها المولى النعم البر بالأمة · الرحيم بالملة المشفق بالكل · الذي لا نشكو منه الا يوم هذا الفراق الاليم

فالوداع الوداع · يا من سهر لياليه لتنام الرعية في مهد امانه · واجهد ايامه ليرغد عيش الأمة تحت ظلال فضله واحسانه · لقد قضيت عمرك العزيز وحياتك الشريفة واوقاتك الناضرة وشبيبتك الوضاء في توخي الصوالح الوطنية والمصالح الجديه والمنافع العمومية · لم تلهك الدنيا بزهرتها ولم تلفتك جلالة الملك عن التماس رضاء الخالق بالاحسان الى الخلائق فلم يسوءهم منك الا حزنهم عليك وبعدك عنهم وهم في حاجة اليك

الوداع · الوداع · يا من لم نرَ من حكمه غير الحكمة ولا من سيرته غير الرحمة فكنت القريب من الضعيف الرفيق بالبائس · والعافي عن المسيء · المتفضل على المحسن · المعز لابناء الوطن · المحب لخير البلاد المعين على السراء والضراء فلنعم سيرتك الجميلة وسريرتك الطاهرة واخلاقك الكريمة ونفسك الراضية ووجهتك المرضية شيم يفنى الزمان وتبقى وثناء تبلى الليالي ويتلى · ومحاسن كلما ذكرناها بكيناها · وفواصل كلما تأثرناها تاثرنا

بها . فعليك الرحمة والرضوان وغاية الحديث في عالم الامكان كان وسبحان من يبقى وكل شيء فان

نودعك يا خديوينا العزيز بقلوب واجفة وعيون واكفة وافكار مضطربة مضطومة واذهان مستوحشة مندهشة ونسال الله العظيم ان يجعل لك الفردوس مقرًّا والنعيم المقيم مقاماً والرضاء الالهي قريناً انهُ هو الرؤُف الرحيم

ونسال الله وهو خير المسئولين ان يعوض علينا معشر المصريين ببقاء سمو خديوينا الاعظم الجديد . فيديم حياته ويعزز نصره ويجعله خلفاً كريماً لسلف كريم وان يديم بقاء العائلة الشريفة الخديوية واركانها سادتنا الفخام وان يثيبهم الاجر الجزيل والعمر الطويل

لقد كانت الامال العمومية قريرة العين بصحة سمو المرحوم ساكن الجنان الخديوي المعظم وكانت القلوب مطمئنة بسن شبيبته واعتدال قواه البدنية .

وكانت مقاصد الاوطان مرتبطة بطول حياة هذا الامير الرحيم المحبوب لكن فاجاتها الاقدار الغيبية بمصاب غير منتظر .

كانت مبادئ انحراف صحة سموه مبادئ عادية لا يخشى منها الخطر ولكن اشتد المرض معه في يوم الثلاثاء حتى ان اغلب الناس كان ينتظر خروجه وتشريف ركابه الجليل الى مصر ولكن لم تسمح شدة المرض يوم الثلاثاء بمقابلة حضرات النظار الكرام الذين تشرفوا لاجل الزيارة

ثم تنازلت درجة الحرارة في صباح الاربعاء الى ٣٧ ونصف فقويت آمال الشفاء وكان يردد البعض بان حالة الضعف في قوة فربما تطول الامد

والذي كان يؤكد كون المرض غير مرهوب الجانب انه لم يهتم به حتى لم تعقد جمعية طبية الا في الايام الاخيره

وفي اواخر يوم الاربعاء اشتدت الحرارة ونقلب المرض فبلغت الحرارة بالذات الفخيمة الى واحد واربعين ثم الى اثنين واربعين ودام الخطر فاجتهد الاطباء في تنزيل هذه الحرارة بالمعالجات الا ان سبق القدر غلب عذل التدبير ولا محيض

وفي الساعة السابعة والدقيقة ١٥ بعد ظهر الخميس سادس جمادى الاولى انتقل الى رحمة الله تعالى وكان حاضر وقت الوفاة حضرة دولتلو البرنس حسين كامل باشا الافخم الذي شرف الى حلوان لملازمة سمو اخيه الكريم

وفي الساعة السابعة ونصف بلغ الخبر خارج السراي الخديوي وارسلت التلغرافات بالنعي العمومي فقام الناس مهطعين في حيرة عظمى مقنعي رؤسهم من هول ذلك الصارع الاعظم

وما لبث الخبر الجمري الاثر حتى انتشر يرمي القلوب من جحيم هذه الحسرات بالشرر فاغلقت المحلات العمومية والدكاكين والقهاوي الوطنية والاجنبية والتياترو والاعجب ان الحزن كان طبيعياً فقد اندفعت الاعيان تجري في الشوارع وامسى الناس حيارى من عظم ما دهاهم من هذا المصاب الفجائي الجسيم

وعجب العقول واندهالها من مبدأ النزلة الوافدة ينتج تسمم البول ويؤدي الى درجة هذا الخطر وكم في الغيب من عجب عجيب

وعلى اثر شيوع هذا الخبر اندفع الناس يهرعون الى حلوان فامتلأت

القطارات بهم على اختلاف الطبقات وتباين الدرجات · وما زال الناس لا نوم فيقرون ولا سهر يطيب وصبح المصاب ينتظر بانشقاق فجر القلوب

وفي الساعة العاشرة انعقد مجلس النظار الكرام وعرض عن الكيفية لجلالة سيدنا ومولانا امير المؤمنين كما قدم كذلك هذا النعي الى سمو حضرة الخديوي السابق والده الفخيم والى سمو ولي العهد وشقيقه ودعيا للحضور حالاً · وظن الناس ان النعش الكريم يقوم من حلوان ليلاً فباتوا بليلة المصبور · واهتم بالاستعدادات اللازمة في سراي عابدين العامرة الى الصباح وما اشرقت الشمس الا وميدان عابدين وما والاه من الشوارع قد غص بالالوف المؤلفة من الوطنيين والاجانب يعلوهم علائم الاحزان والاسف ونواح النائح من كل النواحي يشيب الرؤوس ويفتت الاكباد ولو كانت من صلد الجماد فحشروا خشعاً لا يدرون وحسرًا لا يعرفون كيف يلتمس استرداد هذا الوجود الشريف الذي كان من اجل النعم لكن كل نعيم يزول · ثم توافد اعاظم الاكابر وافاخر الرجال الى محطة باب اللوق ينتظرون قدوم الجسد الشريف من حلوان

وفي الساعة سبعة من يوم الجمعة وصل القطار المخصوص فتلقاه حضرة دولتلو احمد مختار باشا وكان قد قدم بقطار مخصوص من الصعيد بناء على التلغراف الذي ورد اليه وحضرة دولتلو رياض باشا وكان قدم من الاسكندرية مع حضرات النظار الكرام

فابتدأ المشهد من محطة باب اللوق الى شارع الشيخ ريحان ثم الى سراي عابدين والناس من طرفي الاي الجنازة في بكاء ونحيب

ولما وصل الى عابدين أُدخل النعش من التشريفات ووضع في السالون برهة من زمان قليل ثم ترتبت طبقات المشاة في المشهد لهذا اليوم المشهود ثم خرج من باب السلاملك الخصوصي وسارت الجنازة بين صفين من الجنود على الترتيب الآتي فسار من عابدين الى شارع عبد العزيز ثم الى العتبة الخضراء فسراي المحكمة المختلطة فالموسكى فالسكة الجديدة فشارع سيدنا الحسين وبعد اداء الصلاة الى جهة العفيفي واكرم بكرامة الدفن في الضريح المخصوص وتم الدفن في الساعة الحادية عشرة عربية تقرب من اربعة ونصف افرنجيه

وكان المشهد على هذا النسق يتقدم الكل ابل الكفارة ثم الجيش ثم ارباب الاشائر ومشائخ الطرق ثم الجيش ايضاً ثم حملة القرآن ثم تلامذة المكاتب الاهلية ثم عدة من اعيان الاجانب وبعض ماموري المحاكم المختلطة والمحامون امام المحاكم المختلطة بملابسهم الرسمية ثم اعضاء صندوق الدين والدومين والدائرة السنية والسكة الحديد ثم الرؤساء الروحانيون فالقناصل الجنرالية ثم حضرة دولتلو البرنس حسين باشا وحضرة دولتلو الغازي مختار باشا وحضرة دولتلو رياض باشا وحضرة دولتلو نوبار باشا وحضرة دولتلو البرنس ابرهيم باشا فهمي وحضرة دولتلو ابرهيم باشا رشدي وحضرة عطوفتلو مصطفى فهمي باشا رئيس النظار الكرام وحضرات النظار وسعادتلو علي مبارك باشا وسعادتلو البرنس داوود باشا والاصهار الكرام سعادتلو احمد فوءاد باشا وسعادتلو محمد راتب باشا وغير اولئك من رجال الحكومة واكابر المامورين ثم حضرة سماحتلو جمال الدين افندي قاضي قضاة الديار المصرية

وفضيلتلو الشيخ العباسي المفتي ونجله وفضيلتلو الشيخ الانبابي شيخ الجامع الازهر وكثير من العلماء الاعلام

ثم حضرات المديرين وقضاة المحاكم الاهلية وموظفو النظارات ثم الاعيان والتجار . ثم رجال المعية السنية اما حضرة عطوفتلو ثابت باشا وسعادة المحافظ ابراهيم باشا رشدي وحضرة سعادتلر عثمان رأفت باشا وتشريفاتي اول حضرة سعادتلو زكي باشا فلم يكن لهم محل معين لانهم كانوا مشتغلين بملاحظة رسم الجنازة

ثم الجاوشيه وبايديهم القماقم والمباخر ثم اولاد المكاتب والمنشدون

ثم النعش العزيز يحيط به رجال البوليس وهو محمول على اعناق الرجال من العساكر البحرية وغيرهم

وكان على النعش الطربوش والسيف والنيشان العثماني المرصع ونيشان الامتياز ومداليتاه وليس على النعش شيء من وسامات اجنبية ثم يتلو النعش اورطة عسكر بياده منكسي السلاح ثم عربات الحرم وسائر العربات

وكان المشهد بين صفتين من العساكر البيادة المصرية من سراي عابدين الى قريب من قره غول الموسكي ثم العساكر الانكليزية منكسي السلاح ايضاً ذلك الي آخر السكة الجديدة ثم العساكر المصرية الى ضريح السيد الحسين رضى الله عنه ومنه الى العفيفي والى المدفن

وكانت الدكاكين عموماً مغلقة والبيوت التي في شارع الموسكي مرفوع عليها علائم الحزن وكان في المشهد اربع رايات اجنبية مرفوع عليها علائم الحزن

ولما وصل النعش الى اخر الموسكي سبقــه حضرة عطوفتلو مصطفى فهمي باشا وسعادة زكي باشا الى محل الضريح لملاحظة الاهتمام الـلازم وعاد القناصل لما وصل المشهد الحسيني (الخ)

وقالت جريدة « الحقوق » بتاريخ ٩ يناير

خطب جلل

لقد صُعِقَت صباح الجمعة ثامن جمادى الثانيه سنة ١٣٠٩ (٨ يناير سنة ١٨٩٢) اذان المصريين بل اذان اكثر المعمورة بانتقال صاحب السمو الامير المحبوب توفيق الاول خديوي مصر المعظم من هـذه الحياة الفانية الى دار البقا عقب مرض اقتضبه في ايام قليلة وهو في زهو الحياه قبل ان يكمل الاربعين سنة من عمره والاثنتي عشرة من ولايته فان جنابه ولد في رجب سنة ١٢٦٩ هجرية وتولى الاريكة الخديوية سابع شهر رجب سنة ١٢٩٦ الموافق ٢٦ يونيو سنة ١٨٧٩ وقد اخذ اليأس والاسى على هذا المصاب العميم من قلوب الجميع كل ماخذ فلم تبق عين غير باكية ولا قلب غير متدفق حزناً ويحق لمصر ان تبكيه وتندب فقده كامير واب كان اهتمامه مدة حياته قبل وبعد ان تولى هـذه الخديوية صالح المصريين وترقية احوالهم ونشر العدل والمعارف فيما بينهم ولا سيما بعد ان جلس عل الاريكة الخديوية واتاه التقليد من جانب الخلافة العظمى في ٢٦ شعبان سنة ٩٦ الموافق ١٤ اغسطس سنة ٧٩

وقد كابد في مدة ولايته ما لا يكابد بتحمله بشر ولبث ثابت الجنان

معتصماً بعناية ربه غير مبالٍ بما كان يثيره عليه اعداء السلام من المكائد والشرور · وقد ايد مدة خديويته مبادي العدالة الصادقة وخاض اهوال المقاومة بكل ثبات جاعلاً وجهته الانتصار للحق والسلام وتوطيد مبادي الراحة والنجاح فانجاه ربه رحمه اعظم رحمه من كل ذلك وعاد المشار اليه بالبنان في كلما يجعل الامراء محبوبين ولما نشر السلام ازاره في هذه الخديوية كان جل اهتمامه في انشاء المدارس في سائر انحاء القطر ونشر مبادي العدل فيه وهو الذي انشاء المحاكم الاهلية واعلى كلمة العدل بين الاهالي ولم ترَ مصر اميرًا قبله كان اغير عليها منه وقد ترك من المآثر والاثار الحميدة ما لا يسعنا ذكره فهو من واجبات التواريخ المهمة

وكان رحمه الله ذا سيرة حميدة وتقوى شهيرة كبيرًا في اعماله متضعاً في خصاله شيخاً في حكمته طفلاً في طهارته

فليبكه القدر ان لم يبكه القدرُ ... باعين دمعها الادماء لا العبرُ
توفيق مصر مضى يامصر فانتحبي ... فكل حلم وعدل بعده خبر

هذا هو الامير الذي رفع كلمتكِ وزين مجالسكِ بالعدل واحيى اثار مجدكِ القديم ولو وهبه الله من العمر اكثر لأوسعك مجدًا وجعلكِ غرّةً في جبين الدهر ولكن الاقدار قد ظلمتكِ وقادت اميركِ وحبيبكِ من هذه الديار الفانية لينال اجرهُ مضاعفاً عند ربه ولا ريب انه سينال الثواب الاعظم فنسألهُ تعالى ان يتغمده بالرحمة والرضوان ويمطر على اسرته الكريمة المجيدة غيث التسليم والسلوان فانه كريم مجيب

واذ بلغ هذا الخبر الصاعق اذان مصر تقاطروا من كل جهة يندبون

اميرهم وكانت وفاة جنابه العالي مساء الخميس في حلوان فجيء به الى سراي عابدين العامرة واجتمع الناس من كل درجة ورتبة اهالي ونزلاء يودّعون اميرنا الوداع الاخير وقلوبهم واعينهم تقطر دماً على فراقه وسارت الجنازة الساعة ٢ بعد الظهر يتقدمها الامراء والوزراء والعلماء محفوفة بذوي الوجاهة من كل درجة وبلفيف الشعب وحولها العساكر المصرية وجيش الاحتلال وكان مشهدًا لم ير مثله مشهودًا بالعظمة والجلال من جهة وبتنهدات الاسف والاسى والاعوال من جهة اخرى فسبحان من له وحده البقاء ولنعتبر بوفاة توفيق الاول بطلان الامور الدنيوية فان كل من عليها فان ولا يبقى الا وجه ربك ذو الجلال والاكرام

ما درى نعشه ولا حاملوه　　ما على النعش من عفاف وجود

وقالت جريدة المؤيد بتاريخ ٩ يناير

الخطب المدلهم

هي الدار ما الآمال الا فجائع　　عليها وما اللذات الا مصائب

فكم سخنت بالامس عين قريرة　　وقرت عيون دمعها الآن ساكب

يالله اي خطب نزل واي مصاب حل واي صاعقة صعقت القلوب واي حادثة شققت لها الجيوب بل ما شأننا وقارعة الخطوب قد اندكت لها جوانب الجنان وفاجعة القلوب قد تولت على خاطر كل انسان وخارت القوى وحارت النهى ووهى العزم وخان الجلد فانا لله وانا اليه

راجعون · نعم آمنا بقول القائل

الا كل شيء ما خلا الله باطل　　　وكل نعيم لا محـــالة زائل

واي نعيم بعد نزول هذا الخطب المدلهم الذي قضي على كل جارحة بالثكل فلا عجب ان ناحت الثاكلات واوحت الى المحاجر كيف تجود بالعبرات فانا لله وانا اليه راجعون

يالله بماذا نسمي الداهية الدهماء والمصيبة العظمى التي فاجأتنا بها حوادث الايام فقضت باليأس على الانام وعلى العبرات بالانسكاب وعلى المهج بالانين وعلى الاحداق بالرنين (والرنين كما قيل في المثل استراحة المنكوب)·ولكن اين الاستراحة وقد اغتالتها ايدي الحادثات فلتذرف المآقي بلا راحة ذائب الجوانح

فلقد انى لك ان تودع خلة　　　رثت وكان حبالها ارماما

كذلك تكون في آمالك ياطالب الراحة في هذه الحياة الدنيا وموضوع سعادتها قد تولى

هل تستطيع النادبات الى العلا　　　تقول يفدّى الملك بعد الذي خلا

وفي نعيـــها نعي الملوك باسرهم　　　ودون الذي تنعيه كم حادث جلا

فيامصيبة الملك والدين والدنيا بعد ان قضى توفيق امير البلاد المحبوب نحبه وعاجله المنون فانا لله وانا اليه راجعون

(وبعد ذلك استرسلت الجريدة المذكورة في الكلام على مرض الفقيد المغفور له ثم ذكرت لمعاً من ترجمته ثم عددت مآثره الخالدة ثم شرحت ما كان من الاحتفال بجنازته وغير ذلك مما هو مستوفى في كتابنا هذا)

وقالت جريدة (الوطن) بتاريخ ٨ يناير

يحق لنا ولغيرنا ان نبكي مصر واهلها وننذب سوء حظها ونرثي لمصيرها ومآلها وسوء مطالعها وحالها على النزلة الهائلة والفجيعة الفظيعة وعلى مصابها الذي زلزل الارض وهدم اللطف المحض وترك النفوس مولهة والعقول مدلهة حتى ارتاعت الامة وانبسطت الظلمة واضطربت الملة والذمة وعمت الاحزان المدلهمة ولحقت العموم الغمة وقامت نوادب المجد واصبح الناس من القيامة على وعد فانه في يوم الخميس الساعة الثانية مساء عربي نادى ملك الملوك وسلطان السلاطين اميرنا المحبوب الفخيم خديوينا محمد باشا توفيق الى عليين فاجاب دعاءه ولبى نداءه وفارق دنياه وانتقل الى دار رضوانه ومحل غفرانه وترك دار الزوال والبوار ودخل منعماً مبجلاً الى دار القرار فكان هذا اليوم عنده رحمه الله يوم هناء وفرح وعند عموم المصريين بل الاوروباويين يوم عناء وترح بل اذا قلنا ان الارض اصبحت راجفة والشمس كاسفة وعاد النهار اسود والعيش انكد وشاب الوليد وذاب الحديد وانه كادت ان تنقبض الالسن على هذا الحزن الفادح وتخرس وتقتصر الايدي عن التعزية بهذا الرزء الفادح وتيبس لما بالغنا في شيء من ذلك فالملوك لهم قادح ولهم مادح بخلاف هذا الملك السعيد الذي كان يتمنى كل مصري ان يرزقه العمر المديد بل يكاد ان يفديه بنفسه وولده فلذة كبده فاجمع الجميع على مدح خلاله وجميل فعاله فاحسن رحمه الله على ذات اعدائه وحملهم على التعلق به بما غرسه من الاحسان والسخاء والامتنان وكان رحمه الله من صغره .

مجبولاً على محبة الحرية والرفق بالرعية وايراد الاهالي موارد العدل وغرس الفضل الجزل ولما تولى الحكومة المصرية وجد الجور ضارباً اطنابه فازال كل جور وعسف والغى كل ضريبة فادحة وكل مظلمة ضايقت المصريين وكان اول استيلائه على الخديوية المصرية بشائر خير وخير بشائر على جميع المصريين واهل المدن والارياف اما من جهة اهل المدن فصار الانسان آمناً على ماله وعياله وخول لكل انسان القدر الوافي والحظ الكافي من الحرية فبعد ان كانت العيون والجواسيس منبثة في جميع انحاء البلاد فل جمعهم وكسر جيشهم وكسدت سوقهم وصار لا يمكن حبس اي انسان كان بدون سبب من الاسباب فخرج الاهالي من البلاء خروج السيف من الجلاء وبروز الجواهر من الظلماء والغيت العونة المرهقة والضرائب المزهقة وانتقل جميع المصريين من الظلمات الى النور وخال لهم انهم في منام او في اضغاث احلام فلم يصدقوا ما آلوا اليه ونشأ عن هذا الحال ان بذل كل انسان انظاره في الاخذ والتجارة والصناعة والزراعة ونمت ثروتهم في وقت قريب وتحسنت اراضيهم تحسناً يبهر العقول ويكاد ان يخرج عن المعقول وارتفعت القراطيس المالية ارتفاعاً عظيماً دلالة على ثقة اوربا بمهارته وامانته ودعته وعدالتــه وحرر قناصل الدول ووكلاؤها التقارير الدالة على تقدم مصر الباهر وما حصل فيها من الاصلاح مدة سنتين في اول عهده الزاهر وضرب بمصر المثل فصارت بحكمته زينة الشرق في الثروة والحرية ولا عجب في هذا فان ملكها يضاهي اعظم ملوك اوربا في الطرق الشورويةوالقوانين الدستورية والمقت للاستبداد بكل جوارحه وبذل

غاية جهده في تطهير بلاده من ادران الجور الذي كان عاماً وبالاختصار قد جعل مصر في المدة الاولى من عهدهِ جنة الدنيا في السخاء والرخاء والهناء وبما ان الزمان ابو العجب نظر الى المصريين بعين الحسد والعناد وبنى الامور على حذف المراد فظهرت الثورة العرابية ويا ليت صاحبها لم يخلق في هذه الدنيا ولكن هكذا قدر وهكذا صار ومع كل هذا اظهر رحمه الله الحزم والعزم والبأس الشديد والقلب الذي كالحديد ومع انه ترك فريدًا وتخلى عنه وصار وحيدًا ومرت عليه الايام الحِوالك الا انه نجا من ضيق تلك المسالك فانه ورث بسالة جدوده واسلافـه فاتى الانكليز واطفأوا تلك الثورة وعادت مصر الى ما كانت عليه واظهر مع الانكليز الملاينة والسياسة ولم ير شيئاً مفيدًا للاصلاح الا اتبعه فكان كالاب الشفوق على اولاده منفذًا كل ما كان مفيدًا لبلاده وناهيك انهُ لما راى رجال سياسة اوروبا ان هذا الرجل خلق للحكم بالطرق الدستورية القانونية لم يسعهم سوى الاعتراف بفضله فنادى اجلاء خطبائهم في الاندية السياسية بان الفضل لهذا الرجل في الاصلاح وطرق النجاح ولا يخفى ان هذه الشهادة فضلاً عن صدقها قربت الانجلاء فانه اذا ثبت وثوقهم بجنابـه واعتمادهم عليه سهل خروجهم فوفاته من اشد الرزايا السياسية فلو افتقد الله مصر بغرق او شرق او جلاء او بلاء لما كانت مصيبتها عامة مثل ما هي الان فلذا تأثر المصريون نعم لو انتقل من دار الفناء بعد هذا العمل لخفت نوعاً البلوى وقلت الشكوى فالمصيبة لا تعظم الا بعظم الخسارة التي تبنى عليها والمصريون خسروا بوفاته فضلاً وعدلاً وراحةً ورخاء ورفاهية وغناء فحبا

نجم عدلهم وافل شمس رحمتهم وانهدم ركن سخائهم وفل سيف وفائهم وغارت عين الظافهم وانثلم جانب عزهم واغبر وجه سعادتهم ونضبت مياهُ راحتهم وركدت ريح ثروتهم وخرب بنيان بهائهم وبعد ان كان المصريون يوملون انقشاع السحب التي دهمت بلادهم ونوال استقلالهم وقرب انجلاء العساكر الانكليزية خيب الله هذه الآمال وابعدها بهذه الاحوال هذا هو تقدير العزيز الحكيم وكأن الدهر مساعد للدولة المحتلة او كأن نيات المصريين غير صافية وظواياهم غير سليمة ولكن سبحانك اللهم لو اخذتنا حسب شرورنا لما ابقيت لنا بقية فالهمنا الصبر وارفع عنا وزرنا الذي قصم ظهرنا واجرنا يا كريم من هذا المصاب الجليل العظيم ولكن نطلب منك تعالى ان تلهم نجله الكريم الحكمة والقوة والفهم والتجلد على احتمال الاعباء الثقيلة التي القاه المولى سبحانه وتعالى عليه بعنايته

أما ما اتصف به المرحوم توفيق باشا الخديوي المحبوب الذي لم ترَ مصر مثله من الصفات الشخصية فحدث عن الحلم ولا حرج فكان يخاطب الجليل والحقير والصغير والكبير والغني والفقير كل حسب مقامه وينصت لكلامه فكان متمكناً من افئدة الجميع من وضيع ورفيع فكان يمشي في كل جهة بدون حرس ولا محافظين فاذا سار كانت لهُ رعاياهُ جنوداً عن يمينه وعن يساره ولم نسمع من ملك حتى من الملوك الاوروباويين جمع هذه الفضيلة فان كل ملك له اعداء بخلاف ملكنا اما عن عفته فلم يشبهه احد من اهل الشرق فلم نسمع ملكاً شريفاً اقتصر على حليلة واحدة الا جناب خديوينا فكان ورعاً تقياً نقياً عفوفاً افرغ قواه العقلية في

راحة الرعية ولم ينصب في السرف والترف والملاهي التي تشغله عن ادارة وتدبير مملكته بل كان شاغلاً عقله وقلبه فيما يعود على بلاده بالراحة فكان قدوة حسنة لجميع المصريين في العفة والنزاهة

وقالت جريدة « الاعلان » بتاريخ ٩ يناير

لا حول ولا قوة الا بالله .

ما اصبح على مصر صباح شوءم وبوءس ولا مرَّ عليها يوم كدر ونحس اعظم اثرًا واشد وقعاً من يوم امس يوم فاجأ الناس خبر نفرت من سماعه الآذان وترددت في تصديقه الاذهان لولا ما كان يوءيدهُ بافصح بيان دوي مدافع الاحزان لا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم

وما كان اسى الناس الشديد أسى رعية على راعٍ ولا محكوم على حاكم بل كان حزن الابن على الاب الحنون وناهيك به من حزن جسيم

فقد فقدت مصر اميرها العادل واباها الكريم ومدبرها العاقل وعزيزها العظيم وكنز ثروتها وشمس غبطتها ودواء علتها وفخرها وزينتها وبهجتها ويالهُ من مصاب عميم

وفد داء النزلة على جسم سمو الخديوي المعظم المحبوب واستحكم وعجز الطب والدواء عن علاج المرض فتفاقم ففاجأته المنية لم تمهله والعياذ بالله واقتضبتهُ نضير العمر عظيم الرجاء لم يتم الاربعين شتاء

ونعى ناعي البرق هذا الخطب الجلل ففجع القلوب وشق الجيوب واودع في حشاشات الصدور غمًّا وبلاء

بلاء على مصرٍ اتى متهجماً   فاصبح يرثي كل مصرٍ بهِ مصرا

وأُبدلت الافراح بالاتراح ووقفت حركـة التجارة واقفلت اماكن العمل ورفعت الاعلام منكسة وهرع الى العاصمة اكابر البلاد واعيانهـا وانتشروا مع الاهالي في شوارع المدينة وساحاتها احتفالاً بوداع حبيب لا يصادفون له في هذه الدار الدنيا لقاء

فويحاً للموت من غادر وقوتل الانسان من كافر · كل من عليها فان ولا يبقى الا وجه ربك ذي الجلال والاكرام

وقالت جريدة (الفلاح) بتاريخ ٧ يناير

الا كلُّ شيءٍ ما خلا الله باطل

انا لله وانا اليه راجعون من مصاب المّ وخطب اعمّ داهمنا مساء هذا اليوم والجريدة تحت الطبع فقصف منا الضلوع واهمي منا الدموع واجمد الدم في العروق وابتلانا في الصدوع واجج نار حزن لا يطفيها ماء جفن ماطر · وانزل في صدر كل سامع رزأً للقلوب فاطر · لا ينشرح معه خاطر · وذلك بينما كانت الآمال مستبشرة بزوال ما مازج ولي النعم من الاعتلال ·· والاخبار تفد الينا مبشرة بتقدم صحة سموه في خطة الاعتدال الى الكمال اذ فجعتنا اخبار عصارى هذا اليوم وهاتين الصحيفتين من الجريدة تحت الطبع بان صحة سموه عن الاعتدال تحولت واضطربت وتغيرت واستدعيت كبار الاطباء للاسراع الى حلوان ليتبصروا في هذا الشان فما ذاع هذا الخبر وكلمح البصر انتشر الا وكنت ترى القلوب راجفة والخواطر واجفة والكل في اندهاش وتلهف الى اخبار ترد الى الارواح للانتعاش وكنا ممن داخلهم الاندهال فاوقفنا الاعمال لنبشر بما كان يحوم

حول الامال ولكن أَبي الدهر الخؤون الا ان ينفذ مطلب المنون ويحرق القلوب ويدمي العيون فانه لم تأت الساعة ٧ و١٧ دقيقه مساء الخميس الا ونعب غراب الكهرباء منعاه فكان اشأم من البسوس على النفوس اذ نعى من قضى وهو حي بذكره ومضى واثره مخلد في قطره ولي نعمتنا محمد توفيق الاول خديوي مصر الذي لم يماثله مماثل في هذا العصر فيا لهُ من خبر تهون دونه الخطوب فانه فتت الاكباد واذاب القلوب فوحق من قدر الانفاس اني لبار في قسمي ان قلت وانا احد الناس لما داهمني خبر هذا الخطب دار مني الراس وغبت عن الحواس ولم افق الا على صوت تقصف الضلوع وانهمار الدموع وهكذا تشاطر الناس الخطب وتقاسموا الالتياع والكرب على اختلاف الاجناس والمذاهب والطبقات والمراتب وابطلت محافل السرور وتبدلت بالويل والثبور واغلقت مغالق مصر واظلمت كأن ليس فيها من نور ونعق بوم التلغرافات الى كل الجهات للقيام بمراسيم التعزية والتأسف ولسان الحال يقول هذا المقال

اصوت صاعقـة ام نفخة الصور ... فالارض قد ملئت من نقر ناقور

اصاب منها الورى دهياء داهية ... وذاق منها البرايا صعقة الطور

تصدعت قلل الاطواد وارتعدت ... كانها قلب مرعوب ومذعور

اتى بوجه نهار لا ضياء لـهُ ... كـانه غارة شنت بديجور

ام ذاك نعي لتوفيق الزمان ومن ... قضت اوامره في كل مأمور

معلي معالم دين الله مظهرهـا ... في العالمين بسعي منـه مشكور

وحسن رأي الى الخيرات منصرف ... وصدق عزم على الالطاف مقصور

يا آية العدل والاحسان ممتثل	بغاية القسط والانصاف موفور
مجاهد في سبيل الله مجتهد	موءيد من جانب الله منصور
براية رفعت للمجد خافقة	تحنو على علم بالنصر منشور
يا نفس مالك في الدنيا مخلفة	من بعد رحلته عن هذه الدور
وكيف تمشين فوق الارض غافلة	اليس جثمانه فيها بمقبور
حق على كل نفس لن تموت اسىً	لكن ذلك امر غير مقدور
يا نفس فاتئدي لا تهلكي اسفاً	فانت منظومة في سلك معذور
اذ لست مامورة بالمستحيل ولا	بما سوي بذل مجهود وميسور
سبحان من ملك جلت مفاخره	عن البيان بمنظوم ومنثور
لا زال احكامه بالعدل جارية	بين البرية حتى نفخة الصور

فيا لها من ليلة ليلاء قضتها مصر بين التلهف والتحسر والبكاء وتنفس الصعداء وقل ما شئت عن حلوان التي جللها الحزن والهوان مع وفرة الناس للقيام بمراسيم احترام ساكن الجنان فاعظم به من موءلم ملم وخطب مدلهم شقت له الجيوب بل تمزقت له القلوب قد محى سطور الصبر من الصدر وظهر به ما في اللوح مكتوب واقشعر له الوجود اذ قيل مات توفيق مصر والجود

فانفض يديك من الدنيا وساكنها	فالارض قد اقفرت والناس قد ماتوا

فاكرم به ميتاً كثر احسانه وقلد اعناق الجود امتنانه · ففاضت حين فاضت روحه الدموع واسترجع كل احد حين لم يكن له الى الدنيا رجوع وصعدت الملائكة الى عليين بروحه الزكية فحيا الله بالروح والريحان منه الروح وفتح

له ابواب الجنة اي فتوح ولما طلع النهار والناس في اضطراب من الافكار ارتفعت اعلام الدول منكسة علامة للحداد واخذت المدافع تنطلق على شكل يستشعر منه ان الله قد قضى ما اراد حتى كنت تخال ان الناس سكارى وما هم بسكارى ولكنهم من الحزن على اميرهم حيارى وهم كالجبال يمورون وكالبحار يموجون وقبيل الظهر حمل نعشه الاكرم بين البكاء والعويل بغاية التكريم والتبجيل الى محطة حلوان حيث وضعوا نعشه الشريف على احدى العربات والناس صفوف الوف يكبرون ويهللون وللكل رنة حزن عظيمة تفتت الاكباد وعلى الوجوه سمات الاسف

وقالت جريدة (الاتحاد المصري) بتاريخ ١٠ يناير

الظلام

ظلام البلاد · وقتام العباد · بضياع الصواب · وذهاب الرشاد · واضطراب الحواس · وخمود الانفاس · وانصراع الرؤوس · وانصعاق النفوس · وانجراح القلوب · باشد المصائب واعظم الخطوب · فقد انطفأ نبراس المكارم · واظلمت شمس الاكارم · وافل في مصر بدر النعم والمراحم · قضى الامير الخطير العزيز المليك محمد توفيق الاول خديو مصر وبهجتها وريحانها وراحتها · قضى من كان للامراء تاجاً وفي دياجر المشكلات سراجاً وهاجاً

عفاءٌ على الدنيا طويلٌ فانها ... تفرّقُ من حيث ابتدت تتجمع

قضى امين الرعية · وفواد الامة المصرية · وكوكب البلاد الشرقية ·

فاين بعده المجد · واين الاقبال والسعد · واين الرتب والاقدار · واين المهابة والوقار · واين رعاية الجار · وحرمة الجوار

أتوفيق ضاعَ المجدُ بعدك كلهُ ورأي الأُلى راموهُ مثلك أضيعُ

كنت للقطر فخرًا · وللرعية ذخرًا · وكنت غوثاً في الملمات · وعوناً في المهمات · وملجأ لكل لائذ بحماك · وبحرًا لكل سائل نداك

رحلتَ وما كان العهد · ان تغادر الامة في ابَّان الوعد · رأَت منك قلباً ظاهرًا · وجودًا ظاهرًا · وخاطرًا كريماً · وفضلاً عمياً · فرفعت اليك الاعناق · تستمد التمام من مكارم تلك الاخلاق · ففارقتها وقد كانت محومة حواليك · ونأَيت فباتت ليل المصاب ترسل اليك

عيوناً حفظنَ الليل فيك محرماً واعطينكَ الدمع الذي كان يمنعُ

مضى المليك وكان برًّا بالامة رؤُوفاً · وكان نقي النفس عفيفاً · حجبتهُ عنا المنون · وكان يحجب الخطوب عن العيون · مضى وقد امتاز بالحلم وانقاد له العلم

فأُنطقَ فيهِ حامدٌ وهو مفحمٌ وأُفحمَ فيهِ حاسدٌ وهو مصقعُ

وقالت جريدة المحاكم بتاريخ ١٠ يناير

هو الباقي

قد مات توفيقنا والدائم الله فلتبكه مصر ولتندب سجاياه

أَجل نزل الخطب وحلَّ المصاب · ففجع القلوب · وشق الجيوب وهجم البلاء ونفذ القضاء فجلب الاسف ومزيد اللهف · فيا لله ما الداهية وما المصيبة · وقد أُفل نجم التوفيق ودك طود الحلم وغار بدر الكمال ·

فاظلمت الدنيا في العيون · وكره الناس الحياة وظلبوا المنون · فيا لهول ساعة قضى بهـا عزيز مصر نحبه · وبلغ المسامع خبره · فاحترقت المهج بنار الحزن · وتفتتت الاكباد من اوار الشجن · وانقبضت الصدور من اللهف · وانكمشت القلوب من الوجف · ولم يبقَ في العين دمع غير مهراق · ولا في القلب مكان ما اصابه الاحتراق · ولا من وجه لم ينقبض او دمع لم ينسكب · او رداء ما غشيه الحداد · او صفآء ما تبدل بالسواد ولا بدع ان مادت الارض في الظول والعرض

اي وربك قد ثل عرش المجد · وهوى نجم السعد · وفارق الامير دنياه فلتبكه مصر ولكن اي بكاء · وليرثه القطر ولكن اي رثآء

الوداع الوداع ايها الامير المحبوب · يا من ملكت منا القلوب بما غمرتنا من النعم · وافضت علينا من الكرم · وعاملتنا من الشفقة وقابلتنا من المرحمة

الوداع الوداع يا من افضت علينا احسانك · وانمتنا بظل امانك · واوليتنا كلما تمنينا من بحر الائك

فكم سهرت على خير الرعية · وتوخيت المنافع العمومية · وكم عفوت وصفحت وانعمت واوليت ونصحت وكافأت وعدلت وانصفت

يا ملجاء الضعيف وغوث البائس ونصرة المظلوم وامل البلاد كيف غادرت الرعية تتقلى على جمر الياس وحرمتها من تعطفاتك والتفاتك والتمتع بنعمة طلعتك

انت احسنت في الحياة الينا احسنَ الله في الممات اليك

مات عزيز مصر توفيق الاول عند الساعة السابعة والدقيقة ١٥ من بعد ظهر يوم الخميس سابع يناير وما انتشر خبر هذا المصاب الاليم حتى تكدر صفو العيش ووجمت الافكار واستولت الحيرة علي العقول فاغلقت المحلات العمومية والبنوكة وسائر محلات التجارة وعم الحزن جميع الناس على اختلاف المشارب والاجناس

وقالت جريدة الحكومة المصرية في افتتاح قسمها الرسمي وذلك بتاريخ ١١ يناير

ساكن الجنان المغفور له محمد توفيق باشا

لكلِّ اجلٍ كتاب

جف القلم بما قد كان فبماذا يجري القلم ولا امكان ماذا يسود وقد جفت سويداء القلوب ونضب غزير الدمع المسكوب ماذا يخط والنازل عميم والمصاب عظيم ووقعها في الافئدة اليم ماذا يكتب والنفس ضئيلة والقوى كليلة وقد نفذ القضاء ولا حيلة واستحكم مقدور المالك القهار

اي قضاء نزل فاوجب هذا الوجل قضاء مبرم ولا كل القضاء المحتم قضاء جاء فضاق به الفضاء وادلهم له الضياء فاستوى فيه الصباح والمساء قضاء عظم بعظم النازل ببابه الملمّ بجنابه اكبر قضاء كان على اعظم انسان من اشرف عائلة مصرية عائلة الحكم المصري المحمديه العلويه الا وهو ساكن الجنان المغفور لهُ خديو مصر محمد توفيق باشا عليه الرحمة والرضوان آناء الليل واطراف النهار .

قضاء عاجل روح الجلال ومثال مكارم الخلال ومجتمع صفات الكمال ومحط رحال الآمال فاوقف عنفوان الشبيبة وهي تطلب الامـام واخذ الطريق على زهوّ الصحة وهي تسابق الاقدام وعاق سير العافية ونضرتها وقد كانت لما سواها الامام واحل محل الحياة الناعمة الحمام فما اعجله من قضاء لم يغالب بتلك الاسباب فجاء مصداقاً لقول الله (لكل اجل كتاب) ولم يبال بقول زهير اذ يقول

رأيت المنايا خبط عشواء من تصب تمته ومن تخطئ يعمر فيهرم

قضاء فاجأ العائلة الكريمة الخديوية في جليلها الاكبر ورئيسها الموقر فاختطفته من بينها على غير مهلة ولا سابقة انتظار وقد كان فيها — اسكنه الله جنته — اباً ودودًا في معاملتها رحياً بجميع طبقاتها قريبها وبعيـدهـا حاضرها وباديها صغيرها وكبيرها يتودّد اليها بصلة الرحم كـلٌ وما عوّده اياه يواليهم في كل الاحوال ويشركهم في الرفد والمال ويشاركهم في الضراء كما يقاسمهم في السرّاء يعاملهم بما يقضي به الشرع الشريف والطبع المنيف فلم يدع لهم حاجة الا قضاها ولم يترك فيهم من مروّة الا وفاها فكان عنهم راضياً وهم له محبون ولو صح الفداء لاستبقوا اليه بما يملكون وما يحبون ولكن لا يقبل الفدا ولا الافتدا فما كان اشد الخطب عليهم في هذا المقام واكبر الرزء على اولئك العظام

قضاء داهم البلاد المصرية والامة والرعية في صاحب امرها وسبب نعمتها وخيرها مقيلها من عثراتها منقذها من وهداتها الرؤف بها الحنون عليها الرفيق بحالها الشفيق لمآلها الذي لم يعرف لنفسه حظاً غير سعادتهـا

والاخذ بيدها لانتشالها من شقوتها الذي سهر طوال الليالي وهي نائمة في امنه متحصنة في رعايته وظلّه الذي جعل دابه من يوم ولاية قيادها حماية ذمارها والذود عن حياضها واعلاء منارها الذي عامل الكل معاملة الاب الشفوق فوالاهم في معسرتهم ورفق بهم في ميسرتهم فامنهم في ديارهم وحفظهم في دمائهم واموالهم واصبحوا بعد الفاقة والهوان في الرخاء والاحسان الذي جعل نفسه الابية كواحد منهم يجد من ذاته ما يحسونه من الآلام فيتوجه بعزيمته الى دفع الايلام الذي اتخذ العدالة في الاحكام سلماً لترقية النظام واقام الانصاف مكان الاعتساف فحكم القلوب مع الاجسام واستولى عليها وله فيها هيبة الوقار لا سطوة الجبار ومقام الرغبة لا سلطان الرهبة والجبروت الذي رفع المثرين منهم بلا مطمع وواسى الفقراء في كل مفزع واانال الجميع حقوق المساواة في الرأفة والحنان فهؤلاء الذين كانوا كلهم بالامس السنة شكر وثناء اصبحوا يوم نزول هذا القضاء جوارح اسف وبكاء وتضجر لا يجدي فيه التصبر وانين وعويل وضجيج لا يشفي الغليل ذاهبة انفسهم حسرات تكاد ان تتفطر اكبادهم بالزفرات قد هالهم الامر الفاجع على غير حسبان حسبوه فكانوا في مواقفهم حيارى يحسبون سكارى وما هم بسكارى ولكن القضاء العاجل شديد الوقع اليم الصدع يذهب بالرشد وياخذ بالصواب

﴿ وقالت جريدة « مرقي النجاح » بعددها الصادر في ١١ يناير ﴾

البقاء لله وحده

يا من يبدل كل يوم حلةً ... أني رضيت بحلة لا تنزعُ

ما زلت تخلعها على من شاءها ... حتى لبست اليوم ما لا تخلعُ

ما زلت تدفع كل امرٍ فادح حتى اتى الامر الذي لا يدفعُ

خطب شابت له مفارق العليا اسىً وحزنا · ودكت له اطواد العدل في بلادٍ كان التوفيق لها عمادًا وحصنا · فانخلعت له القلوب بيد المعدوم من الآمال · وطارت من وقعها الآجال · شعاعاً في آفاق الشجون · وسال ماء معين الحياة من مجاري العيون · وتفتتت الاكباد وتمزقت احشاء الصفاء · وانحنت اضلاع الوفاء · وتفطرت افئدة البلاد · واتقدت نيران الحداد في مهج العباد · وغاضت بحار العرفان فجفت وصارت وادياً تهبُّ فيه على ادواح المنافع والفنون · عواصف العدم والمنون · وحَزَناً تمرُّ في بيدائه جيوش الاحزان · تطلب التجهيز على منهزم الرافة والاحسان · وذلك لما ان حمل الطائر المشؤم (يوم ٧ يناير سنة ٩٢ الساعة ٧ و١٧ دقيقة مساءً) نعي وفاة اميرنا وحياة نفوسنا الذي عقدت على محبته الرعية وغيرها الخناصر · فكادت ان تشق عليه المرائر · وترمي بسهام النائبات كبد الضمائر · وتبيع ما بقي من الاعمار · وتفارق بعد عزيزها السامي ذرى المجد تلك الديار · فقد أفل بدره الساري في سماء افئدة الرعية · وغربت شمسه فتوارى شعاع كل قصد وامنية عن بلاده المصرية · فلبست الانوار لاحتجابه شعار الحداد · وبكت اقلام البلاغة والاطراء في الثناء على صفحات الجرائد بمدامع المداد · فجفت حتى لم تستطع ابراز ما في الجنان · من رثاء من استأثر الله بروحه الطاهرة لسكنى اعلى الجنان · ورقمت يد الكمد بيد الدهور · آيات اسف تليت على الجباه · فأُغلقت ابواب السرور · وسُدَّت لها منافذ الافواه · وباتت الاشباح لا غذاء لها سوى الاحزان ·

ولا بساط تتقلب عليه غير جمرات الفكر والاشجان · حيث مضى من كانت تقال به عثرات الزمن · ويستقي بغمام حلمه وعدله يوم مَحلِ الشدة والإِحن · ويؤمله الجاني فيسبق الامل الصفح · وتلمع صفحة سيفهِ لنفاذ قضائه في الجاني فيقتله العفو مظفرًا بالنجح · والآن يندبه السماحة والشجاعة والكرم · ويبكيه الوفاء والولاء والحلم والشمم · وها هي البلاد بعد ان كانت تطاول الجوزاء عجباً واختيالاً · تدانت حتى كانها على اثره تبغي فرارًا وارتحالاً · وكادت ان تفيض ماء حياتها · وتؤثر على البقاء شهي مماتها · لولا ما تعزَّت بنجليهِ اللذين ورثا جميل الصفات والمحامد · من اعز شفوق واكرم والد · امير كانت تقيم ببابه العليا · وتلهج برفيع مزاياه وكريم محاسنــه الدنيا

سرى نعشه فوق الرقاب وطالما سرى جوده فوق الركاب ونائله
أَفاض عيون الناس حتى كأَنما عيونهم ممــا تفيض أَناملـه

ولا غرو فقد كان إِثمدًا لعيون الاماني · وروحاً ساريةً في شرايين الامل · وعصمةً لقطره الذي كان آمناً بهِ من وصمة الخلل · فلم يلبث ان قصفت غصنه الرطيب يد الحِمام · وغار عليه الفاني من الايام · فاقتطفهُ زهرًا طاب عرفه من يد الباقي من السنين والاعوام · ففجعنا بمليك كان الندى به متمتعاً · وغصن التقى من ماء شبابه يانعاً · ولو استطاع الكـل فداه بما عزَّ من النفس · ولو تباع الحياة لكنا اشتريناها بالروح ووضعناه في العيون بدل الرمس · ولكنه القدر المقدور · والمحور الذي عليه كلٌّ يدور فيا عزيزنا سقى الله مثواك من غوادي الغفران · مثل عفوك ونوال يمينك

وقت الاحسان · ويا ايتها العائلة الكريمة عزآء على هذا المصاب · وصبراً صبراً فانتم اولى بفضيلة الصبر وجزيل الثواب · فهو حيٌّ بفضائله ومآثره باق بما اودعه في القلوب من الاحسان · ساكن برضاة خالقه رحمه الله في أَعلى قصور الجنان · بلَّ الله ثراه بوابل الغفران · وامطر على مصر الحزينة وبنيها سحب الصبر والسلوان · ما لهجت بذكر عفافه ومحاسنه الازمان

وقالت جريدة الحقيقة بتاريخ ١٣ يناير

هو الحي الباقي

لقد عظمت مصيبتنا وجلت   عشية قيل قد مات الاميرُ
وامسى قطرنا مما عراه   تكاد بنا جوانبه تدورُ

مصاب خرج علينا من كمين الدهر · فتزعزعت لوقوعه اركان القطر · بل ارتجت له الارضون · فجرى الدمع دماً من العيون · هو الخبر المشؤم المعلن وفاة اميرنا الكريم · وخديوينا العظيم · توفيق الاول اغتالته المنون خلسه · فانتهزت فيه فرصه · فوثبت عليه وثبة المسارقة في عشية يوم الخميس الغابر ففاضت روحه عند الساعة ٧ و١٧ دقيقة بعد ظهر ذلك اليوم المشؤم فعظم الخطب واضطرب الاهلون واظلم وادي النيل وطفق لسان حال الوطن يندب اميره المحبوب · وعزيزه الذي اتفقت على محبته القلوب · ويردد آيات مآثره المأثورة · واحساناته المبزورة · واجراآته العظيمة الغير محصورة

وقالت جريدة (السرور) بتاريخ ١٣ يناير

تعب كلها الحياة فما اعجب   الا من راغب في ازدياد
ان حزنا في ساعة الموت اضعا   ف سرور في ساعة الميلاد

وا اسفاه

بينما نحن راتعون في جنان الامن عائشون في بحبوحة السلام اذ انقضت علينا في مساء يوم الخميس الغابر صواعق تقوضت منها اركان البلاد ونضبت من شدة وطأتها مياه النيل بل ارتجت لها قلوب العباد وهي الخبر المشوءم المعلن وفاة مولى البر وامير الفضل مشيد اركان الاحسان مغيث البائس اللهفان الصارف همه في تعزيز كلمة الوطن وصرف المصائب والمحن سمو اميرنا العظيم وخديونا الكريم توفيق الاول اخترمته المنون منا غدراً ولم تخش فيه امراً وذلك في الساعة ٧ و١٧ دقيقة بعد ظهر يوم الخميس الغابر فارتجت لخبر وفاته الارضون وتقاطرت الى سراياه الاهلون حتى غصت مدينة حلوان بالامراء والوزراء والكبراء والاعيان وحتى خيل للناظر ان مصر نقلت الى ذلك المكان فخاب منا الامل وضاع العمل وامسى الناس بين قيام وقعود يذرفون الدموع ويندبون اميراً عظيماً طالما كان يضن على رفاهيتهم ضنين الام على ولدها اما ما طرأ عليه يوم السبت فلم يكن الا من قبيل انحراف المزاج غير ان في يوم الثلثاء اشتدت وطأة المرض ثم تنازلت في صباح الاربعاء درجة الحرارة الى ٣٧ ونصف فظن اذ ذاك الاطباء ان المرض غير مرهوب الجانب على انه في مساء ذلك اليوم اشتدت درجة

الحرارة حتى بلغت ٤١ فسعى الاطباء في تنزيلها ولكن باطلاً كانوا يحاولون وما زال على هذه الحال الى ان فارقت روحهُ ذلك الجسد الطاهر وسلمها الى ربه

وقالت جريدة « اللطائف » بتاريخ ١٥ يناير

فقيد الماسونية العظيم

افاضت الجرائد في ذكر ترجمة المغفور له محمد توفيق باشا خديوي مصر السابق رحمه الله ولم تتعرض جريدة منها لذكر شيء من احواله الماسونية فراينا ان نستدرك ذلك في اللطائف لانه من موضوعها فنقول

دخل رحمه الله الماسونية عام ١٨٨١ في المحفل الاكبر الوطني المصري وأُعطي الدرجات العليا واطلع على كنه الماسونية فرآها جمعية خيريـة لا تتصدى للامور الدينية ولا السياسية فاحبها ومال اليها لانها وافقت ضميره الصالح فاحترمها واكرمها

وفي سنة ١٨٨٧ مسيحية ذهب جمهورٌ من الاخوان الماسون فتشرفوا بمقابلته وعرضوا على مسامعه انه اذا لم يشد ازرهم آل امر الماسونية الوطنية الى الاضمحلال فتكرَّم بملاطفتهم وقبل ان يكون رئيساً للمحافل الوطنية المصرية واعداً اياهم بالمساعدة والمعاضدة معتذراً عن الحضور في الاجتماعات لدواعٍ مختلفة وقبل ان تكون الماسونية المصرية تحت حمايته وشجع اعضاءها وحضهم على الثبات والمواظبة والخدمة الوطنية بمحبة وامانة وغيرة وبلا تعصب ولا انشقاق

ثم عين احد نظار حكومته نائباً عنه في حضور الاجتماعات وتثبيت

المحافل وامضاء الاوامر الى غير ذلك من الامور المتعلقـة بهذه الطريقة. فاستحسنت الجرائد الماسونية الاجنبية هذا الانتخاب واثنت على سموه جميل الثناء . وفي ذلك الوقت التمسنا من سموه ان يسمح لنا بنشر هذا الخبر في اللطائف فسمح ولكن بالتلميح لا بالتصريح ريثما يتضح للجمهور ان الماسونيـة جمعية ادبية خيرية لا دخل للدين والسياسة فيها. ومن ثم صرنا نلمح الى النهضة التي نهضتها كما ترى في الصفحة ٢١١ من لطائف السنة الثالثة وما بعدها وفي الصفحة ٢٥٢ و٢٥٣ من السنة نفسها حيث صرّحنا باسم سموه وكذلك في الصفحة ٢٩٥ . فاستاء البعض من ذلك فعرضنا هذا على سموه فاظهر الرضاء من خدمتنا واستحسان منهاج اللطائف ولما تشرفنا على اثر ذلك بمقابلة سموه بصحبة الاخ الفاضل رفعتلو الدكتور سليم موصلي قال مرحّباً باشّاً اهلاً بأبي اللطائف فقبلت يده ثلاثاً فتبسم وسالني عن الاحوال فقلت على ما يرام بظل سموكم الخ ... وانثنيت حاسباً هذا الالتفات اعظم تنشيط على خدمتنا الماسونية

وفي ٢٥ ديسمبر سنة ١٨٨٩ اجتمع المحفل الاكبر الوطني المصري على ما هو مذكور في اللطائف الصفحة ٤٢٦ و٤٢٧ من السنـة الرابعة وجدّد انتخاب سموه ثم عرض عليه اسماء الموظفين لعام ١٨٩٠ فجدد انتخاب عطوفة نائبه وقبل المنتخبين الجدد وكانت المحافل جميعها تشتغل تحت حمايته ونعمه توالي الاخوان وزاد عدد المحافل في هذه المدة عن ذي قبل

وفي سنة ١٨٩٠ زهت الماسونية في مصر وكثرت اشغالها وتعدد طلب الراغبين في الانضمام اليها فرغب سموه الى الاخوان العاملين ان يعفوه من

الرئاسة العملية في المحفل الاكبر الوطني المصري ليتناوبها غيره تشجيعاً لابناء الوطن فاجتمع الاخوان وتحادثوا ملياً فقر قرارهم على انتخاب الشهم الفاضل العالم العارف بالماسونية واطوارها سعادة ادريس بك راغب نجل المرحوم راغب باشا رئيس مجلس النظار السابق فعُرض الانتخاب على سموه فسرَّ منـه وصادق عليه

وفي يوم الجمعة ٢٣ يناير سنة ١٨٩١ اجتمع المحفل الاكبر الوطني المصري برئاسة عطوفتلو نائب سموه فثبّت بالنيابة عن سموه ادريس بك راغب رئيساً عاملاً للمحافل الوطنية المصرية. وفي ذلك الوقت انتخب سموه رئيس شرف مؤبدًا للمحافل الوطنية كما ترى ذلك في الصفحة ٣٦١ من لطائف السنة الخامسة فقبل ذلك بسرور وأُعلنت المحافل الوطنية والمحابة والمشارق السامية والمجالس العالية الماسونية عن هذا الانتخاب وقد تبرَّع رحمهُ الله على المحفل الاكبر بمبلغ عظيم تنشيطاً لهُ وتعضيـداً على اعماله الخيريـة

وفي ١٨ مارس سنة ١٨٩١ أُجيز لنا انشاء محفلٍ ماسوني جديد باسم اللطائف ووافق عيد الفطر المبارك في ٩ مايو سنة ١٨٩١ فاذن سعادة الرئيس الاعظم بتهنئة سموه فكتب محفل اللطائف رسالة التهنئـة فعرضت على سموه كما ترى في الصفحة ٣٧ من لطائف هذه السنة فاظهر رحمه الله فائق سروره وارتياحه الى عملنا وبلّغنا ذلك كتابةً . ولما تشرفنا باعتابه الكريمة رحّب بنا مشجعاً ايانا على الخدمة العمومية مثنياً على المبادي الماسونية حاثّاً على المواظبة والعمل بنشاط . وقد نال محفل اللطائف التفاته

السامي خمس مرات في سنة ١٨٩١ وبلّغنا ارتياح سموه الى خدمتنا مزارًا

وبما نذكره بمزيد الاسف اننا في بداءة سنة ١٨٩٢ اعتمدنا على تثبيت المحفل في ١٠ يناير سنة ١٨٩٢ فبلّغ سعادة الفاضل محمد باشا زكي التشريفاتي الخديوي الاول سموه ذلك فسرّ من مشروعنا وكتب الينا بما عزمنا على تلاوته في ليلة التثبيت مع الدعاء فخاننا الدهر وعكس آمالنا وبدّل افراحنا بالاتراح · وكان في عزمنا ان نضع مشروعاتنا الخيرية تحت حمايته فخسرنا بفقده خسارة لا تعوض ولولا رجاؤنا في خلفه الصالح لعزّ العزاء وزاد البلاء

وقد كنا ليلة الرزيئة مجتمعين في محفل الاصلاح الماسوني فبلغنا ذلك النبأ المشوم فخرجنا كلنا حيارى ونحن لا نكاد نصدق بما سمعنا وأُقفل المحفل وقد اخذ الحزن من الجميع كل مأْخذ · وكان محفل الاسكندرية مجتمعاً ايضاً فارسلت السكرتارية العظمى في المحفل الاكبر الوطني المصري رسالة برقية تنعي اليه فقيدنا العظيم فاقفل الاعضاء المحفل وهرعوا الى العاصمة لحضور الجنازة وقلوبهم واجفة لهول هذا المصاب الاليم وفي غد يوم الوفاة اجتمع جميع الاخوان في محطة السكة الحديد بحلوان وامام سراي عابدين مئات والوفاً منكسي الرؤُوس يذرفون الدموع .وقد رافقوا النعش بحسب درجاتهم الخارجية كما امرت الحكومة بذلك مرحمين على فقيد الماسونية العظيم آسفين على بدر افل نور كماله ثم حضر الجمع الغفير في المساء الى المأْتم لسماع آي القران الشريف

اما الدار الماسونية فوضع امامها العلم الاسود وعُلّق على نوافذها وجدرانها

وداخلها العلامات الماسونية علامة الحداد واوقفت اشغال المحافل ووزعت المنشورات من المحافل المتحابة كل ذلك قياماً بفروض الحداد على امير البلاد وفقيد الماسونية العظيم رحمه الله

وقالت جريدة (الزراعة) بتاريخ ١٩ يناير

تعزيـــة

نضع امام القراء الكرام تفصيل خبر الخطب العظيم والحادث الجلل الجسيم الذي دهم مصر على غرة من دون ان يكون له في الخواطر اثر

علا صوت النُّعاة في مساء يوم الخميس ٧ يناير سنة ٩٢ ينعون لمصر وابنائها فقد عزيزها واميرهم صاحب المقام السامي الفخيم محمد توفيق باشا الاول فارتفع الاعوال والبكآء وعلا التأبين والرثآء وسالت المحاجر وتوقدت في القلوب المجامر . اما سير المرض فلم يكن يؤذن بمثل هذا الخطب العظيم ولا يدل على هذا الخطر الجسيم ولكن قضآء الله اذا تهيأ تمهدت امامه السبل ووجدت الاسباب فسبحان العزيز القهار

ولا ريب في ان المؤرّخ حياة الخديوي الثاني محمد توفيق الاوّل اذا شاء الكلام على صفاته يقول عنه

«انه كان برًّا بالرعية شديد الحنان عليها ولوعاً براحتها وكل اثاره في حياته شواهد وبراهين على ذلك ومن اول عهد ولايته الى اخر ايامه كان مجاهدًا في سبيل سعادتها وهنائها وازالة بأسائها وشقائها ولذلك تعلقت القلوب به ومالت الافكار اليه ووقفت محبتها عليه»

و يقول ايضاً

« لم يعرف الفلاح المصري اثر المساواة في الحقوق بين الغني والفقير والكبير والصغير والعظيم والحقير قبل عهد سموه رحمه الله »

واهم المشروعات والاعمال العظيمة التي تزينت بها ولايته هي

تعميم معاهد العلم ومدارسه · انشاء المحاكم الاهلية · مد اسلاك التلفون في العاصمة والاسكندرية وبعض مدن البر · فتح الترع واهمها النوبارية · تخفيف الضرائب · الغاء العونة اي السخرة · انشاء مجالس المديريات · تعميم الري · زيادة الخطوط الحديدية · توسيع ترعة السويس وانشاء السكك الزراعية الى غير ذلك مما لا يقيده عدّ ولا يحيط به احصاء

وقد ولد رحمه الله بمصر في ١٠ رجب سنة ١٢٦٩ وتولى الخديوية المصرية في ٧ رجب سنة ١٢٩٦ وانتقل الى رحمة ربه في سنة ١٣٠٩ فتكون مدة عمره ٣٩ سنة ومدة ولايته ١٣ سنة

ولو فسح الله في مدة اجله لكانت رأت مصر من آثاره ما عاد عليها بالسعادة والاقبال والعز والاجلال حيث لا يخفى ان المدة التي تولاها بها كانت سائدةً فيها القلاقل ثم الارتباكات السياسية والادارية والمالية ولم يكد يصفو له الجو ويوجه العزيمة الى توطيد راحة الفلاح والمزارع حتى عاجله القضاء غير راحم صباه الغض ولا قلوب حرمه المصون وانجاله الفخام وآله الكرام ورعيته المتعلقة به · فذهب برّد الله ثراه مبكياً عليه دماً مذكوراً بالخير والثناء واحتفلت الحكومة والامة في جنازته احتفالاً عظيماً اشترك به العظيم والحقير والغني والفقير والاجنبي والوطني

جرائد اوروباوية محلية

قالت جريدة « الفار دالكسندري » بتاريخ ٨ يناير

Journal *Le Phare d'Alexandrie*

فاجأنا خبر محزن عند الساعه السابعة من الليل الفائت ارتج لهُ الثغر الاسكندري وانقبضت من هولهِ صدور الاسكندريين عموماً بين وطنيين واجانب وهو الخبر المنبئ بوفاة المغفور لهُ صاحب المقام السامي محمد باشا توفيق خديوي مصر · توفاهُ الله بعد الساعة السابعة بقليل من مساء اليوم البارح في مدينة حلوان إثر مرضٍ اعتراهُ من ايام قليلة وكانت ظواهرهُ تدلُّ على انه من الامراض الخفيفة الوطأة

ولقد كان الناس بين مصدقين ومكذبين هذا الخبر الفجائي الى ان تأيدت صحتهُ وتأكدت حقيقتهُ بما ورد من الانباء الرسمية فقلقت الافكار واضطربت الخواطر وهاجت النفوس ووجفت القلوب ورجفت الافئدة واستولت الدهشة على الجميع

والحق يقال ان هذه المصيبة الكبرى لم يكن هولها عظيمًا على العائلة الخديوية فقط بل ايضاً على جميع المصريين والقاطنين في مصر عموماً نظرًا لما يعلمونهُ بالتاكيد من حسن صفات هذا الامير الراحل وكرم سجاياه ولطف مزاياه وغير ذلك من الخلال المشكوره والخصال الطيبه المشهوره التي اشتهر بها واشتهرت عنهُ رحمه الله

وقد أُرسل نعي الفقيد المأسوف عليه الى صاحبي الدولة والفخامة نجليهِ الكريمين في فينّا ولا يمكننا ان نعبر في هذا المقام عن الحزن العظيم

الذي لا بدّ ان يكون شملها عند وصول هذا الخبر الى سموهما فجأةً ٠ خبرٌ انبأهما بفقد والدهما الشفوق الحنون الذي حزنت عليهِ جميع القلوب وتفجعت من هول مصابهِ جميع الافئدة

ولا نرى في هذا المقام غير الاستسلام الى احكام القضاء المبرم ٠ وانَّا نجثو بكل وقار امام ذلك القبر الذي ضم اليهِ جسم الفقيد ونتلو هناك آية الاسف على احتجاب الامير الخطير الذي كان مثال الكمال في جميع اقواله وافكاره وافعاله ونندب احتجاب شمس الفضائل وبدر الفواضل

ثم اننا نتقدم بمزيد الوقار ونرفع مراسم التعزية الى معالي ربة العفاف صاحبة المقام السامي الحرم المصون والى حضرة البرنسين الاكرمين صاحبي الدولة والفخامة عباس باشا وشقيقه محمد علي بك وسائر العائلة الخديوية الكريمة على فقد الامير الذي رحل عنا ومضى تاركاً احسن ذكر يتناقله الخلف عن السلف

وقالت جريدة « لا فونشي دِلاَّ كولونيا » التليانية بتاريخ ٨ يناير

Jonrnal *La Voce delle Colonie*

قضى سمو الخديوي المعظم محمد باشا توفيق الاول — قد اختطفته المنية واختطفت باختطافه مُهَج جميع الوطنيين والاوروباويين ولا عجب فقد كان للجميع أباً شفوقاً

ولا شك بان هذا المصاب الاليم قد احدث تاثيرًا مبرِّحاً في نفوس العائلة الخديوية عموماً ولا سيا في نفس ربة الصيانة والرصانة دولتلو عصمتلو امينه هانم افندي الحرم المصون وكلٍّ من النجلين الفخيمين

والكريمتين الكريمتين

اما المغفور له الراحل فقد ارتقى الى الاريكة الخديوية في ٢٥ جونيو من عام ١٨٧٩ · وقد تمكّن — بعد ايام قليلة من عهد توليته — من ادارة شؤون مصالح البلاد العمومية بهمةٍ معروفة وحكمةٍ موصوفة رغماً عن جميع المعاكسات السياسية وتقلّبات الحوادث الداخلية والخارجية · والحق يقال انه خدم بلاده التي كانت عليه عزيزةً غاليةً بالنصح والسداد والاهتمام والرشاد وكفى بالتقدم الذي حصل في بلاده في زمن حكمهِ برهاناً ساطعاً ودليلاً لامعاً

وكلُّ عارف بقدر الفقيد المشار اليه وعالمٍ بفضلهِ وبانهُ لم يبلغ السنة التاسعة والثلاثين من عمره الزاهر والثانية عشرة من حكمهِ الباهر لا يأخذه العجب ولا يتولاهُ الانذهال من سريان الحزن في قلوب جميع الناس · وكيف يستطيع الانسان صبرًا على هذا المصاب العظيم

ونحن نعزّي صاحبة المقام العالي الحرم المصون وكلاً من النجلين الكريمين على هذه الفاجعة المفجعة ولا ريب في ان البرنسين المشار اليهما يقتفيان اثر والدهما الخالد الذكر في محبة الوطن وحب الفضائل التي امتاز بها المغفور لهُ والدهما الجليل

وجميع الاوروباويين القاطنين في مصر يتحدون معنا في كشف الرؤس والانحناء امام القبر المودوع فيه جسمك الطاهر يا ايها الفقيد الراحل · اما روحك الشريفة فقد سارت الى جنات النعيم الابدي ونعم المثوى

وقالت جريدة (البوسفور اجيبسيان) بتاريخ ٨ يناير
Journal le *Bosphore Egyptien*

لقد توفي الخديوي توفيق
فليحيَ عباس الثاني خديوي مصر

لقد استأثرت رحمة الله بالخديوي محمـــد توفيق باشا الساعة ٦ من مساء امس في مدينة حلوان على اثر نكسة الداء الذي كان يظهر في اول الامر انه خفيف الوطأة . ورغماً عن السعي في ايقاف سير هذا الداء الرئوي لم يصدّهُ صادٌ ولم يَرُدَّهُ رادٌ وذهبت قوّة الصبا واعتدال المزاج امامـــه وهكذا حتى اورد خديوينا الثاني حياض المنية وهو في التاسعة والثلاثين من عمرهِ . ولا يخفى ان المغفور له المشار اليه هو سادس نواب السلطان الاعظم على مصر وثاني خديوي تولاَّها وابن حفيد محمد علي باشا« رئيس الاسرة المحمدية العلوية » اما مدة ملكه فكانت اقل من ١٢ سنة

ولقد عظم مصابه على الجميع وسيشهد التاريخ بان توفيق باشا كان رجلاً طيب القلب حسن السجايا بعيد المشرب عن المكـــائد والدسائس وعن الاسراف والتبذير بالاموال العمومية غير ناكث عهدًا لصديق ولا لعدوٍ . اما اثارهُ في الحكم فكانت آثار جودة وعدالة وحنو ابوي على الرعية وهو وان لم يكن له الآثار التي تظهر في منقذي الامم مثل ذوي القرائح فقد كانت له آثار الحكمة والاعتدال التي تُتّقى بها النوائب وتُدرأُ المصائب وسيكون الاسف عليـــه عمياً نظرًا لكونهِ مستحقاً إحترام الجميع وحاصلاً على حب آلهِ ورعيتهِ

اي نعم ان المصاب به لعظيم والخطب بفقده لجسيم وقد اضحى المستقبل بعد فقده مظلماً مدلهماً

وماذا عساه ان يكون في لوندره؟ وماذا عساه ان يتم في الاستانة فقد ترك هذا الخطب في هذه الليلة قلقاً عظيماً في نظارة انكلترا الخارجية وفي سراي يلدز اما في باريز فقد ترك خبر فقده اسىً عاماً وكل الحكومات قد تأثرت لهذا المصاب

ويا ترى هل النوايا في لوندره موجهة على مس استقلال مصر او على العمل بالاتفاق مع الاستانة او هي معقودة على العبث بالشؤون المصرية على الطريقة الالمانية في هذه الفرصة الصعبة. ونحن ضعيفو الثقة بسياسة الماركيز سالسبوري وما عودتنا اياه ولكنا لا نظن بان الاحوال السياسية تفاجئنا بما يولّد الارتباك السياسي في اوربا. اما الراي العام في انكلترا فمنقسم عند هذه النقطة ودول التحالف الثلاثي لا يتركنَ انكلترا وحدها تتصرف في شؤون مصر فترجع الينا (الى الفرنسويين) ولكنها مهما كانت غنية فليس غناؤها كافياً لدفع فديتنا لالمانيا والنمسا وايتاليا وعدا ذلك فان الامر بعيد الوقوع وهي في الاستانة ترى ذاتها بعد موت السير وليام هوايت مقيدةً وليس لديها المجال الواسع لمد لحمة المكائد المعهودة على ضفاف البوسفور

وفي سراي يلدز ربما رأى رجال الاعمال مضاعفة الجهد في الطريق المتبع منذ نحو نصف جيل بدون فائدة وحاولوا الرجوع الى تاريخ معاهدات سنة ١٨٤١ وظهر منهم ما ظهر في سنة ١٨٧٩ في تعقيد مفهوم الفرمان

ومراجعة فرامين سنة ١٨٦٧ وسنة ١٨٧٣

ولكن هل ترضى اوربا بهذه الاعمال · وهل الدول الاوربية تتفق في الاجرآت او انها تصل مسالة الوراثة بالمسائل الكثيرة الشعاب المتعلقة بالاحتلال والانجلاء وهنا هي الطامة الكبرى

وستجد مصر من دولة فرنسا ما يؤكد لها تمام المدافعة عنها· ولكن انكلتره التي كانت يدها ويدنا في العمل سويةً في شهري يونيو ويوليو سنة ١٨٧٩ هل تغيّر سلوكها وقد كنا في ذاك الوقت ندافع عن امتيازات الاريكة الخديوية والان لا نعترف بانه يجب ان نلتقي الان حيث كنا اذ ذاك كي ندافع عن مصر وان نتقرب ونعقد عرى المساله اذا كان ذلك في الامكان

ولا شك ان صوت السير افلين بارنغ هو المسموع في لونده بنوع خصوصي وذلك لما توسع له الفرصة من المجال الواسع وهو يقدِّم حلاً مرضياً وهذا الحلُ قائم بهذه العبارة

﴿ مات الخديوي فليحيَ الخديوي ﴾

استاثرت رحمة الله بمحمد توفيق باشا وسيخلفه سمو عباس باشا نجله الاكبر بموجب حقوق وراثته

واذا راجعنا منطوق الفرمان المؤَرخ في ١٩ شعبان سنة ١٢٩٦ الصادر في تولية المغفور له الخديوي السابق نجد في نصه هذه العبارة وهي

« انه طبقاً للقاعدة المؤَيدة بالفرمان المؤَرخ في ١٢ محرم سنة ١٢٨٣ الصادر بشان انتقال الخديوية المصرية من الخديوي الى بكر انجاله وبما

انك اكبر انجال سمو اسماعيل باشا فقد وكلنا الى عهدتك الخديوية المصرية »

وهذا هو المبداء الجوهري المبني عليه فرمان سنة ١٢٨٣ وفرمان ١٣ ربيع اخر سنة ١٢٩٠ اللذان كان سبب صدورهما سعي سمو الخديوي اسماعيل باشا

وجاء ايضاً في نصوص الفرامين الشاهانية ما يأتي

« ومنذ الآن صارت حكومة مصر والاراضي التابعة لها والمتعلقة بها تنتقل الى بكر ابنائك الذكور والى ابكار ابنائهم من بعدك »

والفرمان الصادر في ٢ صفر سنة ١٢٨٣. يحلّ مسالة الوصاية اذا كان بكر الخديوي قاصراً ويحدد لبلوغ رشد اولياء العهد سن السنة الثامنة عشرة · والفرمان الصادر في سنة ١٨٧٣ (١٣ ربيع اخر سنة ١٢٩٠) يؤيد كل هذه النظامات

وبناء على ذلك فان سمو عباس باشا حلمي هو ابن الخديوي محمد توفيق باشا الذي نلبس اثواب الحداد عليه اليوم وحفيد اسماعيل باشا خديوي مصر الاول وابن حفيد ابرهيم باشا النائب الثاني عن السلطان الاعظم على مصر وسليل محمد علي باشا مؤسس الدولة المصرية وهو اليوم خديوي مصر وهو قد بلغ رشده منذ السنة الماضية وكان اشهار ذلك بطريقة رسمية عرفتها اوربا جميعها وارسل اليه رؤساء الحكومات تهانيهم ووسامات تدل على اعتبارهم ذلك فهو والحالة هذه خديوي مصر فليحيَ عباس باشا حلمي

وقالت جريدة «السفنكس» بتاريخ ٨ يناير ايضًا
Journal *Le Sphinx*

اذا كان في خاطر الاقدار حادث كان يلزم ان يبقى بعيدًا عن الوقوع فهو حادث وفاة اميرٍ كان رسم التعافي عليه بادياً ظاهرًا وكانت ايام حياته سائرةً في نظامٍ تام واخلاقه الرضية توسع مجال الرجاء بانه سيكون طويل الاجل في عالم الحياة ومع كل ذلك فقد ذوى غصن صباه وهو رطيب وتمزّق ثوب شبابه وهو قشيب علي اثر مرضٍ قصير المدى عاجله وذهب به

وما كان هذا المصاب واردًا في خواطر احد من افراد الامة المصرية ولا من الاجانب ولا من رجال الحكومة انفسهم وذلك لان الاخبار اليومية عن صحة هذا الامير لم تكن تترك اثرًا للخوف والقلق

ولقد ذهب الوزراء في مساء ٦ يناير الى حلوان وعادوا وهم هادئو الخواطر بما انبأهم الخبر المنشور في الجريدة الرسمية عن تحسن صحة الفقيد الراحل وبما سمعوه عن العزم على ايلام وليمـــة خديوية لاحد القناصل الجنرالية كما اكّد ذلك سكرتير سموه ذاته

ومع كل هذه التطمينات فقد تشكلت جمعية طبيه في المساء ذاته وفي اليوم الثاني اخذ القناصل الجنراليون في الذهاب الى حلوان لافتقاد صحة الامير ولم تأت الساعة ١١ حتى ذاعت الاشاعة بانه مشرف على الموت وبعد ظهيرة ذاك النهـــار ذهب جميع الوزراء والقناصل وكبار الموظفين الانكليز وكلهم عادوا وأثر الكآبة مطبوع على وجوههم لتحققهم ان سمو الامير لم تبقَ له في الحياة الا ساعات معدودة

ولم تأت الساعة ٧ مساء حتى انتشر خبر الوفاة وعلا صوت النُعاة بان محمد توفيق باشا قد استأثرت به رحمة مولاه

وليس الآن وقت البحث عما سيعقب هذا الحادث من القلق والاضطراب وانما هو وقت اثبات الحزن الشامل والاسف العام والاسى الذي اشترك به كل ساكني مصر

وقد ولد رحمه الله في سنة ١٨٥٣ وهو وحده من اولاد اسماعيل باشا لم يعرف اوربا بذاته الا مرة كان عزم على التجوُّل فيها ولما وصل الى فينّا دُعي الى مصر ثانيةً

وخلف اباه في ظروف حرجة واوقات ضيقة وعُفي من الذهاب الى الاستانة لتقلد الولاية على مصر فيكون هو وابرهيم باشا جده من سلالة محمد علي اللذين لم يزورا عاصمة السلطنة العثمانية ولم يقدما بنفسيهما الاحترام لامير المومنين

ولا تخفى على احد الحوادث المشؤمة التي وقعت في مدة ملكه وحالت دون ظهور مناقبه الاميرية الحقيقية مدةً من الزمن سواء كان في نظام الشؤون الخصوصية او احوال الحكومة العمومية

الا انه قد ظهرت بعض هذه المناقب كالدعة والاحسان وحسن الابوة وله عدا ذلك اثر فضل راسخ في الوطنية منعته من الظهور الاخلاق الطبيعية والتردد الناتج عن وقوع بعض الحوادث وعدم صلاحية ظروف الاحوال

وسيقول التاريخ ان محمد توفيق باشا الاول كان رجلاً من رجال

الفضل المعدودين واهل الكمال المعروفين

ورعيته تثبت بانه لم يحصل من الملك الا على العذاب والمرارة وبانه لم يألُ جهدًا ولم يستعمل قوة سلطتـــه في غير عمل الخير

ولذلك كان فقده مصاباً عظيماً وخطباً جسيماً شمل فيه الحزن وعمَّ الاسف

وعسى ان تكون عواطف الحزن العمومية قادرةً على تهدئـــة جاش عائلته المفجوعة وتعزية قلوب الامراء والاميرات اولاده الذين كان سموه حافظاً لهم في قلبه الابوي ارق العواطف

وعسى ان تجد سمو الاميرة حرمه المصون في هذا الحزن الذي شمل البلاد على فقده وفي هذا الثناء العام على الفقيد الكريم العزاء والصبر على هذا المصاب الجلل الذي لا يقدر على محو حزنه الا الله العزيز القهار

تنبيـــه

هذه اقوال الجرائد الاورباوية المحلية في الكلام على فقيد الوطن قد عرّبناها بمعناها ومبناها . اما جريدة «الاجبسيان غازيت» الانكليزية فلم نعرّب عنها شيئاً لاننا لم نظفر بنسخة منها وقد كتبنا لحضرة مديرها في الاسكندرية ان يرسل لنا عددًا من النسخة التي صدرت في ٨ يناير لندرج ما جاء فيها من تأبين الفقيد العزيز في كتابنا هذا فاعتذر بان جميع النسخ قد نفدت ولم يبقَ عنده ولا واحده فقبلنا عذرهُ وان كان في نفس الواقع غير مقبول



اقوال الجرايد الخارجية

قد رأينا ان نثبت في هذا المقام ملخص اقوال بعض الجرائد الخارجية الخطيرة ونصرف النظر عن البعض الاخر لان اثبات اقوال جميع الجرائد الاجنبية يقتضي مقاماً فسيحاً ومجالاً واسعاً يضيق دونهما حجم هذا الكتاب فاقتصرنا — بحكم الضرورة — على اثبات ما ياتي ذكره بايجاز ٠ وقد ضربنا صفحاً عن ذكر ما كان من اقوال الجرائد متعلقاً بالمسائل السياسية لانه يتعدّى الغاية المقصودة بالذات من طبع كتابنا هذا

قالت جريدة « الطان » الفرنساوية

كان للنزلة الوافدة في هذا العام فتكات هائله وخطوب جسيمه ولا سيا على الرؤس المتوجة واعضاء العشائر المالكة فلقد اختطفت فجاءة في القاهره المغفور لهُ الخديوي محمد توفيق باشا في السنة التاسعة والثلاثين من عمره والثانية عشرة من ولايته وقد تولى الاحكام في ظروف صعبة شديدة على اثر استقالة ابيه وبين مشاكل داخلية وخارجية كثيرة المصاعب والعقبات فقام بها خير قيام فوق ما كان يؤمل منه ولقد كان لهُ في شؤون البلاد المصرية ارادة ثابتة حسنة حتى رأت في عهد ولايته عصراً مهماً مثل ما كان لمن سلفهُ ولكنهُ لم يسعده الحظ تمام الاسعاد فثارت السودان في عهده وخرجت من قبضة مصر بمساعي المهدي ورجاله ثم ثارت الثورة العرابية التي اقتضت المداخلة الانكليزية في البلاد

اما الان وقد انتقل الى رحمة الله تعالى فسيخلفهُ حضرة نجله عباس باشا وهذا الامير كان يتلقى دروسهُ في مدينة ويانه وقد ولد عام ١٨٧٦

وهو ذكي الفؤاد لا يحتاج الى من يساعده في الاحكام ولكن نخشى ان تغتنم انكلترا فرصة شباب الجناب الخديوي فتتخذ ذلك حجةً لخطر تزعم بوجوده في مصر وتبيح لنفسها الحق من اجله لاطالة احتلالها في البلاد ومع ذلك فقد يمكن ان لا نقوم بهذا الشان مباشرةً لان السياسة كثيرة الابواب والمداخل ولا يصعب عليها اذا لم تجاهر بهذا الشان ان تجد لها من رجال مصر من تكلفه به وتجعله ستراً تعمل من دونه ما تريد

وقالت جريدة (الديبا) الفرنساوية

لم نكن لننتظر ان يفاجئنا البرق بذلك الخبر المغم الذي نعى الينا وفاة خديوي مصر المعظم محمد توفيق باشا

اما هذا الامير فقد تولى الخديوية المصرية منذ ١٢ عاماً تقريباً وكانت ايام حكمه محفوفة بالمصاعب مردوفة بالمصائب ولكنه جاهد في درء الملمات وحل المشكلات ما استطاع ودافع ما امكن الدفاع ومع ذلك لم تزل البلاد تتنازعها العوامل من كل جانب

اما صفات هذا الامير فحسنة وتصرفاته حميدة وهو مشهور بالحلم والدعة وطيبة القلب وسلامة النية

(ثم تعرّضت للكلام على امور تتعلق بالسياسة فضربنا صفحاً عن ذكرها)

وقالت جريدة (التيمس) الانكليزية

لا جرم ان وفاة المغفور له الخديوي محمد باشا توفيق لم يكن تاثيرها قاصراً على مصر فقط بل انه شامل عام . ونحن لا نخطيء اذا قلنا بان

انكلترا مشتركة مع مصر بما اصابها من المصاب وحلّ بهـا من الخطب وانتشر في جهاتها من الحزن لان ذلك الامير كان مخلصاً في محبة بلاده وفي مودة رجال الاصلاح من الانكليز فوفاته اذًا شاملة مصر وانكلترا

وقد كان هذا الخديوي المرحوم كثير الميل الى الاصلاح شديـد الرغبة في ايجاد وسائل الارتقاء وتوفير اسباب التقدم في عالمي المدنية والحضارة فوفاته والحالة هذه ضربة شديدة الوقع صعبة الاحتمال

وقالت جريدة «الدالي تلغراف» الانكليزية

مما يدلّ على التأثر الزائـد الذي حدث من جرآء وفاة المغفور له الخديوي محمد توفيق الاول ان اسعار الاسهم المصرية قد هبطت في البورصه ولم يحصل هذا الهبوط بعد ورود خبر وفاته محمولاً على اجنحة البرق بل كان حصوله بمجرد وصول الخبر الذي انبأ باعتلال مزاجه وبتقدمهِ الى جهة الخطر

ولا شك ولا ريب في ان الحزن على وفاة هذا الامير الجليل يكون عمياً ليس فقط في مصر وحدها بل وفي اكثر الممالك الاوروباوية ولاسيما في بلاد الانكليز التي لا تجهل صفاته الحميدة ومزاياهُ الحسنة واقتدارهُ على تصريف المشكلات

الى ان قالت بعد كلام سياسي

ولا شك ان خلف الخديوي المرحوم توفيق باشا يعوّض على مصر والمصريين تلك الخسارة العظمى لان سمو نجله الكبير حازم الرأي عالي

الهمة . وقد اكتسب بواسطة سياحته الطويلة في عواصم اوربا خبرةً واختبارًا يزيدانه اقتدارًا على إدارة شؤون البلاد .

وقالت جريدة « تاجبلاط » النمسوية

ان التمدن المصري قد فقد عضدًا قوياً وسندًا نصيرًا بفقد الامير المأسوف عليه الطيب الذكر محمد توفيق باشا الاول خديوي مصر فان هذا الامير قد ساعد كثيرًا على انتشار التمدن وتعضيد الانسانية والاخذ بناصرها فخلد له في صفحات التاريخ ذكرًا مذكورًا واثرًا ماثورًا يتجدَّد عصرًا فعصرًا

اما سمو الامير عباس باشا الذي هو الوارث الشرعي للاريكة الخديوية المصرية بموجب الفرمان الشاهاني الصادر في عام ١٨٧٣ فانه لا شك يبقي ذكر والده حياً وذلك باتباعه مبداه المستقيم ومسلكه القويم

وجرائد النمسا عموماً تعترف بان سمو البرنس عباس باشا ذو ذكاء متقد ونباهة تامة وشهامة محمودة فهو لذلك خليق بكل مدح حقيق بكل ثناء

وقالت جريدة « ستامبول »

بعد رفع الادعية الخيرية الى باري البرية ان يبقي جلالة السلطان الاعظم والخاقان الافخم وان يديم نصرهُ ويؤيد ظفره ويوطد سطوته ويؤبد صولته ويحفظهُ مدى الادهار عالي المنار عظيم الآثار — نقول

قد استفدنا من رسالتين برقيتين واردة احداهما من حضرة دولتلو الغازي احمد مختار باشا معتمد الدولة العثمانية في القطر المصري والأُخرى من حضرة رئيس مجلس نظار الحكومة المصرية ان سمو الخديوي محمد توفيق باشا قد انتقل الى رحمة الله تعالى في مساء اليوم السابع من شهر يناير الجاري إِثر اصابته بنزلة صدرية شعبية لم تُفلح الاطباء في مداواتها ومعالجتها فجاءت قاضيةً على حياته غمرهُ الله بالرحمة والغفران واسبغ عليه شآبيب الرضوان

ولا يعزب على احدٍ ان سمو الخديوي توفيق باشا قد اظهر اخلاصاً وارتباطاً زائداً نحو العرش الشاهاني الاسنى في جميع ادوار حياته ولا سيما بعد ارتقائه الى مسند الخديوية الجليلة ولهذا السبب نرى الاسف على وفاته شاملا قد اشترك فيه العدد العديد من الكبراء والعظماء حتى ذات جلالة سيدنا ومولانا السلطان الاعظم

وانهُ بالرغم عمّا صادفه المغفور لهُ المشار اليه من الصعوبات وما لاقاهُ من العقبات والمقاومات قد تمكن من ان يحكم القطر المصري بفكرٍ عالٍ ورأيٍ سامٍ الى ان توفاه الله عليه رضوانه

﴿ تنبيه ﴾

كنا نودُّ ان نذكر جميع اقوال الجرائد التركية والسورية وغيرها من الجرائد الشرقية المتعلقة بهذا المصاب المفجع ولكننا لم نعثر في تلك الجرائد على شيء يستحق الذكر سوى هذه المقالة التي نشرتها جريدة (استامبول) المعدوده بين الجرائد الشرقية الخطيرة . ونحن لم نعتب على باقي الجرائد التي اشرنا اليها لعلمنا بان حرية المطبوعات مفقوده في تلك البلاد وان مقص مفتشي ادارة المطبوعات مسنون على الدوام.

مراثي الشعرآء والفضلآء

نثبت في هذا القسم المراثي التي وردت الينا في رثاء المغفور له فقيد مصر وقد راينا ان نأتي على نشرها واحدةً بعد اخرى بحسب تاريخ ورودها منعاً للعتاب ودفعاً للملام

﴿ قال حضرة الشاعر المجيد الشيخ محمد علي النشار خادم العلم الشريف بثغر دمياط ﴾

فرض الرثاء وواجب الهناء

عزآءٌ توالى بعدهُ البشر للناس ... فيومٌ لاتراحٍ ويومٌ لإيناسِ
وخطبٌ محتهُ للتهاني بشائرٌ ... كما محت الظلمآءَ انوارُ نبراسِ
دُهينـا بتوفيق العزيز محمد ... ووافت لنا البشرى باكرم عباسِ
فما بكت العينان حتى تبسمت ... ثغور وجرح القلب عالجهُ الآسي
لئن كان بدر التم غُيّب في الثرى ... فذلك بدر التم زاهٍ بحرّاسِ
وان كان ركن المجد قد هدَّهُ الردى ... فقد شيدَ للعليا عمادٌ من الباسِ
ذوى غصن افراح الرعية فازدهى ... لها خير غصن بالسعادة ميَّاسِ
وكان الخديوي للمساكين ملجاءً ... فامسى عزيز القطر كهف ذوي الباسِ
وقد كان هذا يمطر الغيث كفهُ ... وذلك بحر في الندا دون مقياسِ
وقد حزنت مصرٌ لفقد اميرها ... وحازت من العباس اعظم ايناسِ
ونالت بُعَيد الحزن يمناً فأرّخت ... سجا ليل مولا ناأضآ انس عباسِ

﴿ ١٣٠٩ ﴾

بكت وانثنت تبدي السرور وارّخت   لخطبٍ بتوفيق وبشرى بعباسِ

﴿ ١٨٩٢ ﴾

سقى الله بالرضوان مثوى فقيدنا   وابقى عزيز القطر للعدل في الناسِ

مليكي عزآءً واصطبارًا على الاسى   وهاك بشير الملك طيب انفاسِ

فبي ترحٌ قد كاد يتلف مهجتي   ولي فرحٌ عاشت بهِ روح احساسي

وقد كان لي كهفًا يقيني من الردى

وكل اعتصامي فيك من دهريَ القاسي

ودمت كما تهوى المعالي ممتعاً   بروضٍ حوى للعز طيّب اغراسِ

﴿ وقال حضرة الشاعر المشهور سليمان افندي صوله ﴾

جاورتَ ربك يا ابا العباسِ   وتركت شبلك رحمةً للناس

مُلْكٌ نراك به كأَنك لم تزل   حيًا تبرُّ ضعيفنا وتواسي

اسفي عليك خليفةً راحاتُهُ   كانت تصابح بالندى وتماسي

أسفي عليك حنون قلبٍ ما رثى   لشبابهِ قلبُ المنون القاسي

وطبيب مُلك بارع اودى بهِ   داءٌ تحيّر فيه كل نطاسي

ما كنت احسب قبل سكناك الثرى   ان البدور تحلُّ في الارماس

قسماً بمن حياك بالتسنيم   م والتكريم والتعظيم والايناس

وبقاصرات الطرف والراح التي   يتمجد الساقي بها والحاسي

لولا ابنك العباس أغرقنا واحر   م قنا البكا وتَوقُّدُ الانفاسِ

ولبارت الحكم التي ببيوتها   سكن البيان وباد كل مواسي

يا ايها الملك المتوج بالتقى م الحالي برونق مجده والكاسي
وابن الاسنّة والاعنّة والظبا والاريحيّة والندى والباسِ
لولاك اودى الحزن بالهرمين واغ ـتال المقطّم طود مصر الراسي
واباد سكان البلاد غنيهم وفقيرهم بلـواعج الوسواسِ
لما خبا نورُ النفوس أعدتَهُ بجلوسك المأنوس كالنبراسِ
فافخر بما اعطاك ربُّكَ من بهاً وذكاً زها وسما ذكاء اياسِ
لا يطمع الحسادُ فيك شبيبةً تجلوك أليَن من غصين الآسِ
سمرُ القنا قتّالةٌ ولئن غدت في لينهـا كقوامك الميّاسِ
الله معطيك القوى فخذ العدى بالرفق او بالمشرفيِّ الجاسي
واصبرِ لحكم الله جلّ جلالهُ فالصبر حلية اسبع الاخياسِ
فهو الذي يُؤسي كلومَ نفوسنا ويزيل كيد خصومنا الارجاسِ
وهو الذي نرجوه حفظك سالماً من شرِّ كل موسوسٍ خنّاسِ
ودوامَ مصر حديقةً تحظى بها خير البنين واكرم الاغراسِ
وبقاء شمس ملوكنا محيي الرجا عبد الحميد مميت كل شماسِ

﴿ وقال حضرة الاديب الاريب محمد بك عفت مساعد النيابة العمومية ﴾
﴿ بمحكمة المنصورة الاهلية الكائنة بالزقازيق ﴾

هي الدنيا هناءٌ أو عزاءٌ كذا تبقى ولله البقاءُ
اذا عزّيتُ أو هنأتُ يبدو لعينيَّ الظلامُ أو الضياءُ
كلا الامرين قد جُمِعا فقلبي تجاذبـهُ المخاوف والرجاءُ
كمختبطٍ بليـلٍ مدلهمٍّ حواليـهِ المهالكُ والعناءُ

تخورُ قواه من ضعفٍ فيأتي ... لهُ صوتٌ فينعشهُ النداءُ
أَو المطروح في بحرٍ احاطت ... به الامواج واحتجب الفضاءُ
تزمجر حوله الريح اشتدادًا ... يُظن لها زئيرٌ أَو عواءُ
تنازعهُ المنايا فهو يخفى ... ويبدو كاد ينقضٌ القضاءُ
اذا بسفينةٍ فيها سلام ... ويهدأُ بغتةً ريحٌ وماءُ
فلولا الحزن لم يُعرف سرورٌ ... ولولا الداء لم يعرف دواءُ
ولولا الهجر لم يعرف وصالٌ ... ولولا السُّقم لم يعرف شفاءُ
جرى قَدَرٌ على مصر فدكّتْ ... لهُ الاوتاد وانجاب السناءُ
جرى قَدَرٌ وقدَّرهُ حكيمٌ ... اله العرش يفعل ما يشاءُ
فإِن جَزَعٌ فما جَزَعٌ بمغْنٍ ... وإِن صبرٌ ففي الصبر الرضاءُ
مصابٌ مثل صاعقةٍ دهانا ... فقرَّح جفننا منهُ البكاءُ
فمسَّانا وليس لنا عزاءٌ ... وصبَّحنا وانت لنا عزاءُ
اليك اليوم يا عباس نشكو ... زماناً ما بمنظره حياءُ
عدا فلكل باكيةٍ عويلٌ ... يشقُّ القلب اذ نزل البلاءُ
فثارت في قلوب الناس نارٌ ... تؤَججها الدموع ولا انطفاءُ
على ملكٍ تولى وهو بدرٌ ... منيرٌ في العلاء له ازدهاءُ
هوى من افقه غسقاً فبادتْ ... لهُ الدنيا واظلمت السماءُ
فلولا وجهك الوضَّاء بتنا ... وأَعيننا يغشّيها غطاءُ
مضى والحلم لولا انت حيٌّ ... لقلنا ما لهُ فينا ثراءُ
قضى لم يقضِ من قدكنت إِبناً ... لهُ يبقى وليس لهُ فناءُ

ثوى واليك ابقى ملك مصر ... فما هذا الحنوّ وذا العطآء
تزعزع ركنهُ من قبل تأتي ... فلما جئت عاودهُ استوآء
فهذا الملك منك وانت منهُ ... لهذا الجسم يصلح ذا الردآء
فجدك أصل بانيـه بجدٍّ ... وبالتوفيق قد حفظ البنآء
فكم في نيلهِ سالت نفوسٌ ... وكم في حفظهِ سالت دمآء
فبين يديك ميراثٌ كريمٌ ... الى علياك زفتهُ العلآء
ثمار المجد والشرف المصفى ... فمن يجنيـه صافاه الصفآء
تعزَّ فانت اعلم من يعزَّى ... ولا تحزن فنحن لك الفدآء
أجدَّ لمصر آمالاً حسانـاً ... رُقيُّك حبذا ذا الارتقآء
تهنأ يا عزيز بكل مجدٍ ... تلازمهُ السعادة والهنـآء
عليك من الجلالة ثوب عزٍّ ... تزينـهُ المعارف والفنـآء
فلم ينقص شبابك منك شيئاً ... وشيَّبك التجارب والذكاء
اذا اكتمل النهى وهياً وكسباً ... فذو العشرين والشيخ سوآء
وما شعر الوجوه يزيد عقلاً ... ومـا هو فوقها الا كسآء
طرقت عواصم الدنيا فاضحى ... لذكرك في ممالكها ثنآء
وخفَّ ملوكها لك باحترامٍ ... فكان لك احتفالٌ واحتفآء
خبرتَ الارض من شرقٍ وغربٍ ... ولم يشغلك صبحٌ او مسآء
ضروب سياسة الدول احتوتها ... قريحتك المنيرة والدهـآء
فمثلك ان تحكّم في بلادٍ ... تحكّم في مساكنها الرخآء
ومثلك مَن تولى امر قومٍ ... سروا في نوره وبه استضآؤا

جزى الله المغيِّب كل خير ... وعند الله للحسنى الجزاء
انال الدولة الغراء سيفاً ... يشرّفه التألّق والمضاء
جبينك بالنباهة مستنير ... ويبدو في ملامحك الوفاء
ووجهك مثل بدر التم يزهو ... تلوح بهِ المهابة والبهاء
جمعت مكارم الاخلاق طبعاً ... فانت فريد عصرك لا مراء
هنيئاً للبلاد ومَن عليها ... بانك ربها ولك الولاء
وهذا الشعر من قلبٍ توالت ... به الاشجان فهو لها وعاء
يقدّمهُ الى مولاهُ عبدٌ ... ويدعوهُ وللعبد الدعاء
فلا برحت قوافيه توافي ... رحابك كلما طلع ذُكاء

﴿ وقال حضرة الاديب البارع الافوكاتو عبدالله افندي شديد ﴾

رنّة الرثاء

ويلٌ القلوبِ فقد ضاعت امانيها ... وبعدَ حُسنِ الرّجا خابت مساعيها
واصبح الفكرُ في وهمٍ وفي حيَرٍ ... والعين قَرْحى وقد جفّت مجاريها
وظلّ ظِلُّ الأسى والحزن منتشراً ... في مصرَ اذ مات حاميها وواليها
فأيُّ نفسٍ على توفيق ما جزعت ... وأيُّ نفسٍ بهِ لم تبكِ راعيها
وأيُّ قلبٍ عليهِ لم يَذُب اسفاً ... وكان اسمى الورى عدلاً وتنزيها
حازَ المفاخرَ اسناها واكملها ... حوى المحامد قاصيها ودانيها
فالطهر خطّتهُ والبرُّ شيمتهُ ... والبشرُ طلعتهُ من ذا يضاهيها
والعدلُ فكرتهُ والفضلُ رايتهُ ... والخير نيّتهُ اكرم بناويها

يا موتُ وَيحكَ هلاَّ هبتَ شوكتهُ ... حتى بغدركَ جهرًا رحتَ ترميها

ياموت ويحك هلاَّ خفت سطوتهُ ... حتى بفتكك ظلماً جئتَ تُرديها

يا موت لو رمت منَّا للفقيد فدًى ... لمـــا بخلنا بارواحٍ نُضحّيها

وهل نضنُّ بها من بعد ما شهِدَت ... بهِ سماحاً لدى البؤسى يعزّيهـا

تبكيه منَّا نفوسٌ كانــ سلوتهَا ... وعنهُ لا تلتقي صبرًا يواسيها

تبكيه منَّا عيونٌ كان قرَّتها ... وما كثيرٌ إنِ الاحزانُ تُدميها

يبكيه حلمٌ وعلمٌ كانــ ينصرهُ ... تبكي المبرَّاتُ شهمًا كان يوليها

يبكي عليهِ الندى والجودُ يندُبهُ ... وكم تزاهى بهِ بين الورى تيهـا

تبكيه نعمتهُ وهي التي شملت ... اهل البسيطة باديهـا وخافيهـا

تبكي المآثر بدرًا كانــ بهجتها ... يزهو على كل شمسٍ في تجلّيها

من للعفافِ وقد دُكّت دعائمهُ ... بموت من كان في العلياء يعليها

من للفضائل يا توفيقُ يسعدُها ... وكنت دوماً تراعيها وتحميها

من للمات يا توفيقُ يدفعها ... وطالما كنت تنشيها ونقصيهـا

رحلتَ عنا بألبابٍ بك اكتسبت ... نورًا بهِ طاب في الدنيا تصافيها

فجادَ مثواكَ مزنٌ بالرضا انسكبت ... قد كان كفك بالخيراتِ يحكيها

وقابلتك من الباري مراحمهُ ... ونعمةٌ أنت اولى من يوافيها

وألهم القُطرُ صبرًا كنتَ مدَّرعاً ... بهِ لدى النُّوبِ العظمى فتوهيها

فأملُ الحزنــ قد خطّتمؤرخةً ... بمصر جمُّ الاسى قد مات راعيها

١٣٠٩

﴿وقال حضرة الشاعر الاديب عبد الله افندي عمبره﴾

رثآء وتعزية

ما لي أَرى صفوَ البلاد تكدَّرا ۞ وبياض وجه الرغد اصبح أغبرا
أَتشوَّهت جزعاً لهول مصابنا ۞ ام عمَّت البلوى وماذا قد جرى
ام مصر قد فقدت بفقد مليكها ۞ توفيقها الاسمى الاعزَّ الاكبرا
يا هولها من ساعةٍ واهاً لهـا ۞ ذابت لها الارواح والقلب أنبرا
قد اصبحت مصر العزيزة بعده ۞ ثكلى تئنُّ توجعاً وتحسُّرا
وبقلب اهليها ذكت نار الاسى ۞ والدمع سال من المحاجر أَنهُرا
تلك المصيبة فاجأَت اهل النُّهى ۞ ليلاً فرشد العالمين تحيرا
فانثلَّ عرش المجد من هول القضا ۞ واندكَّ طود الفضل من بعد القرا
صفو العدالة بالرزيئة قد غدا ۞ متعفرًا متعكرًا متكدرا
والعينُ من خطب السياسة تذرف الـــدمع السخيَّ دماً صبيباً احمرا
يا لهف مصر على المليك محمد ۞ مَن عمَّها فضلاً وذكرًا اذفرا
يـا لهفها اين العزيز وحلمهُ ۞ بعد العلا قد صار مثواهُ الثرى
قم يا مليك المجد وانظر حالنا ۞ تلقَى بياض العز اصبح اصفرا
قم وانظر الانجال حولك تشتكي ۞ أَلم البعاد وعرشك السامي الذرى
قم وانظر الحكّام بعد مصابهم ۞ بمليكهم قد أُحرموا طيب الكرى
قم وانظر البدر المنير من الاسى ۞ بعـد التلألوء بالسواد تأَزرا

هذي هي العلياء تندب حظها — اسفاً على ذكراك يا بدر الورى
ثوب الحداد اليوم اصبح غالياً — بعد التجنب بالدراهم يشترى
فاضت عليك مراحم الباري كما — عمّت مواهب مزن جدواك القرى
صبرًا ايا عباس لا تحزن على — مَن مات لكن ذكره لن يقبرا
الله يرحمه ويلهم آله — صبرًا جميلاً ما السلوُّ تعذرا
ولو انني ما عشت اذكر فضلهُ — وبقيتُ الفاً انني لن احصرا
لكن بعباس المليك المرتجى — يبقى الزمان بذكرهِ متعطرا
شبل لذاك الليث عز مثاله — حامي حمى القطر السعيد الاعصرا
دوح النهى من بعد وشك ذبوله — اضحى (بحلمي) في الحدائق مزهرا
وافى صبيحة يوم سبت ركبهُ — بسكندرية بالسلام وبشرا
فتسارع الوزراء اجمع للقا — وتقاطر العظماء تبغي الابحرا
وتسابقوا نحو المليك وقلبهم — ملآن حباً للقاء تشكُّرا
وسراي راس التين اضحى وجهها — بعد التأسي بالمسرة مسفرا
رُفعتْ لهُ الاعلام بعد نكوسها — والبدر بان من السواد ونوّرا
يا حسنها من ساعةٍ وافت بمن — فرحت له مصر وراقت منظرا
قد جاءها العباس يزهو عزُّهُ — من حبّهُ ضمن القلوب تصورا
قد أمّها والسعد يصحب ركبهُ — والنصر من صدر الامير تصدرا
الله يحفظهُ ويجعل حكمهُ — وفق العدالة ما المديح تكررا

—*—

وقال حضرة الشاعر المطبوع عبدالله افندي فريج

يصبو الجهول الى الدنيا ويفتتنُ ... بها ولم يدرِ جهلاً انها فِتَنُ
ولم يزل في هواها مغرماً دنفاً ... يصغي اليها بلا حرصٍ ويأتمنُ
حتى تواليهِ بالاكدار مسرعةً ... عمدًا فتودي به الآفات والمحنُ
والموت فيها كداءٍ لا دواءَ لهُ ... أعيى الاطبا وفيها لم تفد مِهنُ
فان يصالح لعمري لا امان لهُ ... وان يهادن فلم تؤمن لهُ هدَنُ
اما ترى كيف اودى بالعزيز ومن ... كانت على فضلهِ الاهلون ترتكنُ
فهو المليك الذي كانت لهيبتهِ ... تعنو الاسود ويخشى باسه الزمنُ
شهمٌ همامٌ مدى الادهار ما سمعت ... بمثلهِ قط في هذا الورى أُذنُ
كريمُ اصل سريٌّ فاضلٌ ورعٌ ... زكيُّ ذهنٍ حكيمٌ عاقلٌ فطنُ
نقيُّ قلبٍ صفت منهُ سريرتهُ ... سيَّان فيها تبدّي السرُّ والعلنُ
يرى اكتساب الثنا فرضاً عليه وان ... يعدُّهُ الغير غيّاً انهُ سننُ
ذاك الامير الذي كادت لفرقته ... تصلى قلوبٌ ويردي كبدها الوهنُ
لهُ رجونا البقا حتى نقرُّ بهِ ... عيناً وتخضرُّ في اوطاننا الدمنُ
فقال منه لسان الحال مبتدرًا ... تأتي الرياح بما لا تشتهي السفنُ
ويحي على قمرٍ قد غالهُ قدرٌ ... ويلي على بدر تمٍّ ضمَّهُ الكفنُ
بل درّة فاقت الاثمان قيمتها ... فلم يقدَّر لها قدرٌ ولا ثمنُ
فأي دمعٍ عليهِ ليس منسجمًا ... او اي قلبٍ عليه ما به حزنُ
عليه لا بدع ان تبكِ العيون دماً ... او ينتفي بعده عن جفنها الوسنُ

تبكي عليهِ بنو مصر بفرط اسًى | تبكي عليهِ قرى الامصار والمدنُ
مضى وذكراه طول الدهر باقيةٌ | فيها يطيب لنا الاحزان والشجنُ
وكيف نسلو كريماً راح مرتحلاً | والقلب منا لهُ طيَّ الحشى سكنُ
لو كان يفدى بارواحٍ يعيش بها | لكان يفديهِ منا الروح والبدنُ
وانما الدوحُ لا يبكى اذا نشأَت | عنهُ فروعٌ وكلٌّ فوقهُ فننُ
فدام يحيا لنا العباس في رغدٍ | كما على الناس منهُ دامت المننُ
اخو البراعة والشهم الذي افتخرت | به البلاغة والتبيان واللسنُ
واليوم اذ جلَّ في الفردوس والدهُ | نادت له الحور بالتاريخ تحتضنُ
توفيق مجدٍ بجنات البهاء صفا | فطاب اساً لهُ في حظها وطنُ
١٣٠٩ | ١٣٠٩

وقال ايضاً

لا يغررنَّك صاحِ عيشٌ ارغدُ | فتظنُّ انك في الانام مخلَّدُ
واعلم بان المرءَ مهما دام في | هذا الورى لا بدَّ يوماً يفقدُ
بل ذاك في دُنياهُ شبه مسافر | عما قليل عن حماها يبعدُ
والكلُّ عقباهُ الردى فيها وما | حاز البقا الاَّ الكريم السرمدُ
اين الأُلى سادوا العلى شرفاً ومن | فيها بنوا تلك القصور وشيدوا
اين الملوك ومن عهدنا مجدهم | كانت لهم شهبُ الدراري تحسدُ
رغمًا طوتهم امٌّ دفر في الثرى | والكلُّ منهم بالتراب موسَّدُ
ولقد تساوى الكلُّ منهم رتبةً | لا خادمٌ فيهم يرى أَو سيّدُ
ما هذه الدنيا بدار إِقامةٍ | لكن الى الاخرى سبيلٌ يُقصدُ

ولو امرؤٌ فيها يُقيمُ مخلـدًا ... لأَقام توفيقُ العزيز محمَّدُ
ربُّ الحسام المستغاث ببأسهِ ... يومَ الوغى حيث العدى تتهدَّدُ
شهمٌ همامٌ ماجدٌ ذو هيبةٍ ... كانت لها تعنو الاسود وتسجدُ
ذو فكرةٍ وقّادةٍ فكأنما ... نارُ الخليل بها ذكت تتوقدُ
قد كان ذا حزمٍ وعزمٍ ثابتٍ ... في مشكلات الامر لا يتردَّدُ
آراؤهُ كانت بدورًا تزدهي ... فيها الى طرق الهداية مرشدُ
فهو المليكُ اخو المكارم والتقى ... من راح وهو من الصلاح مزوَّدُ
كملت سجاياهُ بكل محاسنٍ ... فمن الذي بكماله لا يشهدُ
ويحي على بدر بلحدٍ قد ثوى ... ومن العجائب ان بدرًا يلحدُ
لا بدع ان شُقَّتْ عليهِ قلوبنا ... أو فُتِّتَتْ منا عليـهِ الاكبدُ
قد راح ويلي راحلاً عنا وما ... مُدَّت الى توديعنا منهُ يـدُ
فكأنهُ بلسان حالٍ قائـلٌ ... ما بيننا يوم القيامة موعـدُ
سار الفؤاد من العباد بإِثرهِ ... لما بهِ قد سار ذاك المشهدُ
واروهُ ذيَّاكَ الضريح وعاودوا ... وبكل قلبٍ حسرةٌ وتنهدُ
واذ الملا قد راح فيهِ معزّيـاً ... والكلُّ ينعي فضلهُ ويعدّدُ
ناديتُ يا آل الخديوي هاتفاً ... يا من لهم فوق المعالي سؤددُ
يحيا لنا العباس بدرًا ساطعاً ... في أُفق عزٍ والشقيق الفرقدُ
واستبشروا فعزيزكم متمتـعٌ ... في دار صفو طاب فيها الموردُ
واليوم اذ نال المنى من ربهِ ... حيث السعود على البقاءِ مؤبدُ
قد جاءَ عبد الله يرثيه لكم ... اذ قال في التاريخ صدقاً ينشدُ

توفيقُ جودٍ بالتقى حازَ العلى فالآنَ في اصفى الصفآء مخلَّدُ
١٣٠٩ ١٣٠٩

﴿ وقال ايضاً ﴾

أتطمع صاح جهلاً في الخلود وانت من الملا في ذا الوجودِ
فما الدنيا لعمرك غير طيفٍ يُرى للمرء في حال الهجودِ
غرورٌ تُطمعُ الراجي بوصلٍ وتنفرُ منهُ كالريم الشرودِ
اذا جادت لولهانٍ بقربٍ نراهـا أعقبتـهُ بالصدودِ
ولو كانت تراعي ودَّ صحبٍ وترعـاهم بحفظٍ للعهـودِ
لما غدرت بتوفيق المعالي عماد الملك منصور الجنودِ
مليكٌ كان حصناً للرعايا عليه النصر خفَّاق البنودِ
سريٌّ فاضلٌ من خير قومٍ اميرٌ عن ابيهِ والجدودِ
حليف الفخر ذو خلقٍ عظيمٍ حليمُ الطبع ذو قلبٍ ودودِ
يلاقي قاصديـهِ بابتسامٍ ويبدي البشر في وجه الوفودِ
فواحرَّاهُ من خطبٍ اليمٍ ويا ويلاهُ من دهرٍ عنودِ
رمانـا ويلهُ ظلمـاً برزءٍ تهون لديهِ صاعقة الرعودِ
هوى بدرُ العلى من اوج عزٍّ فيـا لشماتة الوغد الحسودِ
لهُ قد كان افق المجد عرشاً فكيف اليوم يرضى باللحودِ
عليهِ الدمع منا في انطلاقٍ وفرط الوجد منا في قيودِ
واضحى قلبنا يُصلى عليهِ بنار فراقهِ ذات الوقودِ
وقد عمَّ الحدادُ ديار مصر باحزانٍ الى أقصى الحدودِ

فلا عجبٌ عليهِ ان شققنا   لدى اسفٍ قلوباً مع كبودِ
ولكن حسبنا خلفٌ كريمٌ   يحاكي البحر في بذلٍ وجودِ
هو العباس مولانا الخديوي   شهير-الفضل موفور السعودِ
فمهلاً أيها النجل المفدّى   ولا تجزع أيا شبل الاسودِ
مضى ذاك العزيز الى غفور   على سيماه آثار السجودِ
واذ نال النعيم وراح يحظى   بحور العين ربات القدودِ
الى رضوان نادى الوحي يشدو   بتاريخين درًّا في عقودِ
ألا بشرى فتوفيقٍ بعزّ   تجلّى الآن في زاهي الخلودِ
١٣٠٩   ١٣٠٩

﴿ وقال حضرة الشاب النبيه عبد اللطيف افندي شكري الاسكندري ﴾
﴿ احد مستخدمي محكمة بنها الاهلية ﴾

كرِّر حديث اميرٍ كان للوفق   خدناً وكان جميل الخَلق والخُلق
واذكر مآثرهُ الغرا وشهرتهُ   وحسن سيرته في الغرب والشرق
وقل لقطرٍ حوى من فضله منحاً   عزّي وهنّي بتاريخين ذي وفق
عزّي بتوفيقنا الاقطار من اسف   وهنىء البشر بالعباس ذي الرفق
١٣٠٩   ١٨٩٢

﴿ وقال حضرة الاديب الفاضل محمود افندي واصف ﴾
(وهو الان في سجن الترسانة بثغر اسكندرية)

هذه اجارك انّةُ فوادٍ اشرف على التلف . ونفثة مصدور احرقهُ الحزن بنار

الاسف . ورثاء جاء على خاطره عفوًا فنطق به اللسان يعرضه كما جاء لا كما وجب من سلاسة اللفظ وسلامة البيان فما هو الا اسير سجون وسمير شجون فاجأه الخطب فنطق عن حقيقة ودهمته المصيبة فقال على مقتضى السليقة

قد مات توفيقُ مليك البلادْ   اما ترى في الأُفق هذا السوادْ
والناس قد حلت بهم دهشةٌ   كأنما نُودوا ليوم التناد
ابصارهم زاغت وافكارهم   حارت وقد ضلوا سبيل الرشاد
ويلاهُ ما هذا المصاب الذي   قد زال منه الانس والبوءس زاد
خطب دهى فاندكَّ من هوله   طود النهى وانهدَّ ركن السداد
خطب فجائي ما أتى سهمهُ   في مسمع حتي اصاب الفؤاد
امضى الردى عضباً وسام العلى   سلباً فامضى الدهر ما قد اراد
رحماك يا دهر الشقا والعنا   حسب المعالي منك هذا العناد
فلتبك عين المجد انسانها   ولتلبس العلياء ثوب الحداد
ولتندب الاوطان توفيقها   غيث الندا والفضل غوث العباد
المانح العرف لنفع الورى   والمانع النكر لدفع الفساد
والمقتفي اثر الملوك الأُلى   قد عطرت اخبارهم كل ناد
عمُّوا الورى فضلاً فجاراهمُ   عدلاً وشادوا خير ذكر فشاد
يا قصر حلوان عليك العفا   اين الوفا هلاَّ حفظت الوداد
ويا حمى حلوان عزَّ الشفا   من مائك المقصود من كل واد
ويا هوا حلوان هل كان في الا   حسبان ان تأتي بغير المراد
ويا ابا العباس جرَّعتنا   كأس الأسى مرًّا بهذا البعاد
تبكيك مصر ما جرى نيلها   منه بدمع ما لهُ من نفاد

يبكيك ثغرٌ طالما نال من جدواك ما ازرى بذات العماد
نفديك بالارواح ان كان في هذا الفدا مما قضى الله راد
لا يبعدنك الله من راحلٍ قد سار والتقوى لهُ خير زاد
وامطر الغفـار مثواك من سحب الرضا وبلاً ليوم المعاد
والهم البيت الرفيع الذرى صبرًا وابقى مجده في ازدياد
بالقـائم العباس رب العلى فخر المـلا صنو الملوك الشداد
ما قال مقروح الحشا ارخوا قد مات توفيق مليك البلاد
١٣٠٩

وقال حضرة الاديب الكاتب اللوذعي محمد افندي فني
(مترجم مجلس النظار سابقًا)

سلامٌ على الدنيا فقد حال حالها وسار الى دار النعيم جمالها
لموت عزيز القطر كلٌّ بقلبه من الحزن نار ليس يخبو اشتعالها
محمد توفيق خديويٌ مصرنـا بكل أسًى تبكي عليه رجالها
فايُّ فؤادٍ لم يطر نحو قبره وأيُّ حياةٍ بعد ذاك أنالها
ويا ليت شعري هل أعيشنَّ بعده فأبكيه ام روحي ينادى ارتحالها
فما هي الا مهجة حال رسمهـا ولم يبقَ في الاحشاء الا خيالها
وما هو الا البدر حان مغيبهُ سريعًا والا الشمس آن زوالها
بكته عيون الارض حتى تفجرت بحارًا ومزن الافق دام انهمالها
وغارت بنات النعش مذرقَّ وانحنى لتقبيله فوق السرير هلالها

فمالي ارى وجه السماء مقطباً يشق جيوباً آن منها ابتذالها
وما لسيوف الغم حدّت وأرهفت وسلّت على هام الانام نصالها
وما لخيول الحزن كرّت على الحشا أما ضاق في قلب المشوق مجالها
وما لقدود البان حزنا تقصفت وكم راق هاتيك الغصون اعتدالها
واوراق روض العلم مدّت اكفها وطال الى الله العظيم ابتهالها
واقلام سمر الخط جفّت فلم يرق لمقلتها بالنقس بعدُ اكتحالها
سقى الله روضاً ضمّه سحب أدمعٍ يجود على وبل الغمام اتصالها
وحيّى ضريحاً قد تشرّف قدرهُ بروح خديوٍ للجنان انتقالها
وليس لنا غير التأسّي اذا عدت بنا هذه الدنيا وعمّ وبالها
وتسليم احكام الاله بما قضى علينا فما يغني النفوس احتيالها
لنا في رسول الله لا شكّ اسوة به كل نفسٍ في العزاء اشتغالها
وكل حبيبٍ للحبيب مفارق وكل حياة للممات مآلها
لم ترفع الاحكام وقت وفاته ومن حزنها جزماً تنكر حالها
ومن ليتامى الفضل يرجى فقد مضى ابوه واضحت باكياتٍ عيالها
وشكراً فقد منّ الاله بنجله فطابت به الدنيا وعاد جمالها
هو الشهم عباس ابو الحلم والعلا فزادت به نوراً وتمّ كمالها
تباشرت الدنيا بهِ وتفاءلت وما برحت مصرٌ يصدق فالها
فجمّع شمل الحكم بعد شتاته بهمة عزم لا يخاف ملالها
وولاهُ ربُّ العرش امر عبادهِ ولاية حقٍ ليس يخشى انفصالها
وجاءت تهاني الشرق والغرب سرعةً وشدّت إلى والي الديار رحالها

همام له في كل فنٍ دراية ... قديم معالٍ ليس يلفى مثالها
بدايته فيها النهاية للورى ... وبحر علوم يستطاب زلالها
مديد ندًى حاز المعارف كلها ... بروضة حلم دانيات ظلالها
واحكامه قد أعربت عن عدالة ... وعفّة نفس زاكيات خصالها
واخباره تروى فتروي من الظما ... وتعلو على الزهر العوالي طوالها
ومنطقهُ جزل المعاني بديعها ... يروق على حسن البيان اشتمالها
له بلغات العرب والعجم خبرة ... يترجم عن روح الكلام مقالها
قريب بعيد خاشع مترفع ... فللّه اوصاف يروق خلالها
كشمسٍ بدت للناظرين قريبة ... وفي أُفق علياها يعزُّ منالها
له راحة كم عوّدتنا براحةٍ ... يفوق غوادي المعصرات نوالها
وجود اياد يمنها في يمينها ... والطف من مرّ الشمال شمالها
فيا ابن العلا لا شك انت مظفر ... ووجنة خدّ الحكم بل انت خالها
إليك عروساً بنت اربع عشرة ... كبدر تمام راق حسناً دلالها
لقائلها فخر بكم ينتمي له ... قديم وينمو في الدعاء ابتهالها
وتسأل رب العرش إبقاء دولة ... وأقصى مناها ان يجاب سؤالها
فعش وتحكم واقضِ واغنم وجد وسد ... ونل رفعة فوق السماك منالها
لمقدمكم في مصر «فني» مؤرخ ... بتشريف عباس يعز كمالها

سنة ١٣٠٩ ... ٩٩٢ ١٣٣ ٨٧ ٩٧

﴿ وقالت جريدة «الشرق» بقسميها العربي والفرنساوي ما يأتي تغربه ﴾
﴿ بقلم احد مديريها وهو جناب البارع حبيب افندي فارس ﴾

قد اصبح الشرق يبكي الحلم والادبا والعدل والبر والانصاف والرتبا
نوحاً يودّع شهماً والقلوب لها من اسهم الحزن زفرات فلا عجبا
قد غُيِّبَتْ شمس توفيق فوا أسفاً خطب جليل هنا الافراح قد سلبا
قد اظلمت مصر والديجور ظللها والحزن كللها والانس صار هبا
تبكي البلاد مليكاً كان حاكمها وكان ابناؤها فيهِ يرون أبا
قد ضمه الرمس مثل الدر في صدفٍ وفي الفراديس قرّت نفسه رحبا
في مصر نوح وفي العليا السرور غدا والدمع في مصر نيل كوّن السحبا
في مصرنا اليوم رايات السواد علت وفي السماء جنود تهتف الطربا
كفوا الدموع ينادي الحق ان لكم ميزان عدل بمصر الان منتصبا
بظل عباس حلمي مصر قد سعدت وطرف توفيق يرعاها وان غربا

﴿ وقال حضرة الاديب الفاضل الشيخ عبد العليم صالح المحامي بمصر ﴾

هي الايام شيمتها الشقاء فاولها واخرها فناء
دع الدنيا ولا تركن اليها فكل العالمين بها هباء
وطب نفساً بما قدمت فيها من الاعمال فالأخرى جزاء
وكن ثبتاً اذا ما الخطب وافى صبوراً فالخطوب لها انجلاء
تواليك الشدائد في سراها ويعقبها على الاثر الرخاء
فهل من واثقٍ بالدهر يبقى زماناً لا يغيره العناء

اما والله ما في الدهر باقٍ ولا للمرء في الدنيا وفاءُ
ولو كان البقاء بمستطاعٍ لكان عزيز مصر لهُ البقاءُ
ولكن سار حيث الكل ساروا يشيعهُ التلهف والثناءُ
فيا ويح النفوس وقد دهاها غداة البين من منعاه داءُ
ويا لهف القلوب على امير خبا من ضوء طلعته السناءُ
اميرٌ غادر الاكوان طرًّا يذوب تأسفاً منها الحشاء
اميرٌ كان ديدنهُ المعالي وشيمته مع التقوى الحياء
اميرٌ اورد الاقوام دهرًا حياض العز راق بها الصفاء
وبات الكلُّ في أمنٍ وصاروا امام العدل كلهم سواء
فيا عين الحاكم فاندبيه بدمعٍ لا يخالطهُ الرياء
مضى مَن كان فيهِ المدح فرضاً فاصبح واجباً فيه الرثاء
وعُطِّلت العدالة يوم أودى وكان لها على الفلك ارتقاء
ولولا طالع العباس فينا لقلنا بعده عز الرجاء
الا يا حبذا هو من مليك يكون لآل مصر به الهناء
أدام الله طلعته علينا وعمَّ بعدله فينا الثراء
فتى العلياء عش ما شئت واصدع بامر العدل فينا ما تشاء

﴿ وقال احد الادباء ولم نقف على اسمه ﴾

من عادة الدهر بعد الحزن ايناس وما على الدهر في افعاله باس
يوماه يوم بهِ للهمّ قد مزجت كاس ويوم هنًا تصفو به كاس

فاضرب عن الحزن صفحاً وامح سيرته ... فهكذا الدهر ناس بعدهم ناس
واستقبل الامر بالتعزيز من ملك ... في قطر مصر فانت الروح والراس
وكن على الله فيما شئت معتمداً ... تطب لعلياك بالتأييد انفاس
بالجِدِ والجَدِ نلت الامر ذا شرف ... لا غرو ان اثمرت بالعز اغراس
وفي الوراثة معنىً عزّ مدركه ... وما به بعد هذا اليوم إلباس
لله من خلف في القطر عن سلف ... سادوا الورى وعلى هام السها داسوا
واجمعوا الامر في تدبير ملكهم ... وللرعية بالانصاف كم ساسوا
هذا وعذراً ففكري لا اخال معي ... بل ما معي لاشتداد الخطب احساس
ولا لسان به اطري ولا قلم ... يجري وللضيق ذرعاً ضاق قرطاس
وفضل والدك المرحوم لستُ له ... انسى ولو ضمني بالموت ارماس
لا زال في كرم الرحمن مسكنه ... جنات عدن بها الريحان والآس
ولا تزال بهذا القطر معتصماً ... واعين الله مهما كنت حرّاس
مولاي حكمة مولانا مؤرخة ... توفيق مات وولي اليوم عباس

سنة ١٣٠٩

﴿ وقال حضرة الفطن اللبيب محمود افندي نجم الدين ﴾

مصاب مصر بتوفيق لعزته ... قد غرّنا فجزعنا من صعوبته
اصمّ اذاننا من حيث اسمعها ... صوت النعاة فلم تدرك لفجأته
عدت اليه المنايا لم تخف حرساً ... ولم تُرَعْ اذ دعته من مهابته
فاليوم نبكي فقيد القطر اجمعهُ ... لا بل فقيد العلا فهو ابن بجدته

نبكي فقيداً انال القطر مكرمةً | وكم انـام الرعايا من عنايته
نبكي اميرًا زها خلقاً زكا خلقاً | كريمَ اصل تسامى في امارته
ولم نجد مثل هذا الفرع من زمن | اصلاً ولم نكُ ننسى فضل اسرته
اعاد عدلاً ففاض الخير فهو لـنا | قد كان مظهر كسرى في عدالته
قد كان يزهو النهى في روض دولته | وقد ذوى وهو في زاهي شبيبته
لقد فقدنا بـه حرًّا سياستهُ | كانت سياسةَ حزمٍ وفق حكمته
لكن لنا امل اذ قام يخلفهُ | سمو عباس باشا في حكومته
من التجارب أن الابن سرُّ ابٍ | طبعاً وانّـا وثقنا من نجابته
لم ننسه ولدينا من مآثره | ما يستحث على ذكرى محبته
انّا نودعه رغماً وحق لنا | انّا نودّع اليوم ارواحاً بتربته
هذا كفاءٌ لعمري في الوفاء لهُ | لو ان ذلك في ايدي رعيته
مهما نقُلْ فترانا لن نوفيه | حقاً فقد كثرت انواع نعمته
ماذا نقول اعن فضل اعن شرف | ام عن مراحمه ام عن سماحته
تجمّع الحسن في اخلاقه وغدا | في قومه مفردًا في حسن سيرته
فالله نسال ان يجزيه خير جزا | اذن يكافئه اعلى كفايته
وان يعمّ برضوان ثرى جدثٍ | قد ضمّـه ويرويه برحمته
وان يثبت صبر الآل من كثب | فالحزن قد كاد يمحوه بجملته

❊ وقال حضرة الذكي النبيه محمد افندي شكري كاتب مركز المندوره ❊

يرحم الله خديوينـا الذي | كان في الاقطار محمود الصفات

عاش ما عاش اميرًا عادلاً	خير والٍ كان من خير الولاة
عاش ما عاش تقيًّا طائعاً	جامعاً بين صَلَاةٍ وصِلَات
يرحم الله ابا العباس من	موته للناس من اسنى العظات
فلئن مات لقد ابقى لهُ	ذكر مجد شاع في كل الجهات
ترك الملك الذي يفنى بما	ناله في الخلد من اوفى الهبات
وترقى الشهم عباس الذي	هو اولى بالعلى بين الثقات
يا بني العلياء صبرًا ورضًى	وعزآءً في مجال التعزيات
ان فقدنا ماجدًا في عصرنا	قد وجدنا ماجدًا كهف العفاة
نجله العباس ثاني من سما	في ولاة الامر اهل المكرمات
فأَدام الله هــذا خلفاً	وعلى الماضي توالت رحمات
قد نعاهُ البرق اذ أَرخهُ	عاش ما عاش هو الوال ومات

سنة ١٣٠٩

﴿ وقال حضرة الفاضل الشيخ محمد صلاح الدين ابو سند ﴾
﴿ خادم العلم الشريف بالازهر ﴾

الناس أدهمها حزنٌ وتأريقُ	مذ غاب عنها خديوي مصر توفيقُ
فانهُ كان فردًا في اريكتهِ	ولم يعقه عن الخيرات تعويق
كأنهُ صيغَ من حلمٍ ومن حِكَمٍ	وحفَّهُ من تقَى الرحمن تطويق
فلتبك مصر عليه اليوم من دمها	وحقٌّ منها لفقد الروح تمزيق
ولتهناء الجنة العليـا بمنزلهِ	حيث اجتباه لها برٌّ وتصديق
وفي الحقيقة لم تبرح معالمه	ما دام من شبلهِ في الكون تشريق

فانه نعمة كبرى أُزيل بها عن قلب مصر من الأكدار تمليق

لله سيرتــهُ لله همتــهُ فقد تبدّى لها في القطر تحقيق

وكيف لا وهو بدر جلّ مطلعه وزانه في العلا حسن وتنميق

لا زال مولى المعالي مثل والده عليه من سابغ الرضوان تدفيق

ما قال ذو شجن حقًّا يؤرّخه في الحال مات وليُّ الله توفيق

سنة ١٣٠٩

﴿ وقال حضرة الكاتب الفاضل الشيخ محمد جوده ﴾
(باشكاتب مصلحة المطريه)

بعد السرى غسقًا في حيرة التيهِ زها الضيا فتهادى الركب بالتيهِ

مَن لازم الصبر تلقاء الخطوب يجد حصنَ الكروب قد انقضّت مبانيهِ

كم رابني البين يبغي نقض مصطبري لكن (الحلمي) ثباتٌ في مجاريه

وكم تبسّم عن سن الغبي فمذ رنا لعباس عزمي خاف اصميه

هو الخديو الذي ارتاحت لمقدمه أبناء مصر وسرّت من معاليهِ

والبشر عاد ولولا غرّةٌ سطعت من آل عباس ما لاح الهدى فيهِ

شهم تربّى على ثدي المعارف لم يرضع سوى دَرّها بالذوق يرويه

حتى بنشأته ساوى الاوائل في رعاية الملك بل زادت معانيه

هــذا سرى لغراس العلم يصحبه عزم فلا بدع ان طابت مجانيه

هذا تجول في اعلى البلاد وفي ازهى الممالك فازدانت مساعيه

وعن قريب يرينا صدق حكمته ان المكانة في بردَيه تحويه

وانه من كنوز العقل يبرز ما | يعز عن فِكَر الاقوام تبديه
لا تعجبوا ان درى غيب الامور فذي | اسرارُ (إلهامه) للرشد تهديه
مولاي يا زينة الملك المؤثل يا | بحرا على البر قد فاضت اياديه
ادركت اعظم رشد وارتقيت الى | مدارج العز ترقى في اعاليه
فرام والدك الميمون مقصدهُ | تقليدَك الامر بالإحكام تمضيه
وطار شوقاً الى الفردوس معتمدًا | في شأن مصر على شهم يراعيه
قد كنتَ في عهده نعمَ الوليُّ فكن | من بعده ملكاً تحلو امانيه
واصدع بامرك واحفظ ذمة عهدت | اليك من أمةٍ كالحصن تأويه
يا مصر تيهي فتلك الشمس ما غربت | الا عن البدر مجلُوًّا لرائيه
فيه انطوى سرُّ اباَءٍ سموا شرفاً | فهو الخلاصة حرز القطر راقيه
يا مصر فلتشهدي اخلاق والده | كانه هو يجلى دون تشبيه
وليمنح الناس توفيقاً نؤرخهُ | ما ماتَ توفيقُ والعباس يوليه

١٣٠٩

﴿ وقال حضرة الفاضل محمد افندي غنيم ﴾

﴿ مدرّس عربي بمدرسة النحاسين الاميرية ﴾

يا مصر صبرًا وهل يا مصر مصطبرُ | وذلك الخطب لا يبقي ولا يذرُ
خطبٌ عظيمٌ أهمّ الناس قاطبةً | وكيف من يعدم التوفيق يصطبر
توفيق مصر الذي في يوم فارقها | قد اشرأبّ بها الاحزان والكدر
فقد الحياة لنا اوهى واهون من | فقد الحياة له لكنْ ذا قدر

لم يبقِ فينا سوى الخيرات ماثرةً ... فالحلم والعدل والحسنى له اثر
قد كان عوناً وغوثاً للعباد كما ... قد كان ذا قدرة فينا ويغتفر
عذرًا فاني لو سطرت مدحتـه ... فالقلب عند استماع القول ينشطر
كساهُ مولاه من رضوانهِ حُللاً ... والهم الاهل صبرًا قدر ما أُجِروا
والله لولا يقين الكل ان لهُ ... ليثاً تدين له العليا وتنتظر
عباس باشا الذي من بعد والدهِ ... يحيي مآثره فينـا ويبتكر
لاهلك الناس خطبٌ قد اضرَّ بهم ... وغادر القلب بالاحزان ينفطر
يا سيدي يا مليك القطر دمت لنا ... حصناً تحصنك الآيات والسور
اصبر على نافذ المقدور محتسباً ... فالصبر يعقبهُ خيرٌ لمن صبروا
وان تكن محنة قد ضاق الانام بها ... ذرعاً وخلّدهـا التاريخ والسير
فان فيك لمصر مأملاً حسناً ... بالحزم تظهره الآصال والبُكَر
اباؤك الصيد قد جلّت مآثرهم ... ومهّدت بهم الآكام والوعر
فاصبحت سبل الاسعاد آمنةً ... لا خوف فيها ولا خطب ولا ضرر
فسر بها يا مليك الكل معتصماً ... بالله فالملك اضحى اليوم يفتخر
وابشر بملكٍ بك الرحمن عزّزه ... كأنه الروض يسقي غرسه المطر
فليخلع الدهر ثوباً كان لابسه ... من الحداد وداعي البشر مبتدر
مولاي فاسلم لنـا واُغنم ودم ابدًا ... كيما دواعي الصفا في القطر تنتشر
فان سيرتك المحمود طالعها ... في كل ناحية تاريخها عطر
وقد غنيت بآدابٍ وتجربةٍ ... عن ان تجاريك في افكارك الفكر
اذ قد رأيت بلادًا كلها عبر ... واهلها لك بالانصاف قد شكروا

مذ سرت سير الذي جلت مقاصده ... كما سرى النيّران الشمس والقمر
وقد قدمت بحفظ الله مدّرعاً ... من المهابة بردًا وشيهُ الظفر
فكان مقدمك السامي لنا فرحاً ... وعن قريب كسير القلب ينجبر
فالسعد اقبل بالاقبال مدبره ... وايقن الكلُّ ان يقضى له الوطر
وفي النفوس امانٍ طالما لهجت ... بها فحاول في اسعافها القدر
لكن بعزمك يا ابن الاكرمين أباً ... يتمُّ كل صلاحٍ كان ينتظر

﴿ وقال حضرة اليافع الفطن ابراهيم افندي العرب ﴾

ما للزمان أساءَ بالعلياء ... وازال عن مصرٍ جلال بهاء
مطرت سحائبه المتون مصائباً ... جلّت عن التعداد والاحصاء
مطرًا احاط فلا غرابة ان غدت ... مصر تنوح دماً مكان الماء
غدرت بنا الدنيا كما هو شأنها ... اذ انها ليست بدار وفاء
هجمت علينا الحادثات بموت مَن ... هو للورى كهف وبحر عطاء
شمس المعالي رب مصر محمد ... توفيق باشا ذو اليد البيضاء
ربُّ الندا واخو المكارم والحجي ... والعدل والتدبير بالاراء
قد كان كالعمرين حلماً مع تقى ... فلذاك احيى سنّة الخلفاء
شقّت عليه جيوبها كل الورى ... شقاً سرى منها الى الاحشاء
عمّ الانام مصابه فترا همُ ... غرقى بحار كآبةٍ وعناء
يا دهر ويحك كيف تغدر بالذي ... قد كان يمحو شدةً برخاء

يا كهف مصر كيف واراك الثرى　　او ما درى بك منبع العلياء

يا كهف مصر كم بك ازدانت وكم　　تاهت على الامصار بالآلاء

يا كهف مصر كم وكم من مسجدٍ　　احييته يا نور كل سناء

سُحب الرضا لمقامه هتّانة　　تترى برحمة ارحم الرحماء

لا زلت ارثيه على طول المدى　　فرثاه زادي والمدامع مائي

بنشيد نظمٍ ليس يشبهه سوى　　نغم يلذ به من الحوراء

يا دوحة المجد المؤثّل هكذا　　حكم المهيمن حكمة بقضاء

وليبقَ عباس العزيز لملكهِ　　بدراً ينير سماءهُ بضياء

وليبقَ للعدل الذي قد أورثته　　جلالة الآباء للابناء

ملك القلوب لهُ بهنّ منازل　　شيدت على عُمُدٍ من الاهواء

شيّدت يا عباس اركان العلا　　ورفعت مصرك عن ذرى الجوزاء

فرحت بك الدنيا وسرّت اهلها　　فغدا بها لعلاك طيب ثناء

ليدم لنا العباس انّ بملكه　　عزّ المدى والنصر طول بقاء

فلتبقَ مصرك جنّة بنعيمها　　طول المدى والوقت وقت صفاء

وليبقَ بيتك كعبة لاعاربٍ　　واعاجم واكابر الامراء

﴿ وقال حضرة البارع الاديب محمد افندي فتحي ﴾

(ناظر مدرسة بنها الاهلية)

الدهر فيه متاعب وشقاء　　ومآله بعد الحياة فناء

لا تركنن لودّه يوماً وان　　ابدى التواصل فهو منه جفاء

فاذا وفا يوما فلا تأمن له ... من اين للخصم الألدّ وفاءُ
الناس فيه تراهمُ سكرى كأن ... ظنوا بان لهم عليه بقاء
فالمرء مثل الطيف يأتي ليلةً ... ولدى الصبوحة يعتريه جلاءُ
تاتي المنية ناشبات ظفرها ... فتؤدُّنا تبا لها دهماء
ومن العجيب بانها تسطو على ... هذا المليك ولم يربها مراءُ
فلتبكِ مصر على العزيز وفقده ... ان كان منهم بعده احياء
لاكنتِ يا حلوان بئس مزارك ... غارت مياهك ليس فيكِ شفاءُ
أعلى العزيز يعزُّ شيءٌ فاخبري ... ان كنتِ صادقة وفيكِ دواءُ
تالله لم يكُ للنفوس مسرة ... كلاً ولا في ذي الحياة هناءُ
فالخطب عمّ الارض مشرقها ومغ ... ربها وزالت عنده السرّاءُ
حتى الكواكب حين غيّم بدرها ... حزنت عليه ولم يزرها ضياءُ
وكذا الجرائد قد نراها حزينةً ... والنور في أعيانها ظلماء
لو كان ذا البين المشوم مخيّرًا ... ابناء مصر لقالوا نحن فداءُ
شلّت يداه فكم له من سطوة ... ترتاب منها كواسر عبساء
سلب العزيز ولم يبل من لائم ... فهو العدو وبئست الاعداءُ
اخذ المليك مليكَ مصر أخا العلا ... في وصفه قد تعجز البلغاءُ
توفيق باشا خديوي مصر محمد ... لبعاده ايامنا ليلاء
فالحلم والتقوى لديه كلاهما ... والرفق والاحسان والاعطاءُ
والعلم والتدبير فيه تجمعا ... والعدل والاجلال والاسداء
والعزم ثم الحزم فيه توفرا ... وكذا مفاخر ما لها احصاءُ

لهفي عليها شمائل قد كُمّلت　　بسمو قدر جنابه حسناءُ
ركب الاريكة وهي ذات عراكة　　ودخانها تدنو له الجوزاءُ
فادارها بسياسةٍ وحماسةٍ　　وبرأيه لانت لهُ الصعباءُ
كان الجليل معِ الحقير كلاهما　　في عصر توفيق العزيز سواءُ
ارضى الجميع برفقه وبعدله　　اذ عمَّهم بالقسط منه رضاءُ
فترى الفلاحة قد تحسّن حالها　　وكسى اراضيها الخِرار بهاء
رفع الضرائب عن عوائق اهلها　　اذ قد تولى امرهم رحماء
فغدا المزارع في الديار معززا　　وعليهِ من رغد الحياة رداءُ
وكذا المحاكم قد سرت احكامها　　برجال عدل كلهم نبلاء
والريُّ إنتظمت جداول رسمه　　والارض قرّت مذ علاها الماءُ
فعلى مَ لم نحزن عليه مدى المدى　　حتى يجف من الجفون بكاءُ
ونشقُّ افئدة عليه فطالما　　منح الجميع من المليك ثناء
أفٍّ على الدنيا وما تبدي لنا　　غدّارة مكارة شمطاء
ما كنت احسب ان دهري خائن　　ويعود لي بعد الصفاء عناءُ
وارى مليكاً يستظل بتربةٍ　　تحت الثرى واهاً لها شعثاء
ضمته تلك الارض وهي شفوقة　　وعلت عليها طيبة فيحاء
هل هكذا يضحي العزيز مباعداً　　ما كان يخطر لي عليهُ فناء
حتى القبور فانها في حيرةٍ　　عجباً فتلك حجارةٌ صماء
جدث العزيز لقد هنيت بزورة　　وحظيت ما ترجو فبئس رجاه
رفقاً بـه ياذا الضريح فانه　　ملك شفوق دأبه الاقراء

يا آل مصر تجلدوا ولفقده صبراً فذا قدرٌ أتى وقضاءُ
سكن الجنان ملاقياً لجناب مو لاه الكريم فنعم هذا لقاءُ
والاه مولاه الرحيم برحمة فلآله الاطهار فيه عزاءُ
ما قلت ارخ للعزيز فابشروا توفيق باشا لهُ النعيم جزاءُ
١٥٤ ٥٩٠ ٥٩٦ ٢٠٤ ٣٥ ٢٠١ ١٢

سنة ١٨٩٢

﴿ وقال حضرة الشاعر الناثر الشيخ حميده سالم الدمنهوري ﴾

هناءٌ خديوينا بمنصبك الاعلى وتعزيةً في رُزْء والدك الاغلى
صفاءٌ بملكٍ ياعزيزُ رقيته وتأسيةٌ عن نازحٍ جاور المولى
وما فقدُ توفيق المعالي بهيّن وسهل علينا لا ولا بُعده كلّا
فبُعدُ ابي العباس عن عرش ملكه اساءَ رعاياهُ كما سرّهم قبلا
فيا طالما اولاهمُ رتب العلا وولاهمُ عزّا وعمّهم عدلا
ويا طالما بالعفو جاد تكرّما وأهداهمُ خيرًا جزيلًا لهم جزلا
فكم من اناسٍ يوم مصرعه اسىً لقد وجبتْ قلباً وقد ذهلت عقلا
وكم مهجةٍ ذابت لهول مصابه وسالت دموعاً عَندماً تسبق الوبلا
عفاءٌ على الدنيا فخطب فقيدنا على خسة الدنيا يقيناً لقد دلاّ
لقد دُكَّ طود المكرمات بموته وكلُّ صفاءٍ يومَ تشييعه ولّى
وقد غاضَ بحر الحلم والزهد والتقى بمَنْ لربوع المجد بالبعد قد خلّى
وأبدى له بدر الكمال تفجعاً وانجمُ علياه جوًى دمعها انهلّا
فلا كان يومٌ فيهِ أبرقَ نعيهُ ليومٌ عبوسٌ شرُّهُ للعلا جلاّ

عليه مِن الرحمن صَيّبُ رحمةٍ وغيثٌ مِن الغفران لازال منهلاً
وأَلهمَ آلاً خيرَ صبرٍ لوَ انّه يمرُّ مذاقاً فهو عند القضا اولى
على انكَ العباسُ أَسفرتَ بالمنى لملكٍ له وافيت كنتَ له اهلا
وما مات ليثٌ عنه طابت مآثرٌ وخلّف للعليـا سموكمُ شبلا
فيا حُسنَ يوم قد قدمتَ لنا به وشرّفتَ ملكاً نال من عزك الوصلا
فانتَ لنا عن سالفٍ خلفٌ له يُشدُّ به ازرُ النجاح ولا فصلا
وانتَ لنا المختار والمرتضى به وانتَ مليك القطر خيرُ من استولى
مليكٌ علا بين الملا بمعارفٍ يقصرِ عنها كلٌّ من رامها جهلاً
مليكٌ له بأْسٌ شديدٌ على العدا ورأْيٌ سديدٌ فتكه يزدري النبلا
مليكٌ له عـزمٌ وحزمٌ وهمّةٌ لها تسجد الابطال قولاً كذا فعلا
مليكٌ تهاب الاسدُ والناسُ بأْسه وتخشاه ان هزّ اليراعَ او النصلا
مليكٌ به يسمو التقدم للعلا وينمو به غرسُ الفلاح لنا الاحلى
مليكٌ به الاسعاد يعهد دائماً لما فيه من فهم وعلم به حلاً
به يغتذي القطر السعيد لسعده كروض زها نُورًا ونَورًا حلا شكلا
به لوطن الغالي العزيز لعزّهِ يعزُّ ويغدو كلُّ صعبٍ به سهلا
لقد حاز بين العالمين شهامةً شهامة اباۤء له قد سموا اصلا
فقل للذي قد رام يبلغ شأْوه تنحَّ لقد سدّت علاه لك السبلا
واوصافه الغرُّ الحسان جليلةٌ يقصرِ عنها كل من خطّ او أَملى
فيا حضرة العباس يا ملك العلا ويا من على عرش الفخار قد استعلى
قدوم بـإقبالٍ والٍ ممتعـاً بخير صفاء لم يزل دائماً يجلى

تدوم لما ترجوه من خير مقصدِ ... على رغم محتالٍ لاهوائه أحنلا
يدوم امير المؤمنين مليكنا ... وسلطاننا عبد الحميد لنا المولى
وبالفوز ياعباس ابشر لك البقا ... فطالعك الميمون للقطرِ قد هلا
وما الوالد المرحوم الا منعمٌ ... بدارِ نعيمٍ دائم الخلد لا يبلى
فهاك لسان الحال قد قال منشدًا ... لبيت بتاريخين طول المدى يتلى
بجنات عدنٍ حلّ توفيق ملكه ... وعباس يا بشراه قطرًا زها فضلا .

١٣٠٩ ... ١٨٩٢

﴿ وقال حضرة الاديب امين افندي البارودي ﴾

﴿ نجل حضرة الوجيه الحاج مصطفى البارودي من تجار الاسكندرية ﴾

وافى لنا البشر بعد الحزن والألم ... والدمع قد كان فوق الخد كالديم .
وكيف لا تأسف الدنيا لفرقة مَن ... كانت به تزدهي بالفضل والشيم
توفيق باشا الذي كانت عدالته ... بمصر مقرونةً بالحلم والحكم
واحسرتاه على من كان منطقه ... كالشهد فيه شفاء الناس من سقم
لكن لنا خلفٌ من بعد فرقته ... (عباس حلمي) جليل القدر ذو الهمم
هو العزيز الذي قد حاز منزلةً ... بين الأنام بفضل العلم والكرم
تشرفت مصر لما حلّ ساحتها ... وبشّرت بدوام العز والنعم
فليهناء القطر اذ كان الجدير به ... وكل من فيه اضحى اسعد الامم
فالله يحفظه طول المدى ابدًا ... مع الخليفة في بدء ومختتم

وقالت الفاضلة الكريمة ربة الفضل والادب وعقيلة المجد والحسب
حضرة المصونة عائشه هانم افندي عصمت بنت المغفور له اسماعيل باشا تيمور

هل منذر الاقطار اعلن بالثبور ... أم ساق جيش خطوبه دهر غدور
اضحى الورى ما فيه من جسم غدا ... ذا روح الا وهو مرتبك الشعور
خطب ألمّ بآل مصر ونكبة ... انذارها عمّ الفيافي والبحور
نبأ بصدمة شؤمه الارواح قد ... شُقّت مرائرها وان كانت صخور
فقد الخديويّ الرفيع سموه ... وتحمُّل الفقدان من عزم الامور
توفيق افق مراحم العطف الذي ... نتلوه كالآيات ما برحت ثغور
وتفجرت مهجُ النفوس بحسرة ... أصلت بحرّ الجمر اكباد الصدور
قمر علاهُ المحق ليلة بدره ... وكسى سماء الصفو بالظلماء سور
شمس تعالت في الضحى فاصابها ... وهن الخسوف وصدها دهر قهور
لما توشحت السماء بحزنها ... قد ادركتنا طلعة السعد الغيور
ما غاب بدر ابيه الا عمّنا ... من نور نيره بما جبر الكسور
حقق ابا العباس ملكك لم يزل ... بسمو نجل علاك نورًا فوق نور
والدهر تاب عن الخطوب ولم يعد ... فاقبل بفضلك عذر ملتمس شكور
أحييت يا عباس مصر وأهلها ... ولمجدك المعتز قد خضعت نحور
أنعشت بالظل الظليل رعيةً ... ورددت ارواحاً لها كادت تبور
فاحكم نقيّ العنصرين لك البقا ... وأنعم وسدْ وا عطف ودم طول الدهور
فالعصر ممتاز العصور بسيد ... والكل من تشريفه فرحٌ فخور

بالفوز مصر تجوهرت ارقامهـا ونتوجت ببهائها بالنصر نور (١)

١٣٠٩

وقال حضرة الاديب البارع الياس افندي جرجس الشدياق

أَلا عزَّ من ارضِ الكنانة منزلا تبدَّلَ من افراحهِ ما تبدَّلا

عريقاً بطيب الاصلِ واليومَ دُكدِكَتْ لنكبتهِ الجلّى ذرى المجدِ والعلا

اناختْ شعوبٌ في رباهُ بكلكلٍ فمادَ لهُ القطبانِ والناسُ مجملا

وحسبكَ من هول المصاب رزيئةً بها فقد الاسلامُ جرزًا ومعقلا

اغارتْ على (التوفيقِ) في غضّ عمرهِ وكانَ مكانَ الروحِ منهم وأفضلا

على غيرِ ما حينٍ عدتْ مشمعلّةً فكانتْ من الهنديِّ أمضى وأعجلا

بها اشتركَ القاصونَ واربدَّ وجههم وعمتهم الاحزانُ فتياً وكهّلا

ففي مصر من هذي الفجيعةِ رنّةٌ وفي الشام منها كُلُّ طودٍ تزلزلا

حلفتُ بربِّ الموتِ يا مصرُ اننا نقاسمكِ في الحزنِ شطرًا مكمَّلا

ولو تُفتَدى نفسُ الكريمِ بغيرها لعاينتِ منا كيف نفدي ذوي العلا

ولكنْ قضاء اللهِ بالموتِ شاملٌ نسيرُ أليهِ عاجلاً ومؤجَّلا

وما هذهِ الدنيا سوى نزلِ عابرٍ طريقاً ثواهُ الليلَ ثمَّ ترحَّلا

كما وطئتْ رجلاهُ فيهِ يريمهُ وينزلهُ مَنْ شاءَ ربُّكِ اوّلا

فلا تحزني إن ساءَ دهرُك فعلَهُ وعوّضكِ الرحمنُ خيرًا وأجزلا

فهذا مِن المولى تلافٍ معجّلٌ وذاك كتابُ الحقِّ في البدء أُنزلا

(١) لا يخفى ان فنون التاريخ كثيرة ومنها « المجوهر » مثل هذا التاريخ وهو ما اعتبر فيه الحروف المعجمة في الحساب الابجدي

ومَنْ فُقِدَتْ يسراهُ في حكمِ ربّهِ　　وأَخلفهُ عنها ذراعاً وانملا
فما هو مغبونٌ ولا هو خاسرٌ　　ولا يكُ مفقودَ ٱلعزاء مبلّبَلا
وهذا ختام القولِ في الحزم فابشري　　بعباسكِ يا مصرُ قد طبتِ منزلا

﴾ وقال حضرة الفطن حليم افندي عارف ﴿

طوى البلاد الى ان جاءني خبر　　فبئسهُ خبرٌ ما كان ينتظرُ
رزيئة أَنشبت اظفارها قدرًا　　واستحكم الرزء حتى عمَّنا الضجر
سقى الزمان خديوينا مفاجأَةً　　من الفناء كؤوساً صفوها الكدر
أَرى علائمَ احزانٍ لها اثرٌ　　في طيّ كل فؤادٍ وهو منتشرُ
غدرتَ يا موت بالتوفيق سيدنا　　ورب نازلةٍ قد ساقها القدرُ
هو العزيز كمالاً والعلى حسباً　　وما المكارم الاَّ منه تبتكر
له فضائل جمًّا لا عداد لها　　تحار في حصرها الاراءُ والفكر
سقى الغمام ضريحاً ضمَّ اعظمه　　بوابلٍ منه لا يبقي ولا يذرُ

﴾ وقال حضرة الفاضل الكامل احمد بك خورشيد مفتش ابا الوقف ﴿

ان من اعظم ما تفتتت به الكبود · وتناثرت من هوله الدموع على الخدود خطبٌ بنا قد نزل · ومصابٌ على كل مصري حل · وحادثة شقّت لها الجيوب · وفاجعةٌ احرقت القلوب · وعمّت بها الاحزان المدلهمة · ولحقتنا جميعاً الغمة · حيث قضى امير البلاد نحبه واسرع الى لقاء ربه · وكلٌّ منا كان يتمنى ان يفديه بنفسه · وبجميع ابناء جنسه · كيف لا وهو الامير

الذي قلما ياتي الزمان بمثله · ولا يستطيع سحبان وائل وصف بعض خصالـه وفضله · واننا نتضرّع للمولى ان يتغمده برحمته · ويسكنه في فسيح جنته · ويلهم آله الكرام الصبر الجميل · ويوهب لهم الاجر الجزيل · وان لا ترى العائلة الفخيمة الخديوية شيئًا من المصائب · وان يحسن لها العواقب · ولنا تسلية عمّا خسرنا بفقد ولي نعمتنا · بصعود شبلة الجناب العالي والكوكب المتلالي افندينا عباس باشا على الاريكة الخديوية المصرية جعل الله طالعه بالسعد مشمولاً وعمله بالرشاد موصولاً ولسان الحال ينشد لمصر قائلاً

لك مصر بعد الحزن ثوب كرامة   من حيث هذا الشبل من ذاك الاسد

وهذه المرثية الاتية نظمًا ما جادت بها القريحة والاجفان قريحة ولو لم تكن وافية بالمرام فلي العذر حيث قيل في المثل السائر بين الانام النمل يعذر في القدر الذي حمل

يا دهرُ ما هذه الانباء والخبرُ   ولِمْ نرى هذه الاكباد تنفطرُ
هل قامت الساعة الموعود آزفةً   أم كوّرت شمسنا أم غُيّب القمرُ
أم قد دُهينا بخطب غير منكشفٍ   ام ماجت الارض والافلاك تنتثرُ
أم قد ثوى بالثرى من لا نظير لهُ   قل لي فما هذه الاحزان والكدر
اجابني الدهر والاحزان شاغلةٌ   والدمع كالغيث فوق الخد ينهمرُ
اما علمت بما قد حلّ من كدرٍ   وقد تشتت منهُ العقل والفكرُ
قد مات توفيق واحزني وواسفي   لفقد من عدله يتلى ويستطرُ
هو المليك الذي ضنّ الزمان بهِ   رغماً عن الناس حتى ضمّهُ القبرُ
يا قلب مت كمدًا وابكي عليه اسىً   فالنار من داخل الاحشاء تستعرُ

يا قلب مت كمدًا وابكي عليه اسًى | لفقد من كان للخيرات يُنتظرُ
يا قلب مت كمدًا وابكي عليه اسًى | لفقد من كان منه العدل ينتشرُ
يا قلب مت كمدًا وابكي عليه اسًى | لفقد من كانت به الايام تفتخرُ
يا موت البستنا ثوب الحداد على | فقد الخديوي فكيف اليوم نصطبرُ
فأعين القطر تبكيهِ بمدمعها | والشرق يندبهُ والبدو والحضرُ
تغمد الله بالرضوان اعظمهُ | ما سحَّ غيث الندى او ما بدا القمرُ

﴿ وقال حضرة الاديب الفاضل الشيخ مصطفى محمود العنبتاوي الازهري ﴾

على مثل هذا الخطبُ يستنجدُ الصبرُ | وأنَّى اصطبار النفس اذ عظم الضرُّ
وفي مثل هذا الرزء متَّزر المنا | عليهِ كما شآء الوفاءُ غدا وزرُ
ومن لم يشق الجيب من كل منصفٍ | لخطبٍ دها الدنيا فذاك هو الغمرُ
ومن لم يرَ فرضًا عليهِ أنفجاعهُ | لما سآء مصرًا ساءهُ بالضنى الدهرُ
ومن لم يضاهي الوُرقَ في النوح عن جوًى
فذاكَ جدير أن يقاس بهِ الصخرُ
ومن لم يروّي التربَ من وبل دمعهِ | فدعهُ فان العين حاق بها الغورُ
ومن شام في الايناس والصفو مطمعاً | فمطمعهُ ناءٍ وذلك مغترُّ
أبعد أبا العباس تُرجى مسرَّةٌ | ويبسمُ حتى الحشر في ملكهِ ثغرُ
مليكٌ لقد عزَّ العزآءُ لفقدهِ | وزعزع ركن المجد وانصدع الفخرُ
وعمَّ الملا طرًّا مصابٌ أقلهُ | أجلُّ من الاطواد وارتعد الدهرُ
وذابت لهُ الاكباد منا كآبةً | ووجه المنا بعد المسرَّة مغبرُّ

وشملُ المعالي بات وهو مشتَّتٌ   فشتَّان واويلاهُ ان يجمل الصبرُ

فيا مصر حان الحين لا تأملي الصفا   وقد غاب عن افق العلا ذلك البدرُ

أَجلُّ ملوك الارض توفيق من غدا   لهُ كامل التوفيق يصحبهُ الامرُ

ومن عطَّر الاكوان معطار ذكرهِ   وفاح لهُ في كل آونةٍ نشرُ

ومن سادَ في عزمٍ وحزمٍ وحكمةٍ   وحلمٍ وعدلٍ حفَّهُ الفوز والنصر

وسار مسير الشمس في اوج مجدهِ   فجلَّ لهُ الاجلال والحمد والشكر

وقلَّص ظل الظلم منهُ بحكمةٍ   فاصبح غصن العدل يزهو به الزهر

ووطد عقد الامن في كل قطرهِ   لذاك حلا لم يحكهِ في الورى قطر

وشيَّد اركان المعارف فاعتلت   على هامة الجوزا وعمَّ بها الخير

فدانت له الاقطار شرقاً ومغرباً   على انه المفضال والملك البرُّ

فكم من خلالٍ للمليك تخالها   نجوم السما اذ ليس يدركها حصر

وكم من جلالٍ توَّجته يد الحجى   وحلاَّه درّ الحلم فارتفع القدر

وكم من كمالٍ كللته يد العلا   على رغم انف الضد يغبطه البدر

وكم كسر قلب العبد في حسن بشره   واسعافه المشهور قابلهُ الجبر

فمازجت الارواح صهباء حبه   واوهنت الاشباح اذ مسهُّ الضرُّ

وقد جلَّت الاتراح اذ خلف الورى   بحزنٍ يذيب القلب علقمه المرُّ

كذا العين يوم البين من لاعج النوى   لسائلها أَنَّى نظرت جرى نهر

وامست لظى الاكباد من زائد الاسى   لما بالضلوع الباليات غدا سجر

وجيد المعالي بات في الكون عاطلاً   وفُلك الاماني في الملا ما له سير

ومن اسفٍ مصرٌ الى الحشر تبكهِ   ومطوي صفاها لوعة ما له نشر

وقد حلفت ان لا تزال على المدى ... مخالفة للحزن ليس لها بشر
وقد حنثت في الحلف اذ قد تبسمت ... بعباس شبل الليث وانشرح الصدر
فصار لها من معضل الوجد آسياً ... وابهجها اذ فاح من ذكره العطر
فبات هزار الانس فيها مغرّداً ... ليهنك لألآء الحبور لـه بهر
فقرّي عيوناً واطرحي مثقل العنا ... ولا تجزعي فالعسر يعقبه اليسر
على ان طيبَ الاصل سار لفرعه ... ومن حسن نور الشمس قد حسن البدر
ومن قد قضى بشراه قد عمَّهُ الرضا ... من الله اذ لولاه ما استأُصل الجور
مضى لجنان الخلد فينا مخلّداً ... له سيرة الفاروق يشفعها الفخر
وشهمين فيما نال من حكمة سمت ... حكاه وكلٌّ في معارفه حبر
فلا برحا بدرين في أُفق عزة ... ولا سيما من نيط في مجده الامر
سميّ الذرى عباس ذو البأْس من زها ... بطلعته الغرا يا صاح ذا العصر
فلا زال في حصنٍ من السعد واقياً ... بصارمـه يُستفتح الفتح والنصر
وبدء نجاحٍ نجمـهُ غير آفلٍ ... بحسن ختام ما زها في الربا زهر

﴿ وقال حضرة النبيه اسماعيل افندي حيدر ﴾

يا مصر ويحك جاءتك المصيباتُ ... وقد الّمت بناديك الملماتُ
يا مصر ويحك من بعد الصفا كدرٌ ... به تسوءكِ بعد العز حسراتُ
يا مصر جودي بدمعٍ وامزجيه دماً ... بالحزن اوّاه قد غابت مسراتُ
يا مصر ثوبُ حدادٍ فالبسي جزعاً ... على العزيز لهُ كانت عناياتُ
يا مصر فقد ابي العباسِ صيرك ... حزينة وبـه عمت مصيبات

يا مصر نوحي دواماً واندبي ملكاً ... عن مجده في الورى صحت روايات
يا مصر نوحي حُرِمتِ أُنس طلعته ... وهمة كم لهـا كانت سيادات
يا مصر منك فقدت الروح من بدنٍ ... لحالك اليوم كم ترثي الولايات
يا مصر هل مثلُ توفيق المليك ترِي ... مليك عدل لهُ فاقت كمالات
يا مصر ما للرعايا من يغيث لها ... من بعده ويح هاتيك الرعيَّات
يا مصر مَن للمزايا بعد امجدهـا ... من فقده كم لها دامت شكايات
يا مصر بدرك من فاق الورى شرفاً ... في الرمس عنكِ له قد صار غيبات
يا مصر خطب دهاك اليوم غائلة ... به تصعدّ من أبنائك زفرات
يا مصر حزنك كم سار المثال به ... في الكون جلت رزاياه الجليات
يا مصر كم عقدوا للنعش مأتمـه ... بنوكِ وجداً ومنهم سال عبرات
يا مصر قد سار والاجلال يقدمه ... بين الأكابر كم تعلوه هيباتُ
يا مصر والله اضحى الفضلُ مكتئباً ... واظلمت في نهار الهول اوقات
يا مصر حقٌ لاهل العصر تعزيةٌ ... بمن بـه كم لهُ فينا مزيات
يا مصر منك اديمي للمليك ثنا ... فهو الذي منه قد كانت رعايات
يا مصر نطلب من مولاه خالقه ... على ضريح لهُ تنهـلُّ رحماتُ
يا مصر لما به الجنات بهجتهـا ... اضحت تفوق وجاءتها المبراتُ
يا مصر لما لها داني وحيد عـلاً ... جاهٌ لأُنسٍ له تسمو مودّات
يا مصر رضوان بالتبجيل ارخه ... توفيق وافاك جاه الانس جناتُ
١٣٠٩ ... ٤٥٤ ١٤٢ ٩ ١٠٨ ٥٩٦

—*—

﴿ وقال حضرة النبيه علي افندي لبيب ﴾

(كاتب بقلم تحريرات مديرية المنيا)

يوم الخميس العهد فيه سرور ... وبمثله علمُ العلا منشور
فولادة وولاية في مثله ... وعلى العدا ربُّ الهدى منصور
يا دهر مالك بالعزيز سقيته ... كأس المنون فذاك منك فجور
خنت الصفاء لذي الوفاء محمدٍ ... توفيق مصر عزيزها المشهور
مَن مِن نداه مصر نالت سعدها ... بعد الخمود فسعدها موفور
يا شؤم يوم قد سمعنا فجأةً ... خطباً عظيماً ساقه التقدير
عَظُم المصاب وبُدّلت افراحنا ... ترحاً عقيباً ان ذا مقدور
كم مقلةٍ فاضت بسحب مدامعٍ ... وقلوبها ويل لها وثبور
والكل من جزع تراه قائلاً ... مات الخديوي فالزمان غدور
ان لمتُ صرفَ الدهر فيه اجابني ... لا لوم حقاً فالحياة غرور
يا قصر حلوانٍ علتك كآبةٌ ... وعَلاكَ من بعد البها تغيير
ويلاه من دهر خؤون كاذبٍ ... خان الامير وانهُ لغدور
تباً لهُ من غادر افضى بمن ... بالحق شُيِّدَ ديننا المنصور
توفيق مصر السيد البطل الذي ... هو للمعالي بحرها المسجور
يا آل مصر إندبوا (دست) العلا ... فبموته انّ العلا مقبور
وتاسفوا لفراقه وادعوا لهُ ... خير الدعاء فكلنا مأجور
حيَّاه مولاه فقرّبه الى ... دار النعيم صلاحه الاكسير
كلٌّ يساق الى الممات بحكمةٍ ... لا آمر يبقى ولا مأمور

في فقدنا توفيق اعظم شاهد ... ان لا يدوم مع الزمان سرور
اضحى مديح الحسن فيهِ مراتباً ... للناس فيهِ ضجة وزفير
رضوان في توفيق ارخ قربهُ ... دار النعيم مقره والحور
١٣٠٩

يا آل مصر اصبروا لا تأسفوا ... فلكم بعباس الامير حبور
نسل العزيز وذروة المجد الذي ... بقدومه زال العنا والجور
قوموا لسدته العلية قدموا ... فرض العزآء فسعيكم مشكور
وعلى السلامة هنؤوه بصحة ... فإلهنا عون لهُ ونصير
وتحققوا نيل الاماني واعلموا ... ان الآله لما يشاء قدير
للقطر اقبال فارخ نابها ... بشرى بعباس المنى وسرور
١٣٠٩

(وقال حضرة الاديب الشاعر ابراهيم افندي بركات)
(مدرّس اللغة العربية في المدرسة الافرنسية بطنطا)

طود العلى اليوم قد ثُلَّت رواسيهِ ... فراحت العزة القعسآء تبكيهِ
والمجد يتّمهُ الدهر الخؤون فقد ... أبى العزا ابدًا ممن يعزّيهِ
والعزّ يندبهُ والفخر ما برحت ... تهمي الدموع دمآء في مآقيهِ
بكت عليه المعالي فهو دعمتها ... لمّا نعاهُ لها ويلاه ناعيهِ
فالفضل نادبهُ والبرّ ناحبهُ ... والقدر ثاكله والنصر باكيه
اذا المفاخر ناحت والمآثر ما ... دامت عليه فهذي من مواليه

قد كان ذا سطوة والدهر يرهبهُ ... وليس يسلم منه من يناويهِ
كانت تطأطيء في الدنيا افاضلها ... هاماتها عند ذكراه بلا تيهِ
من ذا الا فهو توفيق الذي كلفت ... به المحامد والعليا تناديهِ
عزيز مصر الذي فاق الملوك علاً ... وليس في الارض من ملك يباريهِ
عزيز مصر من انقادت مذللةً ... لهُ السيادة فاختصت بناديه
لهفاً على من غدا لحدُ الضريح لهُ ... مثوىً وكانت ذرى العليا مثاويه
لهفاً عليه فقد كانت سجيتهُ ... للعدل تحيي وكان العدلُ يحييهِ
لهفاً عليه فكان النصر عابده ... دون الانام وليس الدهر يعصيه
مضى وغادر مصر الان نائحةً ... إذ لا ترى في البرايا من يحاكيه
لولا الرجا بابنهِ العباسِ يخلفهُ ... لدكَّ عرش المعالي من مبانيهِ
كانت تفرّج خطب الدهر همتهُ ... ويقهر الحُسَّر الباغين ماضيه
كانت رأفته تحيي اعابده ... كانت تعمُّ رعاياه أياديه
فالشمس قد اظلمت من بعده اسفاً ... والبدر فقدانه التوفيق ماحيه
والارض قد اصبحت للحزن مائرةً ... والملك مكتئبٌ من بعد حاميه
لوكان للمرء في الدنيا فِدًى لغدت ... سادات ذا العصر بالارواح تفديه
لكنما الموتُ ان يُنْشِبْ براثنه ... بابن امرءٍ ليس حرزٌ منهُ ينجيه
كلٌّ يعود الى الصلصالِ ان ملكاً ... وان رقيقاً وما هذا بتمويه
لكن فما مات مَن دام الزمان لهُ ... ذكرٌ يفوح ولا مسكٌ يضاهيه
كالملك توفيق مَن كلُّ الدُّنى عبقت ... بذكرهِ ذكرهُ في الدهر محييهِ
فليجعل الله في الفردوس منزله ... وقبرهُ سحب الرضوان تسقيهِ

﴿ وقال حضرة المنشئ الفاضل والشاعر المجيد سعادة اسماعيل بك ﴾
(صبري وكيل محكمة استئناف مصر الاهلية)

نحن لله ما لحيٍّ بقآء وقصارى سوى الاله فنــآء
نحن لله راجعون فمن مــا ت ومَن عاش الف عام سوآء
يفرح المرء في الصباح وما يعــلم ماذا يكنُّهُ الامسآء
ومتاع الدنيا قليـل وما يلـهو به المرء من حطامٍ هبــاء
زهّد الناس في الحياة مُلمٌّ روّعتنا بهوله الانبآء
قصر حلوان كنتَ أنضر قصرٍ فيهِ يحلو ويستطاب الهوآء
كنتَ ذا هيبةٍ يحاذرها الدهــر وتكبو امامها البأســآء
كيف أصبحتَ مستضاماً وللخطــب الى ركنك المنيع ارتقآء
مــا كذا عهْـدنا بعزِّك ترميــهِ الليالي او يعتريه انقضآء
كان بالامس في ذراكَ ابو العبــاس تحيي ببشره الاحيآء
فطوت برده الخطوب وكانت قبل تشقى بسعده وتسآء
ويح مَن شيعوه قد اودعوا القبــر كريماً يبكي عليه العلآء
وارتضوا بالبكا وما الحزن إلاّ أن تسيل القلوب والاحشآء
عاش فينا عذب البشاشة والاخــلاق تروى به النفوس الظمآء
وتولّى وفي الصدور من الوجــد عليه ما ليس يرويه مآء
عُطِلّتْ مصر من سناه كما قد عُطِلّتْ من حُليّها الحسنآء
كل خطب في جنب خطبك يامصــر يرجّى للناس فيـه عزآء
ما يقول الراثون في فقد توفيــق وماذا تحــاول الشعرآء

والرزايا في بعضها يطلق القو   ل وتعيي في بعضها البلغاء

ان مولاك كان أحسن مَن تز   هى بانوار وجهه البطحاء

كان للتاج فوق مفرقه ضو   ء لديه تحقر الاضواء

كان يجلو دجى الكوارث ان جلـت   برأيٍ تعنو له الآراء

كان ادرى الملا بكسب ثناء   آه لو خلد النفوس ثناء

آل توفيق الكرام البسوا الصبـر   رداء فالصبر نعمَ الرداء

انتم الراسخون في علم ما كا   ن فقولوا مَن ذا عداه الفناء

أين قوم شادوا البلاد وسادو   ها وكانت تهواهمُ العلياء

ملكوا الارض حقبةً ثم امسوا   وهمو في بطونها نزلاء

سنّة الله في البرية لم يسـ   ـتثنَ منها الملوك والانبياء

لا أُعزّيكمُ وانّي لقولي   ان تعزّى بمثله الحكماء

احمدوا الله في العشية والإصـ   ـباح فالبؤس قد تلاه هناء

ان يكن خرّ من سمائكمُ بد   ر فعباسكم به يستضاء

ورث الملك عن ابيه فلما   قام بالامر دبّ فينا الرجاء

واجتنيناهُ طود مجدٍ وسورًا   دار منهُ حول البلاد بناء

حبذا منه همة تترك الصعـب   ذلولاً وعزّة قعساء

وثبات في طيه وثبات   للمعالي وحكمة واباء

وصفات عن كنهها يعجز الوصـف   وفيها يستغرق الاحصاء

دام يكسو الزمان حسنًا ويسدي   أنعمًا لا يشوبهنّ انتهاء

﴿ وقال حضرة الكاتب البارع اللوذعي احمد افندي شوقي احد موظفي السكرتارية الخديوية ونزيل مدينة باريس الآن ﴾

بين ماضي الاسى وآتي الهناء … قام عذر النُّعاة والبشراء
نبأٌ معذر نفى بعضه بعـ … ـضاً فكان السفيه في الانباء
سرَّ من حيث ساء كلَّ مصافٍ … ساءَ من حيث سرَّ كل مرائي
ما نظرنا محمداً في فتاهُ … أن غفرنا الضرَّاء للسراء
هابنا الدهر فيه حياً وميتاً … فاتانا من دائنا بالدواء
وعزاء البلاد ان يخلد المُلـ … ـك وتحيي الاباءُ في الابناء
لهف نفسي على نظام نعيم … حلَّه الدهر باليد العسراء
كل شمل الى شتات وتبقى … في التئام جماعة الجوزاء
بئست الدار ابكت الطارق المو … لود من غير علة للبكاء
حسنت نارها وساء قراها … هل رايت المجوس في الظلماء
بينما القوم يوقدوها صباحاً … اذ تراهم وقودها في المساء
وتراها بينا يرى المرءُ منه … ذا وطاءٍ حتى يرى ذا غطاء
عاذت الطير منهُ بالجو لكن … عُلِّقتْ من حباله بهباء
ودَّ لازار يوم احياه عيسى … لو تذوق المنون طعم الفناء
وهوى يوم عاود الموت لو لم … يحيه للردى فتى العذراء
ولو أن الفرار في وسع نفس … لزم العرش صاحب الاسراء
إن سرَّ الحمام في النفس سار … وقصارى الطبيب في الافشاء
فهو الداء واحد ورثتـه النـ … ـاس عن آدم وعن حوَّاء

والذي ارتاحت العقول اليه زخرف من وساوس الحكماء
(في امان النعيم توفيق مصر) فرع خير الولاة والاولياء

١٣٠٩

يا جمادى ألم يكن كل بدر الا م رض يفدى بنصف بدر السماء
يا جمادى اما ترى حاضر البد رين صفرًا من السنا والسناء
يا جمادى فجعت فيه اباه رجبًا صاحب اليد البيضاء
يا جمادى لولا مكانة عبا س لكُنتُ منك سم الهجاء
يا اميري ابا اميري المفدّى مَن لشعري بذلك الاصفاء
اسهرتني المنون فيك ونامت لا خَلَتْ عينها من الاقذاء
وأطارت عن المضاجع جنبي اسكن الله جنبها كل داء
اعجلت منك مصدر العدل والاحسان والحلم والتقى والسخاء
مَن رأت مصر ملكها مطمئن العهد فيه وفي ابنه بالوفاء
قام بالامر والبلاد بلا ما ل وشمل الامور ذو اجزاء
جاء والعصر فخره ببنيه وفخار المصري بالقدماء
فبنى في البلاد للعلم دُورًا تتباهى بالفتية النجباء
وابى ان يقال عن مصر والاهرام فيها تضنُّ بالبناء
ويحول الحراث من هرم بين ثراها الوافي وبين الثراء
ويرى الناس ان فلاّح هذا العصر فلاّح غابر الآناء
فحباها دار الفنون وحيا ها بدار الزراعة الفيحاء
ومحا السخرة التي عهدها عهد قيام الاهرام في الغبراء

ليس للناس بعد خطبك رأيٌ يــا مبيد الخطوب بالآراء
علم السلم عند رأسك ساهي الــطرف باك بالعبرة الحمراء
امسك النعش منك سيفاً مهيباً طاهر النصل زاهداً في الدماء
وذوى فيه منك روض كريم الغــرس داني مواقــع الافياء
وانطوت فيه منك شمس تجلى عند تهطال خمسة الانواء
ملأ النعش منك والكفن الاطــهر ملء السرير مــلء الرداء
ما هممنا بان نفديك حتى نقض الدهر فيك عهد الفداء
وبعثنا لك الرجاء طبيباً فنعوه اليك قبل اللقــاء
لا جزى الله قصر حلوان خيراً وجزــى عابدين خير الجزاء
ذاك اخفى عنا سناك وهذي بفتاك السامي العلى في ازدهاء
أعذرت يوم أنذرت فتلقتــك ونار الفراق في الاحشاء
شاد توفيق مصر ما شاد من فضــل وعدل لقــومه وعلاء
وابى الدهر سرعة فيه الا ان يتم ابنه نظام البناء
(يا مليكي عباس هنئتها علــياء جاءت تمشي على استحياء)
هو ذا الدهر عند بابك القى عذره فاعف لا يعد للرياء
وتجلد لاجل مصر فلولا ك لمــا همَّ قلبها بالعزاء
واحمل السيف والبس التاج وارقَ العرش وانهض بالدولة العلياء
وزد الملك من شبابك حسناً وانر عصرهُ بذاك الذكاء
فكفى الوقت مرشداً لك ترقى فيه مرقى ملوكه العظماء
وكفى العلم منك انك تدري كيف ترقى البلاد بالعلماء

فأَعد دولة المنابر فينـا ان هذا الزمان بالخطباء
وارعَ قانوننا الرحيم وخذه مستضيئاً باشرف الاسماء
انت ان أُحصيت لغات البرايا ترجمان الزمان في الفصحاء
زرت ما زارت النجوم من الار ض وبارحتـه مقيم الثناء
فسبرت الزمان ارضاً وناساً وقلوب الملـوك والامراء
وتركت الورى يقولون لا يشـرك هذا الامير للازكياء
لك عند الملوك منزلة في الحـب فاغنم رعايـة الاصفياء
وتعزّز برب (يلدز) حامي حوزة الدين قدوة الخلفـاء
إن عبد الحميد سيف نضته آل عثمان هاشميّ المضاء
صدق الوعد مصر فيك وما زا ل حفياً بآلك الكرماء
ورأى فيك رأي نور من الصد ق جديرًا بذاتك الغرّاء
لك شورى ابيك تلقى صواباً في مرائي رجالها الامناء
ان تحرّر عقولهم تملك الآ راء والنيرات بالاضواء
ولك المجلس الرفيع جـلاه أبلج الرأي مكرم الوراء
بايع الجيش منك اسكندر الاكـبر في البأس والنهى والقناء
ضاحك السن لابتسام المواضي مائل العطف لاهتزاز اللواء
إن خيلاً حملنَ سوزستريس الـعصر اولى الجياد بالخيلاء
ضاقت الارض عن جلالك في السلم فماذا تركت للهيجاء
حبذا الجند إنهم يا ابن ابرا هيم ابنـاء صحبه الاقوياء
قمت فيهم قيام جدّيك من قبـلك في يومَيْ الندى والنداء

وعلى الآل من علاك جلال وكذا الرأس زينة الأعضاء
وحواليك كامل الفضل والصنو علي متوّجاً بالبهاء
دام يرقى في ظل ملكك بدرًا في ذرى السعد ساطع اللالاء
وتهنأ بالنعمتين وفاخر بسماء اعظم بها من سماء
وطني قبلتي وأنت امامي بك فيها لوجه ربي اقتدائي
راعني وارعني وكن لي أُصفي لك حبي وخدمتي وولائي
ولساني فانه لك ارثاً عن ابيك اشتراه بالآلاء
انت مصر ومصر انت فدوما ابدًا في رفاهة ورفاء
جئتها راقيا فيا عصر أرّخ جاء عباس مصرنا في ارتقاء

سنة ١٣٠٩

﴿ وقال حضرة الاستاذ الفاضل الشيخ احمد الحملاوي ﴾

﴿ المتخرج من مدرسة دار العلوم الخديوية ومدرس العلوم العربية بها ﴾

الدهرُ بحرٌ والمصائب برُّهُ والعمرُ نظمٌ والمنية نثرهُ
والمرء يلهو بالحياة وما دري يا ويحهُ ان التراب مقرُّهُ
يمشي الهوينا في الحياة وانهُ بعد الممات على الرقاب ممرُّهُ
والدهرُ يظهر للأنام صداقةً في فعله اما الردى فيسرُّهُ
حتى اذا ملأ القلوب بغرّةٍ قلب المجنّ وقد تبدى شرُّهُ
لا تأمن الدهر الخؤون فإنهُ للعهد خوّان قريبٌ غدرهُ
لو بالعهود يفي لما اخنى على توفيق من غمر البرايا برُّهُ

تبكي المعالي والفضائل بعده ... والمجـد ولَّى بعد عزٍّ بشره
والناس في حشر وراءَ سريره ... في يوم مات فلا تنوَّر فجره
والجو اظلم والجبال تدكدكت ... والقطر غاض من التلهف نهره
والروض من بعد الزهوّ تنكست ... اغصانه وازورَّ حزناً زهره
والقطر قد لبس الحداد لفقدهِ ... حيث المصاب به جليل قهره
قد كان وبلاً في الرعية صيّباً ... تزهو مواقعه ويُحمد امره
لهفي على ملكٍ تقضَّى نحبه ... قبل التمام فغاب عنا بدره
لهفي على ملك توارى في الثرى ... فالقبر من بعد التنعم قصره
لهفي على البرّ الرؤوف لمصره ... لهفي عليه قد تحسر قطره
لهفي على من كان في درج العلا ... يرقى ويسمو في الممالك قدره
لهفي على فقد المليك فانهُ ... قد احرق المهج السليمة حرُّهُ
يا رب الهمنا بفضلك بعده ... صبرًا فان القلب ولى صبره
واجعل لنا العباس خير خليفةٍ ... حتى تنال به السعادة مصره
وأنل اباه في النعيم مراتباً ... علياء كي يحظى و يشرح صدره
ما قال رضوان الجنان مؤرخاً ... توفيق في عز النعيم مقرُّه

سنة ١٣٠٩

﴿ وقال ايضاً حال مرور مشهده مشيرًا لسريره مقتبساً من القرآن الشريف ﴾

يا معشر الاخوان هذا مشهدٌ ... لمليك مصر خير من فيها ملكْ
واليكم (التابوت فيه سكينةٌ ... من ربكم وبقية مما تركْ)

وقال بعد دفنهِ والعود من تشيعهِ

يا كوكباً مُحِيَتْ من مصر طلعتهُ   بالله ما حان وقت المحو ما حانا
ما كنتَ احسب ان البدر ننظرهُ   تحت التراب وقد صدَّقتهُ الآنا
فالعين ان دمعت والنفس ان جزعت   فما أَقامت على الاحزان برهانا
سقاك مولاك غيثاً من مراحمهِ   كغيث جدواك هتَّاناً فهتَّانا

وقال حضرة الاديب علي افندي السيد بعنابر بولاق

قالوا توفي هذا اليوم توفيقُ   فقلت خطبٌ لهُ في القلب تمزيقُ
قالوا أَلم ترثه حزناً فقلت لهم   ما لي لسانٌ اقول الحق مطلوقُ
وما حصر[illegible] وبي طربٌ   فكيف أُحصي وقلبي اليوم محروقُ
ما بي ش[illegible]ري بل أُؤرّخهُ   الملك لله مُتّ اليوم توفيقُ

سنة ١٣٠٩

وقال حضرة المحترم النبيه الشيخ محمد عثمان سعد ابو نمر
(احد امراء ومشائخ العبابدة)

ما زلتُ مذ وضع الفراش لجنبه   ورقى عليهِ خائفاً اتوقعُ
شفقاً عليه ان يزول مكانهُ   عنا فنبقى بعدهُ نتفجعُ
ليت السمآء تفطرت اكنافها   وتناثرت منها النجوم اللُّمَّعُ
لما رايت الناس هدَّ جميعهم   موت ينادي بالنعيّ فيسمعُ
والناس حول مليكهم يدعونهُ   يبكون أعينهم بمـآء تدمعُ

وسمعت صوتاً قيل ذلك هدَّني عباس ينعاهُ بصوت يفظعُ
فليبكهِ اهل الكمال جميعهم والمسلمون بكل خطب تجزعُ

وقال حضرة النبيه نجيب افندي فوزي

الموت حتمٌ والفتى مقهور والصبر مرٌّ والنوى مقدور
وبفقد توفيق العزيز محمدٍ لحق الملا والعالمين ثبور
لما اتى امر الاله لهُ فقد حفته رحمات وفج النور
ومذ اتى التابوت من حلوان قد سالت دموع الخلق وهي بحور
وتفتتت احشاءهم وتقطعت ومضى ودمع المقلتين غزير
والعين عبرى والحشا متمزق والصبر فانٍ والزمان غدور
يا وارداً يوماً على قبرٍ لهُ قبِّل لي ترب القبر حين تسير
كم قائل لا تبكينَّ محمداً قلت وعندم مدمعي منثور
ان لم ابادر بالبكاء فاعين الا م حب تقول بانَّ بي تقصير
آليتها الا البكاء سويةً حتى يرى من بالبكاء جدير
قالوا الا تدري بمن بلغ السها ولواء فضله في الورى منشور
رب السياسة والفصاحة والعلا كنز الفضائل عزمه مشهور
عباس باشا وليُّنا واميرنا وبكل فنٍّ عالم وخبير
مولاه قد ولَّاه امر عباده فتلقَّى امر الله وهو صبور
لا زال في حفظ الاله ممجداً برجاله وعلى العدا منصور

﴿ وقال حضرة الفاضل الكامل سعادتلو سليم بك تقلا ﴾
(صاحب جريدة « الاهرام » ومحررها)

أَطلق لطِرف الطَّرف قيد تبصرٍ ... وأَجلْ بمشهد مصرَ لحظ تفكرِ
خطب دهى توفيقها فتفطرت ... من هولهِ الاكباد اي تفطرِ
شقَّ القلـوب فسال مدمعها دماً ... وطغى فاغرقها ببحر احمر
وعدَ الزمان بان يكون مسالماً ... اخلفتَ وعدكَ يا زمان فكفّر
لكِ مصرُ من دون الزمان عنايةٌ ... نظرت اليكِ بنعمةٍ لم تكفر
لم يهو نجم سناك حتى أُطلعت ... لكِ في سماء المجـد ازهرَ نير
لم يذوِ غصن علاك حتى انبتت ... لكِ خير غصنٍ في حديقة مفخر
لم يدبر الاقبال حتى ارجعت ... لكِ عاجلاً اقبال ذاك المدبر
لم تذرِ في العبرات حتى بردت ... لطفاً سخين المدمع المتحدر
لم تشعري بظماكِ حتى اترعت ... مرعاك من غدق السحاب الممطر
لم تفقدي توفيق حتى عوّضت ... لكِ عنهُ بالعباس مولاك السري
ان كنتِ امس شهدتِ غضبك مغمدًا ... فاليوم شاهدت اهتزاز السمهري
او كنت امس لقيت عيشك احمرًا ... فاليوم فزت بطيب عيش اخضر
او كنت امس رأَيت ليثك رابضاً ... فاليوم فزت بشبل ليث مخدر
او كنت امس وردت ماءكِ آسناً ... فاليوم ذقت صفاء ماء الكوثر
او كنت امس فقدت خيرَ مدرّبٍ ... فليوم قـد وافاك خير مدبر
لبيك مصرُ اتاكِ عباسٌ وقـد ... لاقى المصاب بحكمة وتصبر
وافاك بحرًا فوق بحرٍ فاعجبي ... بحرٌ كبيرٌ في السفين الاصغر

شهدت بهِ الاسكندرية سيدا متميزًا برصانةٍ وتوقر
فاستقبلتهُ وودعتهُ مضيفةً جمل الثنا لدعائها المتكرر
واحتل قاهرةً بموكب عزةٍ وبطلعة القمر المنير المسفرِ
ومضى الى قصر الاريكة سائدًا والناس بين مهللٍ ومكبر
حتى اذا وصل المقام يحفهُ الـ علماء والعظما ورهط العسكر
شهروا ارادةَ سيد الخلفاء سلـ طان الملا عبد الحميد الاكبر
فعلا الهتاف مع الدعاء وقد دوت تلك المدافع في لسان مبشر
هـذا اميرك مصرُ فرع ارومةٍ طابت وقد نضرت بغصنٍ مثمر
غصنٌ لهُ لينُ الغصون لخلّصٍ ولهُ لمن ناواهُ لينُ الاسمر
لكِ منهُ حلمُ الشيخ في سن الفتى والمجد نشأةُ همةٍ وتبصر
سيعيد مجد جدوده بعظائمٍ تنبي وينبي عن كريم العنصر
ويشدُّ أزر التابعيـة والولا بسيادة السلطان تاج الادهر
مولايَ يا عباس يا بحرَ الندى بكَ مصرُ قد جرّت ذيول تبختر
وكلت اليكَ شؤونها فتولّها وانظرْ الى غور الادارة واسبر
ادركتَ في طلب المعارف غايةً وبها جلوت بهاء ذاكَ الجوهر
لك من علومك حكمةٌ عمرية ومن الشباب مضاء حد الابتر
والفخرُ في قلمٍ تعززهُ ظبىً طيَّ الاكفِ على متون الضمّري
فلك اليراعةُ تجتلي برشادها بيض المعاني من سواد الاسطر
ولك الحسام خطيبُ من شقّ العصا وجماجمُ الاعداء عودُ المنبر
فسس البلاد وسد وجاهد واشّد وارفع وحطّ ورقِ وانهِ وأْمر

واعطف وبرّ ضعيفها ووليها ... وانظر الى عمّالها وتخير
ودع المآثر دونها الآثار من ... منقدم فيها ومن متأخر
وانشر لواء الفضل في اهرامها ... ذكرًا لمجدك في جميع الاعصر
واضرب على ذكرى الرشيد وآله ... وتلقَّ مني معجزات البحتري

وقال حضرة الشاعر المجيد والناثر الفاضل الشيخ محمود بن مسعود الشيخي

من صروف الزمان ما لا يجارى ... ومن النائبات ما لا يدارى
سل نجوم السماء هل فقد البد ... ر فاني رايتهنّ حيارى
وسل الافق ما الذي حلّ حتى ... البس الشمس في الهجير اصفرارا
وسل الناس ما المصاب فها هم ... كالسكارى وما همُ بسكارى
نبأٌ جلّ وقعهُ حيثما حلّ ... م فاضنى القلوب والابصارا
ومسلمٌ لهولهِ مادت الار ... ض فشقت جبالها انهارا
سلب المجد واستباح نواديـ ... ـهِ وبزّ الملا العلا والفخارا
واذا ما التوفيق غادر قوماً ... آنسوا بعده الاسى والصغارا
اصبح اليأس بعد فقد ابي العبـ ... ـاس للناس مبسماً وشعارا
ساكني مصر هل عدمتم فداءً ... للمليك الذي فداكم مرارا
مَن يواسي اسقامنا غير هيّـ ... ـابٍ وبآءٍ وقد فشا واستطارا
مَن حبانا القضا من شرعة العد ... ل وقد كان قبلهُ إيثارا
من حمانا اقصى المظالم ممـا ... كان من قبل عهد كسرى ودارا
تلك آثاره تدل عليـهِ ... أنسيتم من بعدهِ الآثارا

لهف نفسي عليه اي ضريحٍ ضمن الجود والوفا والوقارا
قبل هذا المصاب ما كنت ادري جُدُث الارض تحجب الاقمارا
إيه عينيَّ كفكفا الدمع لا أر ضى لذا الخطب مدمعاً مدرارا
كيف ارضى البكا وما الحزن الاَّ ما تلاشت له القلوب انفطارا
رزء مصر تجاوز الناس حتى الشمس والبدر والدجى والنهارا
فادلهمَّ الفضا علينا ولولا الكوكب المرتجى بدا ما استنارا
ذخر مصر العزيز عباس من لو م لا تُقاهُ لغالب الاقـدارا
ليثُ خيسٍ في صورة الظبي قد نال كما شآء رقةً واقتدارا
يستشفُّ الصواب من ستر الغيب فيمضي وما ونى واستشارا
حكمة الشيب في ثبات شباب زادها العـلم دربةً واختبارا
لم يجاوز سن الحداثة حتى ملأ الارض رهبةً والبحارا
اذ رأى البحر منهُ بحر علوم فتوارى منه حيـآءً وحارا
ولذاك السفين ابطأت السير فجاءت وقد ضنينا انتظارا
وتولَّى بيمنه الإصر عن مصر وصارت تفاخر الأمصارا
يا ابن اسد الشرى وأنَّى لضعفي ان يناجي غضنفراً مغوارا
كن لأهل الولآء غصناً رطيباً ولشانيك صارمـاً بتارا
واتبع قول من ترضَّى عليه الشرق والغرب خفيةً وجهارا
لا تكن سكَّراً فتاكالك الناس ولا حنظلاً تعاف اضطرارا
واغفر الذنب للزمان فقد وام فى يواليك توبةً واعتذارا
ومثال المليك من قابل الخطب فلاشاه عزمةً واصطبارا

لا أُعزيك بل أُهني المعالي بك فاسلم لهـا وعش ادهارا

﴿ وقال حضرة الكاتب الفاضل سليم بك حموي صاحب جريدة الفلاح ومحررها ﴾

أَشمسٌ توارت أَم أُتيح غروب
فدمع الورى بعد الغروب غروب

نعم اظلمت آفاقنا بعد غائبٍ يغيب ضياء الصبح حين يغيب
واقفر منهُ ربع مصر فما بهِ عزيز ولا في جانبيه خصيب
وصيَّر حلو العيش مرًّا مذاقهُ وكان بهِ مرُّ الحياة يطيب
ينوب عن البدر المنير بوجهه وليس ضياء البدر عنه ينوب
لهُ طلعة شمسيـة قمريـة اذا أَمها راجٍ فليس يخيب
ويدني ببشر من يؤُم جنابه ولكنه مع فعل ذاك مهيب
بعيد المدى والصيت في كل سودد على انــه للمعتفين قريب
قضى نحبهُ من كان للعدل ملجاءً ففي كل وادٍ أَنَّة ونحيب
به كان في وجه الزمان بشاشةٌ ومذ بان منه بان فيه قطوب
فقدناه فردًا في جريدة عصرنا فحزني مقيم ما اقام عسيب
على مثله لما مضى لسبيلهِ تشقُّ جيوب بل تذوب قلوب
كريم عفيف عالم ذو مهابة له من جميع الصالحات نصيب
على يده الارزاق تأْتي هنيئةً فمن جوده رحب البلاد خصيب
ومن ذا يفيد المستفيد غرائباً ومن ذا لدعوى السائلين يجيب
ومن ذا اذا ما قال يصغي لقوله حليف عنادٍ لا يكاد ينيب

تحامى الدنايا واتقاها ديانةً ... فمنه عليه لا يزال رقيب
عليهِ من الايام بشرٌ ورونقٌ ... وعزٌّ واشراقٌ يلوح وطيب
وانفق في الطاعات ساعات عمره ... فللهِ منه مشهدٌ ومغيب
طبيبٌ بادواءِ الزمان فمذ نأى
ذوى غصن هذا القطر وهو رطيب
مفيد لمن قد جاء يطلب فضله ... ويعطي اللهى طلاًّ به ويثيب
واحسن في التدبير غاية جهده ... فليس له فيما قضاه معيب
تقوَّض ركن المجد بعد وفاته ... فوجه العلا فيه عليه ندوب
تحلى به جيد الزمان فمذ مضى ... نضا عنه ذاك الحلي فهو سليب
ففاضت له منا المدامع ابحرًا ... على فقده ان المصاب عضيب
لقد كان للدنيا جمالاً وجوده
ومذ بان حانت في الوجود خطوب
وقد كان يلقى الوافدين برحبه ... الى ان ثوى والصدر منهُ رحيب
صدوق بروق في الوعود وغيرهُ ... له برق وعد بالمطال كذوب
ويبلي الجديدان الجديد وذكره ... جديد على طول الزمان قشيب
وما شاب نعماهُ بمنٍّ وغيره ... يكدّر بالمنِّ العطا ويشوب
جرى بحر دمعي بعد بحر سخائهِ ... وغاض وفي قلبي عليهِ لهيب
تحوَّل نظم الناس فيه مراثياً ... وعطل مدح بعده ونسيب
وتوفيقنا لم يقض حق رثائه ... سليم ولو ان السليم حبيب
على الناس كاس الموت ياصاح دائرٌ ... له سكرات ما لهنَّ غروب

فمن كان مغروراً بسلم زمانهِ ستفجأهُ بالحادثات حروب
لقد كسرت كسرى المنون وقيصرٌ من القصر كرهاً اخرجته شعوب
ولم ينجُ سلطانٌ من الموت والردى وما ردَّ عنه بالحسام ضروب
لهم نسجت كفُ الردى حلل البلى كما نسجتهم شمأل وجنوب
توالت على توفيقنا سحب رحمةٍ وغيث من الفضل الجزيل سكوب
وخُلِّد نجلاه السعيدان بعده بعزٍ له كل الأنام ينيب
ولا سيما العباس افضل سيدٍ على مصر دوماً والزمان يطيب
اريكة مصر قد دعته لمجدها فلبى وامسى بالبحار يجوب
ووافى على مصر السعيدة فازدهت وصدر جميع العالمين رحيب
تقابلهُ الأرواح قبل جسومها وتدعو قلوب واللسان خطيب
سميٌ تسامى المجد منه الى السما فما هو للنجم العليِّ قريب
به تضرب الامثال فضلاً وما له اذا عدَّ سادات الانام ضريب
ويطربه اصوات طلّاب رفده فيرتاح نفساً والكريم طروب
له فرط عشقٍ بالمعالي وبالندى وأفنان عشاق الانام ضروب
غدا حاتمياً في ندًى وبلاغةٍ لقد ساد منه ماجدٌ ولبيب
ومصر مقر العز في بابه الذي به اليوم قرّت اعينٌ وقلوب
اذا نظر العباس للمجد نظرة يُرى انه بين الانام كسوب
يقول بايجاب العدالة منصفاً يؤكده منه عليه وجوب
يثبت جاش القطر بعد اضطرابهِ له نظرٌ نهج الصواب يصيب
سقى الله من مثوى ابيه معاهداً سحاب الرضا تهمي بها وتصوب

وابقاه للعلياء عنوان مجدها　　بهِ تنجلي عن ذا الوجود كروب

وقال حضرة النبيه الحاذق عبد اللطيف افندي شكري
(احد مستخدمي محكمة بنها الاهلية)

شيمُ الزمان نوائبٌ ونواءُ　　ونعيمه للعالمين شقاءُ
وصفاؤه ووفاؤه ورفاؤه　　كدرٌ وصدٌّ دائمٌ وعناءُ
تباً له من خائنٍ فاذا بدا　　لك منه ودٌّ يعتريه جفاءُ
فدع الزمان اذا اردت وقايةً　　من بأسه فمتاعه اغراءُ
ودع الوثوق به فما لك غايةٌ　　منه ترام وما لديه وفاءُ
فالعيش فيه يرى كظل سائدٍ　　يولي الجميع وما اليه بقاءُ
والمرء مثل الشمس يشرق نوره　　ويفل من بعد الغروب ضياءُ
فازدد من التقوى فانك راحلٌ　　واقصر همومك فالحياة فناءُ
ما هذه الدنيا بدارٍ يرتجى　　فيها الخلود ولا يطيب لقاء
فتكت بركن المجد توفيق العلا　　من دأبه الاسداء والاقراء
كانت فضائله تتيه بها الورى　　وكماله تدنو له الجوزاء
كانت له في العدل احسن سيرةٍ　　قد قصرت عن وصفها البلغاء
كانت له النعم الجزيلة في الورى　　وكذا المواهب ما لها احصاء
ولّى فيا ويح المعالي بعده　　قد هالها بعد الحبور بلاء
فلئن قضى عنا وخلّف في الحشا　　جرحاً بليغاً عزّ فيه شفاء
فلنا من الاقبال ما يمحو الاسى　　وتجدُّد الايام فيه هناء

بسمو عباس المفدّى من به　تـاه السعود وجلت النعماء
يا من به ابتهج الزمان واهله　وسما الكمال وباهت العلياء
لك في القلوب مكانة ميمونة　في وصفها قد حارت الشعراء
فاسعد ودم للعدل ركناً ثابتاً　واولي به الاحكام حيث تشاء

﴿ وقال حضرة الكاتب الفاضل محمد افندي فهمي رئيس تحريرات مديرية الفيوم ﴾

للنعيم المقيم توفيق سارا　بعد ما اورث البلاد اليسارا
١٣٠٩
واقام الاصلاح في مصر حتى　بمزايـاه فاقت الامصارا
منح القطر كل نفع عميم　ليس يمحو لهُ المدى آثارا
ملكٌ اشبه الملائك سرًّا　فتسامى عن الملوك جهارا
وفّق الله بالرشاد سجايا　ه لفعل الخيرات مهما اشارا
واصطفاه المولى لما يرتضيه　ولنعمَ الذي اصطفى واختارا
عمرهُ في اوقاته بـارك الله وان كانت في الحياة قصارا
غرسَ الخير للرعايـا فنالت　من مزايا غراسه الاثمارا
ووفاها حقوقهـا بمزيد　فبدت بعد رقهـا احرارا
رفع السخرة الثقيلة عنهـا　بعد ما انهكت قواها اضطرارا
ومحا الاستبداد عن جبهة القطر وفي امره ارتآى واستشارا
وازال الفسادَ والبغي والعد　وانَ والغيّ والشقا والدمارا
واباد المكوس والسلب والرشوة والسوط والردى والشنارا

واقرّ العيون بالامن والرا حة في ارغد النعيم ديارا
كم وكم من ضرائب ورسوم عن رعاياه خفف الاوزارا
كم وكم من عوائدٍ سيئات صار ابطالها له تذكارا
كم وكم من مغارمٍ وظلاما ت محاها فاثبت الافتخارا
كم وكم من محاكمٍ نظمها وسنا العدل من سماها انارا
كم وكم من ادارةٍ قوّمها فترى الاعتدال فيها منارا
كم وكم من مدارسٍ جدّدها قد افاضت علومها الانوارا
كم وكم من فضيلةٍ اوجدها ليس يفني لها الزمان اذّكارا
كم وكم من مساجدٍ شيدها قد ادامت لروحه استغفارا
كم وكم من حقيقةٍ ايدها رافعاً عن حجابها الاستارا
كم وكم من قناطر قد بناها يصلح الريَّ وضعها استمرارا
كم وكم من جداولٍ اجراها فنما الخصب حيث عمَّ القفارا
كم وكم من مسالك اوصلها طرقاً نفعها استمر انتشارا
كم وكم من صعوبةٍ سهّلها وامورٍ اقال منها العثارا
كم وكم من عنايةٍ ابداها كلما الدهر قلّب الادوارا
كم وكم من مكارم اسداها كان منها غيثُ الندى مدرارا
رحم الله سيدًا طاب اصلاً وفروعاً ومحتدًا ونجارا
رحم الله سيدًا ساد بالحب وقاد القلوب والاسرارا
رحم الله سيدًا شاد للفو زِ عمادًا وللفلاح جدارا
رحم الله سيدًا كان للمجد وساماً وللمعالي سوارا

رحم الله سيدًا كان يجدي من عطاياه ما يفوق البحارا
رحم الله سيدًا كان يحيي بالمبرات ليله والنهارا
رحم الله سيدًا كان يعفو عن كثير ويحسن الاغتفارا
رحم الله سيدًا كان غوثـاً وملاذًا حماه قد عزّ جارا
رحم الله سيدًا كان ينجي من خطوبٍ ويدرأُ الاخطارا
رحم الله سيدًا كان يبدي من صواب المدارك الافكارا
رحم الله سيدًا كان للرشـد اماماً وللهدى مصدارا
رحم الله سيدًا كان للنا س عزيزًا وللعدى قهّـارا
رحم الله سيدًا كان بالعطـف دواماً يوجّه الانظـارا
رحم الله سيدًا كان حسْن الخـلق والخلق منه لا يتوارى
رحم الله سيدًا كان للآ داب كالروض ينثر الازهارا
كان للعلم والمعارف كنزًا تستمدُّ الاذهان منه النضارا
كان للزهد والعفاف مثالاً لا ترى فيهما لهُ انظارا
كان للدين خير جاهٍ وللدنيـا جمالاً يزهو بهـا اسفارا
كان في هالة الكمالات بدرًا من سناه افق العقول استنارا
كان في حكمة السياسة قطباً لرحاها اصاب حيث ادارا
كان في تقليد المناصب يسدي كل كفءٍ ويعرف المقدارا
كان يحيي دوارساً من بيوت المجد عزًا لا يعقب الاندثـارا
كان بالحلم والسكينة والسـلم دواماً يرجح الابتدارا
كان طود الثبات في العـزم والحزم كما كان كوكباً سيّارا

كان بالودّ من جليل مساعيه يرى احوال البلاد اختبارا

كان يتلو وعوده بنجاز يتوالى فيسبق الانتظارا
كان يدني السرور للناس صفواً في هناء ويبعد الاكدارا
كان للمعوزين منهم يواسي ويواسي المرضى ويغني افتقارا
كان في الخافقين صيت سجايا ه يروق الملا ويعلو اشتهارا
كان مصداق كل شكر فمها بلغ الحمد فيه لا يتمارى
فانتقاه المنون من غير مهل وكذا الموت ينتقي الاخيارا
فاجأ الخطب فيه مذ ترك النا س سكارى وما هم بسكارى
ذهلت منهم العقول اندهاشاً فبدا الكل هائمين حيارى
ولهيب الاحشا تضرّم حتى كاد يرمي من العيون الشرارا
وبخار الجوى تصاعد لمّا سال من اجفان البكا أنهارا
وأنين القلوب من وجدها لم يبق للاحتمال فيهم قرارا
وأزيز الصدور من شدة الكر ب أضاق الانفاس فيه انحصارا
اي كرب من قبله في البرايا هدّ ركن القوى واوهى اصطبارا
ومصاب قد دكّ طود المعالي مثله فاعتدى وساء ابتدارا
خاننا الدهر بالجناية فيه فاستحقّ العقاب والانتهارا
ثم عض البنان منه أسيفاً فأتى بالعباس يبدي اعتذارا
هو اسمى غصون دوحة مُلك اينعت في مصر وطابت ثمارا
هو فرع الخيرات من خير اصل للثريا مبدا علاه قصارى
ورث الفضل عن ابيه وعن اجداده الصيد ثم زاد ابتكارا

ولعمري فأَيُّ نُبــل تراهُ — مثل نُبْل العباس ليس يبارى

نال بالاجتهــاد خير علوم — قد أَدامت لفضله الاظهارا

فهو البحر في الحقيقة الا — أَنه العذب حيث يروي الاوارا

ولئن كان في الوجود بحورٌ — فلقد جازها وحاز الفخارا

واذا شاء الله بالناس خيرًا — جعل العلم في الملوك مشارا

فهو نعم الخديو عزًّا وجاهاً — وجلالاً وهيبــةً ووقــارا

ورشادًا وفطنــةً وذكــاءً — ونظاماً وحكمةً وافتكارا

وكمــالاً وهمــةً ومضاءً — وثباتاً ونجــدةً واقتدارا

قد بدا عصره السعيد يباهي — بمزايــا صفاتــه الاعصارا

ولئن وُلِّيَ ابنَ تسعٍ وعشرٍ — فلقد جاوز الملوك الكبــارا

منه عزم الشباب في حزم شيب — بهما الدهر كيفما شاء صارا

ولقد اثنى الله في محكم القر — آن عن فتيــة سَمَوْا إكبارا

وهو يؤْتي الشباب حكمًا وعلمًا — فانظــر الانبيــاء والابرارا

(انهم فتية) و (قالوا سمعنا) — وكذا (آتيناه) تغني اعتبارا

مرحباً مرحباً ببدر تجلَّى — في سما مصر لا يخاف سرارا

قد دعوناه من (فينَّا) فلبَّى — جابرًا من قلوبنا الانكسارا

واستجرناه وهو في أُفق الغر — ب مجيباً ببرقــه فأَجارا

بدر تم قد عاد للشرق مولىً — تبعتــه القلوب والابصارا

اقبل السعد منذ اقبل واليمــن ووافى الهمام يحمي الذمارا

حبذا حبذا اميرٌ جليلٌ — يرتقــي بالعناية الاخطارا

وعزيزٌ يعفو ويصفح مـا شا ء اقتدارا من حلمه واختيارا
ومليكٌ لهُ من الله تأييدٌ يوالي مدى الدوام انتصارا
فاذا وجّه المرام لامرٍ اصحب الله امره الاقدارا
فهو مولى تراه غصناً عفوفاً وعلى الضد مرهفاً بتـارا
فابشري يا مصر السعيدة فوزاً واسلكي من نجاحك المضمارا
وتهني بعد العزاء وقولي سيدي بالغوث البدار البدارا
هكذا هكذا يكون شفائي من غليل قد كان في القلب نارا
هكذا هكذا يكون دوائي من اسىً ابكاني الدموع الغزارا
هكذا هكذا يكون خلاصي من ملمٍّ اذاب روحي اعتصارا
يا عزيزاً بـه تعزُّ شؤوني وله الفضل اوجب الاقرارا
سدْ ومرْ وأْنهَ واحتكم وتصرفْ وأسمُ واحفظ وجدّدِ الآثارا
لك اضحى الزمان عبداً خضوعاً وبنو الدهر عسكراً جرارا
ولك السعد والعناية والاقبال والمجد والعلى انصارا
ورعاياك مخلصون بصدقٍ في ولاءٍ وطاعةٍ إئتمارا
حقق الله حسن امالهم فيك فكلٌّ منهم رآى استبشارا
وابتهاج السرور قد شمل الخلق وصفو الهناء عم الديارا
فانشر العدل والحضارة والعمران والامن واملك الاقطارا
ولك الحمد والثناء دواماً بهما الشكر قد اقام الشعارا
كلما تنثر الدراري اجادت نظمها افكار الملا اشعارا
فتقبل من عبد ملكك صدقاً بكر فكرٍ تفاخر الابكارا

أرّختُ دُمْ تهاب خير خديوي	قطرنا بالعباس ينوي اقتدارا
سنة ١٨٩٢	سنة ١٣٠٩

﴿ وقال حضرة الاستاذ الفاضل الشيخ احمد ابو علي الازهري المصري ﴾

عجباً لقلبي الاصغر الموثوق	أنّى يجود باحمر مطلوق
أغدا يسابق عبرتي في سكبها	ام شارك الباكي على توفيق
فرد الزمان عزيز مصر المنتمي	لكريم اصل في الفخار عريق
ملكٌ تسنم مجده هام العلى	فعلا على القمرين والعيوق
بعزيمةٍ تذر الاسود ثعالباً	ومهابة كمهابة الصديق
في حلم معن في سخاء الفضل في	حكم الرشيد وحكمة الفاروق
ولى وغادرها مآثر جمةً	تبكي عليه بزفرة وشهيق
كادت به مصر تذوب من الاسي	ويسيل وادي نيلها بعقيق
لو لم يداركها الاله بشبلهِ	عباس نور الهدى والتوفيق
ملك لقد ملك البلاد بحكمةٍ	وسداد راي في الامور وثيق
برٌّ حليمٌ بالبرية عادلٌ	يرعى بعين الرفق كل فريق
رفع الغوائد عن رعاياه وما	زالت عوائد برّه المنفوق
فبأي جارحةٍ نقابل فضله	بجزيل شكر بالثنا مرفوق
فعزاء كم آل العزيز وان يكن	خطب المكارم فيه غير دقيق
فلئن ذوى غصنٌ فروض فخاره	وافى بغصنٍ للزمان وريق
او غاب نجمٌ للكرام فقد سما	بدرٌ انار سماءه بشروق

واليوم في دار النعيم يحفهُ نور الحبيب الصادق الصدوق
ورضا الإله يقول في تاريخه قد زان جنات الهنا توفيقي
سنة ١٣٠٩

﴿ وقال حضرة الاديب البارع خليل افندي كامل ﴾
﴿ ملازم اول ٣ جي اورطه بياده بحلفا ﴾

مصرٌ بها خطبٌ دهي كل الورى اذ سار من دار الفنا توفيق
يا شؤم يومٍ قد أتانا نعيه بالنحس فيه أُكّد التصديق
كلٌّ المالك نكست أعلامها حزناً على ملكٍ لهنّ صديق
وعيون آل القطر سالت انهرًا لما ذوى أبٌ لهم وشقيق
واُذيبت الاكباد حيث تأججت نارٌ لها في قلبنا تحريق
فالعين تبكي بالدما اذ أُحرمت من طلعةٍ حجبت لها تشويق
والقلب يحرقه الاسى اذ مات سا كنه الذي احياه وهو سحيق
لبست له ثوب الحداد رعيةٌ خلعت لثوب الصفو وهو رفيق
شربت كؤوس المر مترعة وكا ن بكأُسها ماءٌ حلا ورحيق
فهو الذي بالعدل سوّى بينها لولاه ما فات الغني التمليق
يا ايها المرمان ما هذا البقا ان الفنا لسوى الاله رفيق
في مصر هل شاهدتما خطباً له في اهلها سهمٌ له تفويق
لا لا فما خطبٌ كهذا فاعلما للخلد انه قد سرى توفيق
زولا والا فاندبا حزناً على فقد الذي من نعتهِ التوفيق

او لا فمن آثاره استترا حياً … هل فيكما نفع فاين طريق
بابيكما اورى لنا من جوده … ما انتما الاّ له تحقيق
اما اثار محمد ففوائدٌ … دلت بانهُ بالعباد شفيق
كانت به كل البلاد كجنةٍ … في ارضها من مائه تدفيق
لا غرو ان طال الاسى في مصره … والنيل فيه قد بدا التحريق
في مثل هذا العام كان بها الصفا … أَنى اتى وله الامان رفيق
كم بلدةٍ قد انشدت اذ زارها … زهو الصفا لما اتى توفيق (١)

سنة ١٣٠٨

فاليوم قد خرست لعظم مصابها … وتصدّعت اذ هالها التفريق
واليوم ثوب الصفو خرقه العنا … لو ما بدا العباس فهو خليق
يا مصر قد لاح الفلاح بشبله … لا تجزعي خلفٌ سماك عريق
فالله يمنحك الهنا في حكمهِ … وجديد سعدٍ ما له تعويق
فكفاك مصر فيه من تاريخهِ … ساعٍ لفردوس الصفا توفيق

سنة ١٣٠٩

(وقال ايضاً حضرة اللوذعي الشيخ محمد صلاح الدين ابو سند)
=*(طالب العلم الشريف بالازهر)*=

لقد غُيِّبتَ يا مولى الاماني … وصرت بجنة الحور الحسانِ

(١) يشير الناظم بهذا البيت الى السياحة التوفيقية

ونحن على ضرام الحزن نصلى ... ودمع العين يجري كالثواني
لانا قد عدمنا طود حلمٍ ... بشامخهِ غدا كهف الامانِ
فصبرًا يا كليم القلب صبرًا ... فكل معمر لا بد فاني
ونادي آسفاً يا عصر ارّخ ... توفي اليوم توفيق الزمان

سنة ١٣٠٩

﴿ تنبيه ﴾

دعانا شرط نشر الرسائل حسب الورود ان ننشر هذه المقالات في هذا المقام وان كانت نثرية

﴿ قال حضرة الاب الفاضل المحترم ﴾

الاغومانس فيلوثاوس رئيس الكنيسة الكبرى لطائفة الاقباط الارثوذكس بمصر المقالة الآتي ذكرها في تابين فقيدنا الماسوف عليه . وقد تلاها حضرته في الكنيسة المشار اليها بحضور عددٍ كثير من وجهاء هذه الطائفة واعيانها وغيرهم وذلك في يوم ١٣ يناير سنة ٩٣ = وكانت الكنيسة مزدانة بقلائد الانوار وكان الآباء الروحيون متشحين بملابسهم الرسمية = قال حضرته

سبحان الحي الباقي بلا زوال . المنفرد بالكمال الدائم الملك بلا تغيير ولا انتقال . سبحان الواجب الوجود مَن ليس لوجوده ابتداء ولا لكماله انتهاء مبدع الكائنات ومدبر كل موجود . سبحان مَن لهُ السلطان والملكوت . والعظمة والجبروت . المطلع على الخفايا . كاشف السرائر وعلام المكنونات . عارف خبايا الضمائر ومقسم السلطات . واهب النعم . ومدبر بمَن اراد من الملوك وأُولي الحكم سياسة الشعوب والأُمم

سادتي واعزّتي الشركاء في الاسى والاسف يا من هم من اخص اعضاء الهيئة المتجرعة كأس هذا المصاب المر · ترى اي لسان يستوفي شرح مصاب قطرنا · واي خطيب يفصح عن جسامة حزن مصرنا بالفجعة التي قد داهمتنا ونحن ساهون وعن حكم الله وقضائه الخفي غافلون وذلك بانتقال روح عزيزنا الاكرم السيد المجيد والمليك الحميد الاب الحنون المخلص الراعي الحكيم المنصف المحب لجميع ابناء وطنه الجامع شتات الاجناس بلطائف أُنسه الا وهو ساكن الجنان محمد توفيق الاول خديوي مصر المعظم

أَلم نرَ السادة اصحاب السعادة رجال الحكومة السنية باكين آسفين لفقد عزيزهم ومولاهم · الم نرَ خدَمة المصالح على اختلاف رتبهم وتنوع وظائفهم نائحين نادبين عزّهم وملجاهم · الم نرَ جميع الدوائر في العاصمة والمدن والثغور مزملة باثواب الحداد فالنظارات الجليلة وكافة الدواوين حزينة على عمادها وسيدها · والمدارس نائحة على عضدها وساعدها · ومراكز الصحة تنعي اساتذتها وتندب مرضاها فراقَ من كان يعالج الفريقين براهم عذوبته ورأفته وتعاهده واحساناته · والجيوش تنوح على قائد نصرها وعلم مجدها · واصوات كل فرد وطني ومتوطن تتردد بالاسف والعويل من جميع الجهات وكأني بالقطر كله قد عمّه الظلام لافول كوكب عزيزه وكل رتبة من كل جنس ومذهب مشتركة في التوجع والاسى وعلى حد ما قال بعضهم

فاي عين لا ترفُّ وتدمعُ ... ام اي قلبٍ لا يرقُّ ويوجعُ

بالحقيقة ان عظم المسببّات هي على قدر خطارة اسبابها والنتائج على حد حقيقة مقدماتها فاسباب الحزن عظيمة والخطب شديد وهي فجعة القطر بفراق هذا السيد الافخم ولي النعم الاعظم

فراقٌ لا يرجى لهُ في هذه الدار اجتماع · اي نعم ان القلوب تتأثر من الحزن لدى انتقال اي شخص ذي ماثرة ما لكن مصابنا عام واحزانهُ طامة اذ جاء بفراق ذاتٍ جمعت فنون المحاسن والمآثر والفضائل · ذات كانت مع تملكها زمام الحكم كانت مالكة جوامع القلوب بما امتازت به من مكارم الشيم · ذاتِ جمعت بين صفتي السيادة والوالدية · ذات حازت كلّ ما من شأنه ان يمتدح به الملوك وعظماء العالم · لان الملك السعيد هو من يحكم القلوب بحلمه وحبه لا بجبروته و بطشه ولا شك ان هذه الذات الخديوية استكملت هذه القاعدة فاسوجبت عظيم الثناء · ذات حازت كمال الرحمة والرأفة وناهيك من تلك الرحمة الابوية والرافة الوفية لم تغفل عن تعاهد المصابين بنوائب الزمان ففي عهد انتشار الوباء في قطرنا في عهد حكمها الحالة التي كان فيها كل أمرء لاهياً بنفسه كنتَ تراها زائرة اولئك المصابين بهذا الداء الفتاك المعدي تخفف اوصابهم ببلسم رأفتها واسعافاتها وفي كل فرصةٍ تراها زائرةً للمسجونين والمضنوكين محسنة اليهم بصلاتها ذات حازت حلماً وعفواً وكرم خلق واي كرم · كان لسموها من القدرة على الانتقام فلم تنتقم كأنها كانت متصورة ذلك الحلم الرفيع والعفو البليغ والكرم الفائق المفاض من لدن عزة ملك الملوك الازلي على خلقه وسائرة بما يمكن للانسان التقي المنعم عليه من مولاه بنعم السيادة والسلطة ان

يستسير بموجبه من تلك الصفات · ذات حازت سياسةً وما اراك ما السياسة لقد جمعت هذه الذات في سياستها الحكمة والشهامة والدليل واضح من حادثة الثورة المشهورة حادثة العرابيين تلك التي قابلها بالصبر وشجاعة القلب واصابة الراي فمع كونهم عبثوا بالنظام وشتتوا الوفاق والوئام وتعدوا كلَّ ناموس وخرجوا عن حدود الطاعة حتى انهم تجاسروا على احاطة سراي مليكهم العادل بالعساكر والتهديد

فما كنت ترى ذلك السيد الا رجلاً شهماً صبورًا ناهجًا مسلكاً حكيما تعجز دونه شيوخ في السياسة حالة كونه شاباً · فمن جهةٍ كان سموه محافظاً على سلامة قطره العزيز ومركزه الرفيع مراعياً خير ابناء الوطن غير مؤثر شيئاً ما سوى سلامتهم · ومن جهة كان قائمًا بالولاء ومعرفة الجميل نحو الدولة التي تكلفت اخماد الثورة واقماع المتمردين · ومن جهة اخرى كان محافظاً على حسن الصِلات مع جميع الدول الفخيمة سيما مع دولتنا العلية صاحبة السيادة · فكنتَ تسمع من جهة الخاضعين المخلصين لسموه هتاف التشكر وخالص الدعاء ليؤتيه الله بالنصر المبين وكنت تسمع من قبل المتحابين ووكلاء الدول الفخام بالنيابة عن ملوكهم اصوات الثناء العاطر على هذه الحكمة والشهامة الى ان حسِمَتْ الثورة وطفئت شعلة التمرد وعاد الامن وانشرحت خواطر الرعية ببهجة رونق عزيزها الذي حرسته العناية السرمدية وخلصت حكومته مما كان محيطاً بها من الاخطار وذلك نتيجة سلامة قلبه واعتصامه بعناية ملك الملوك الازلي تبارك وتعالى

وناهيك من كرم النفس الصادر من لدن سموه نحو الاشقياء زعماء الثورة

وانصارها كيف انه لم يجرعهم كاس الانتقام جزاء لما ارتكبوه من فظائع التوحش وشراسة الاقدام بل اثر في هذه الاحوال جانب العفو والرافة مع محافظته على شرف القانون والنظام

اقول ان ذاته الشريفة بالاجمال كانت حائزة كمالاً وكمالاً وكمالاً — كمالاً في العفة وطهارة السيرة وصفاء السريرة. كمالاً في التقوى والتدين. كمالاً في اللطف ورقة الجانب . كمالاً في شرف النفس وكمالاً في الكلام بكيفية ان يلائم له المثل الحكمي القائل « ان كلام الملوك ملوك الكلام »

فمع كون ذاته الشريفة غضة لم تبلغ اربعين عاماً ومع امتيازها بهذه الصفات الفائقة التي لم تكن تصنعات ظاهرية او طوارى عرضية بل ملكة راسخة في النفس ومع حسن توجهاتها نحو الجميع وتعلق سائر القلوب بحب جنابها العالي . ان قلت عنا معاشر الاقباط فاحسانات العزيز ورعايته شاملة جميعنا اذ من اياديه البيضاء تلقينا وسامات الشرف ووجوه شعبنا حازوا من لدنه الرتب الرفيعة. ومدارسنا ومعابدنا وشؤوننا العامة كانت محفوفة بافضاله بل كان سموه رحمه الله يرثي لكل امر يسوءنا ويسرُّ لكل خير يسرنا اذ كان عالماً باننا من اخص عبيده الامناء

وعن السادة الاسلام رعاياه قد كان جنابه العالي قدوةً صالحةً لهم في الدين معززاً جانب العلماء والفضلاء والنبلاء والمتقدمين قائماً بشعائر العباده والاختصاصات خير قيام

وعن باقي ابناء الوطن من اي جنس كانوا ومذهب فكان كوالدٍ حميم مراعياً جانب كل فئة بكرمه العميم غارساً في قلوب الجميع حبات

حيِّه السليم

فهل مع فجعتنا بهذه المصيبة العظمى مصيبة فراقه عنا بغتةً تتعزّى الا نفس . لعمري ليس امام العقل دواء لهذا الخطب المرّ الا وجهان الاول الخضوع والتسليم لحكمة الباري الغير مدركة فخضوع العقل لتلك الحكمة الالهية يسكن الجاش ويهذب الفكر . والثاني بزوغ شمس الامال لتسكين الخواطر وتلطيف الاشجان وتعزيز القلوب بسلامة سمو نجله الاعظم وارث الاريكة الخديوية خديوينا العزيز

﴿ عباس باشا حلمي ﴾

فهلموا بنا يا ابناء الوطن ان نرفع اكفّ الضراعة لعزّة مولانا الحي الازلي بقلوبٍ مرتبطة بالاخلاص مكررين الدعا بان يسبغ على روح فقيدنا الافخم سجال المراحم الربانية ويثيبه مكافأة لبره وعدله وكرم نفسه وكماله واجتهادهِ في اصلاح شؤون حكومتهِ وخير جميع رعاياه بحسن الثواب في دار الخلد والبقاء

وان يفيض سبحانه على قلوب السادة انجاله الفخام والعائلة الكريمة الخديوية باسرهم نعمة العزاء وجميل الصبر وان يمن على ابناء القطر وجميع مساهميهم في الحاسات بدوام سلامة ورفاهة سمو مولانا وعزيزنا المجيد رب الشرف الاثيل خديوينا الجديد الافخم افندينا ﴿ عباس باشا حلمي ﴾ وسمو شقيقه المعظم والعائلة الداورية المنيفة عزاء لجميعنا وسلوةً وعزًّا دائماً آمين اللهمَّ آمين

﴿ وقال حضرة الفاضل المتفنن والكامل المتمكن الشيخ احمد رافع افندي الطهطاوي ﴾
(وقد القى حضرته المقالة الآتية على مسامع جم غفير وذلك في يوم الاحد ١٠ يناير سنة ١٨٩٢ الذي هو خاتمة الايام الثلاثة التي صار الاحتفال فيها بمسجد سيدي ابي القاسم الطهطاوي)

لئن حَسُنَتْ فيه المراثي وذكرها ... لقد حَسُنَتْ من قبل فيه المدائح

سبحان من استاثر بالبقآء · وقدر على خلقه الفنآء · فجعل لكل اجل كتابا · وامضى في كل امةٍ حكمهُ جيئةً وذهابا · والصلاة والسلام على رسوله الذي اصطفاه وادناه من حضرته العلية · وعلى آله واصحابه ذوي الاخلاق الطاهرة المرضية · (اما بعد) فقد فاجأتنا نوائب الزمان · ومصائب الحدثان · بمصاب عظيم لا يطاق · وخطب عميم مر المذاق · فانهُ مصاب وأيُّ مصاب · فجع القلوب وصدع الاوصال والاوصاب · وفجّر عيون الحزن في كل فواد · حتى كادت تنفطر له الاكباد · فقد اتى على غير المراد · وجعل سوق افراحنا في كساد · وأجرى دموع العيون سيولاً وانهارا · وملأ حقائب الافئدة حسراتٍ واكدارا · الا وهو افول بدر جناب خديوينا المعظم توفيق الاول · الذي كان لنا عليه بحسن نواياه المعوَّل

عمّت فواضلهُ فعمّ مصابهُ ... جمّت فضائلهُ فجمّ نحيبُ

فالناس مأتمهم عليه واحدٌ ... في كل قلبٍ حسرة ولهيبُ

كيف لا وهو مليكنا الكريم · واب الامة المصرية الرحيم · الذي غرس في افئدتها وداده · وشملها بعواطفه الكريمة فانالها الحسنى وزياده

لقد كان غيثاً للرعية لم يزل ... يجود عليها بالجزيل من الخيرِ

وقد كان في مصر اميرًا يعدُّهُ بنوها لتيسير العسير من الامرِ
تكاملتَ يا مولاي بدرًا بافقها ولا بدَّ من نقص لدى شرف البدرِ
تكاملتَ اوصافًا وحلمًا وسؤددًا ولا بدَّ من نقص فكان من العمر
تظهرتَ اخلاقًا ونفسًا وعنصرًا وسرتَ لجنَّات الرضا كامل الطهرِ .
تبوأتَ بالفردوس توفيق مصرنا قصورًا فمن قصر تسير الى قصرِ
تعزّي بك الاقطارُ مصرًا لعلها بانك قد كنتَ العزيز على مصرِ

وايم الله ما انتشر نبأُ هذه المصيبة العظمى في انحاء البلاد الاَّ وقد استولى الذهول على جميع سكانها من وطنيين واجانب . واشتد الاسف والحزن على القلوب من كل جانب . فخارت منهم القوى وحارت العقول . وعظم الوجد عليهم فصار كلٌّ منهم لا يدري ما يقول . وقد اشترك في مصابهِ كل امير ووزير . ومستشار ومشير . وكبير وصغير . وغني وفقير . وجليل وحقير . لما لجنابه الرفيع . عند الجميع . من المكانة العلياآء . والايادي البيضاء . كيف لا وقد اورد بلادنا موارد الخير . ودفع عنها بوادر الضير . وملك قلوبنا بحبه وعظيم ولائه . واسر نفوسنا ببشره وجزيل آلائه . التي يعجز اللسان عن اداء واجب شكرها . ويقصر البيان عن حصرها عند ارادة ذكرها .

رزءٌ جميع الناس فيهِ واحدٌ طوبى لنفسٍ عند ذلك صابره

كيف لا وقد كان نموذج الكمال . ومثال محاسن الخلال . خلَّف بيننا سيرة حلم وتواضع . عن قدرة وترافع . فكنتَ متى حظيت برؤية سموه تلقاهُ شهماً بسمات الوقار معروفا . وبدرًا بصفات الكمال موصوفا

ويلقاك بالترحيب والبشر دائماً   فلم ترهُ الاّ كريم الشمائل
صفت منهُ أخلاق لقاصده كما   صفا منهُ للعافين وِرْدُ المناهل

كيف لا وقد كان دأبه الشريف تفقد احوالنا . وتخفيف اثقالنا . وكانت همته العالية متجهة في كل لحظة الى ترقية شأن رعيته . ورفع كثير من اثقال الضرائب عن كواهلها على قدر مكنته . فحلّ منها محل الروح من الجسد . وامتزج بها امتزاج الشجاعة بالاسد . فلتبكِ مصر هذا الشرف الاعلى . وليبكِ الوطن هذا التوفيق العزيز الذي لم يرَ لهُ في محاسن اعماله واحاسن احواله مثلا . وحق لكل مصري ان يسكب عليه من العبرات ديماً . بل ان يبكيه بدل الدموع دماً . مضي فمضى معه خير كثير الى الثرى . ونوال غزير طالما حلى بأمثاله اعناق الورى . مضي فمضى معه كثير من آمالنا . التي كان يزداد بها تحسن احوالنا

تنكرت الدنيا ولكن تعرّفت   بطيب الثنا عن فضله المتكامل

وايم الله لقد قام على قدم السداد . فأدّى حقوق الله تعالى وحقوق العباد . نفسه راضية مرضية . وقلبه أُشربَ حب الرعية . جُعلت قرّة عينه في اسداء الخيرات اليها . وابداء الشفقة والحنوّ عليها . ومكافأة من احسن والعفو عمن اساء . بل شموله بجزيل العطآء . لم تغرّهُ الدنيا ذات يوم بزخارفها . ولم تلهه عن ادآء الواجب عليهِ بلطائفها . بل نشأ على التقوى والعبادة وبذل الصدقات ابتغآء وجه الله الكريم . وقضى مدة حياته الشريفة الطيبة الذكر الطاهرة الاثر معتصماً بحبل الله مهتدياً الى صراطه المستقيم

فمضى وما كُتِبَتْ عليه كبيرةٌ   من يوم حلَّ بساحة التكليف

وايم الله لقد اولى بلادنا نعماً توالت فتوالى شكرها · ومنحها مِنناً تعالت فتعالى ذكرها · وقد كانت هذه الفواضل والمكارم العميمة · مقرونة بما لجنابه الكريم من الفضائل والشمائل الكريمة · والاخلاق الطاهرة · والمفاخر الظاهرة · والمآثر الحسان · والمناقب التي قلما اجتمعت في انسان

له مناقب تسري ما سرى قمر   وسيرة سار فيها اعدل السير

علم وحلم وعدل شامل وتقًى   وعفة ونوال غير منحصر

فلنرفع اكف الدعاء والابتهال · الى المولى الكريم ذي الجلال · قائلين

اللهمَّ ارحمه الرحمة الواسعة المتوالية · وامنحه من الجنة الدرجات العالية · اللهمَّ تغمدهُ بصيّب رضوانك · واسكنه فردوس جنانك · اللهمَّ اجعل شبلهُ العباس الذي استجمع جميع الصفات المحمودة والخلال المرضية · خلفاً جليلاً تحيى بـه آمال الامة المصرية · مقتفياً آثار ابيه الكريم · في كل عمل خيري وامل مرضيٍّ يعود على البلاد بالنفع العميم · بجاه سيدنا محمد خير الانام · عليه افضل الصلاة وازكى السلام

﴿ وقال حضرة النبيه علي افندي يوسف بمكتب جناب الوجيه كركور أُغيا المحامي ﴾

بكت عيني وحق لها بكاها   ولا يجدي البكاء ولا العويلُ

نحن اليوم في موقف حزنٍ ورثاء · ومقام نوح و بكاء · لمصاب عظيم وخطب جسيم · يقلُّ في مثله ذرف الدموع · ويكثر في نظيره تمزيق الضلوع · كيف لا وقد ثلَّ عرش الفضل · ودكَّ طود الحلم والنبل · وقضى

امير البلاد فعمّت الاحزان واستوات الكروب . وشملت الاشجان جميع الافئدة والقلوب

قضى واحسرتاه المغفور لهُ محمد توفيق باشا الاول خديوي مصر المعظم مأسوفاً عليه من الوطن وبنيه . والفضل وذويه . مات ولكن اسمه لم يمت بل يبقى حياً بما دامت الارض ارضاً والسماء سماء . فوا حسرتاه عليه وهيهات ان ينفع التحسر . اواه لو كان يقبل الموت فداء لكنا فديناه بانفسنا غير ان القضاء لا يقبل الفداء ولا رادّ لسهم القضاء

فاين نوادب التقى والعدل ترثيه . وعرائس البلاغة والفضل تبكيه . وتباً الموت كيف لم يوقر اميرنا المحبوب الجليل . وولي نعمتنا النبيل . فاقترب منه واخنى عليه دون ان تأخذه هيبة من وقاره او ترهبه هيئة إجلاله . كيف مسه باصابع الاذى . اختطفت يا بين من كانت تتفاخر به الاوطان . وتسير بذكره الركبان . وهدمت يا موت من شاد له في صروح الاعمال حصناً وكان للحلم والصفح ركناً فمالك يا ايها الدهر الخؤون قد افجعتنا بمن موته افاض العيون انا لله وانا اليه راجعون . ان هذه المصيبة قد عمت الجهات والنواحي وجلبت علينا الهموم والدواهي فتباً للدهر الخؤون الغادر وتباً لساعةٍ انتشر فيها خبر نعيه فمضى رحمة الله عليه وايٌّ يستطيع ان يعدد ما اتاهُ من موارد الفضل ومصادر الاحسان واي كاتب يقدر ان يجول في مثل هذا الميدان وكان المليك كريماً شفوقاً رحيماً

اما الان فلا يوجد قلبٌ غير متوجع ولا فؤاد غير متفجع على فراق

امير البلاد الذي مضى وخلَّف لنا حرقةً تذيب الفواد ولوعةً تفلذ الاكباد فيا عين استنزفي من جفنك الدموع ويا بني الاوطان الزموا النوح وهاجروا الهجوع

ويا ايتها الاقلام ذات الدموع الذوارف أطيلي بكاءكِ وارفعي اصوات عويلك بصريريك فقد حق البكاء ووجب النواح

قضى توفيقنا ومضى وكان في علو الهمة ومضاء العزيمة والتهالك على حب الرعية مثلاً بهِ يقتدى · فيا فقيدنا المحبوب الذي عشت عزيزًا ومت كريماً تودعك الاوطان بطرفٍ باكٍ ·والرعايا بقلبٍ شاكٍ · ومتى ذكرناك نذكرك بحسن اثرك · ورقة طباعك وفصاحة الفاظك وعلو همتك ودماثة اخلاقك وحسن خلقك وبدر وجهك واتضاعك وحبك لرعيتك وسلامة طويتك غير ان في القلب حسرة وهي انك مضيت ولم يعدْ مطمع في لقياك والتطلع الى وجهك المنير فقد قل الصبر وضاعت الحيلة ولم يبقَ فيها مطمع ولا في قوسها منزع · فالوداع الوداع ايها الامير المحبوب الوداع الوداع يا من ملكت منا القلوب · الوداع الوداع يا من غمرتنا باحسانك العظيم وقلدتنا بقلائد فضلك الواسع العميم · فيا رحمة الله اهطلي على رمسه ويا رب اسكنه اعلى فراديس الجنان في جنةٍ تجري من تحتها الانهار كذلك يجزي الله المتقين والهم آله الصبر الجميل وهب لهم الاجر الجزيل انك اكرم مسئول

﴿ وقال حضرة الفاضل الالمعي وهبي بك ناظر مدرسة حارة السقائين القبطية ﴾
(على منوال العزاء والهناء)

مهادك في حسن العزآء ممهد ... وجدّك ملحوظ به الكل يشهد
وطالعك الاسمى تلألأ بدره ... فأضحى به شمل الأسى يتبدّد
وعادت بك العليا الى مصر راقياً ... على الطائر الميمون والعود احمد
وحفّت بك الآمال من كل وجهةٍ ... ولازمك الاقبال والحظ يسعد
فطأ هامة الجوزاء واصدع بما تشا ... فانك في كف الوجود مهند
وفوّض الى الله الامور فانهُ ... اليه تعالى في العظائم يصمد
ومن عجب ان الحوادث جمة ... ولكنّ سهم النائبات مسدّد
أساءَت الى المعروف فينا صروفها ... وما الاجل المحتوم الا محدّد
وقد كان توفيق البلاد مملكاً ... حديث حلاه للمكارم يسند
تحلّى به جيد الفضائل ناشئاً ... وأُوتي منها فوق ما كان يعهد
وساس أمور الملك خير سياسة ... بها الفضل يحيى والفخار مؤيد
فلا غرو ان ساءَ الانام فراقه ... وقد اصبحت نار الجوى تتوقد
ولما رقت شوقاً الى الله روحه ... وأتهم فينا المرجفون وانجدوا
تلافيت امر القطر خوف تلافه ... وانت بتوفيق الاله مؤيد
وجاءك مرسوم الخليفة مؤذناً ... بانك مشروع الوراثة اوحد
وآلت الى علياك في العز دولة ... اذا سيد منها خلا قام سيد
وها انا اهديك الثناء مرحباً ... على الوالد المبرور وهو الممجد
وانشد يا مولاي فيه مؤرخاً ... توفي توفيق العزيز محمد

سنة ١٣٠٩

رعاك اله العرش جلّ ثناؤُهُ   والهمك الصبر الذي ليس ينفد
ولا زلت مشكور العناية دائماً   وذكرك في تاريخ مصر مخلد

﴿ وقال حضرة الاديب الاريب الشيخ علي حفيظ بالابراهيمية ﴾

لله خطبٌ عظيمٌ جلّ شكواهُ   فقد المليك فأوّاه وأوّاه
عمّ المصاب فما للناس افئدةٌ   الا لنعي الذي قد طاب ذكراه
فالناس حيرى وعين القطر باكيةٌ   والسهد حالفهُ والحزن وافاه
تباً لدهرٍ فما ابدى مسالمةً   الا آساء لذي العلياء عقباه
لو رمت يا دهر منا للمليك فدًا   لكان منا الفدا والنفس تهواه
قد كنت يا دهر تخشى بأس سطوته   فكيف تسطو على من كنت تخشاه
فالشمس آفلةٌ والنفس آسفةٌ   والعين ساهرةٌ من فقد علياه
وراية العز والاقبال قد رُفعت   لما اتانا عزيز القطر مولاه
عباس حلمي له في الفضل سابقةٌ   فالعزم والحزم كلٌّ من سجاياه
احيي المعارف من آثار حكمته   والنصر والعز كلٌّ من رعاياه
يا مصر تيهي فقد نلت العلى شرفاً   يا قطر إبشر فانّ العدل مسعاه
مولًى يضيء الدجى من نور طلعته   والشمس تخجل حقاً عند رؤياه
جاء الخديوي وعين الله تحرسهُ   واستأنس الكل من انوار لقياه
هـذا الامير اعز الله دولته   من بيت مجدٍ تعالى في مزاياه
قد امّن القطر مما كاد يفزعهُ   واصبح البشر يبدو في محياه
لا زلت غيثاً تؤم الناس جانبه   طول المدا وكمال العز مأواه

والقطر لما بدا اضحى يؤرخهُ عباس حلمي اضاء البرّ مبداه
سنة ١٣٠٩

﴿ وقال حضرة الاستاذ الفاضل الشيخ محمد النجار مدرس اللغة العربية ﴾
﴿ بالمدرسة المحمدية ﴾

موت الفتى وهو مغبوط بنعمته يُتلى على الدهر آيات بحسنته
وليس يقوى على دفع القضا ملك ولا يردُّ المنايا بأس سطوتـه
والناس مرمى نبال الحادثات فلم يخطئهم أي قوس عند رميته
والخلق ليس لهم سوق تباع به حتى يؤخّر مغبونٌ بصفقته
ان المنايا حسامٌ والأنام لهُ غمد فأرواحهم من تحت قبضته
عيب ابن آدم ان تعمى بصيرتهُ عمَّا يصير اليـه بعد ميتته
غرّته نفس الى طول البقاء لها محبة اصبحت تصحيف محنته
وما يقاسي من المكروه زاد على ما قد يراه خيالاً من مسرته
وكلما ولدتـهُ الوالدات لهُ يدعو الممات ويرميه بحفرتـه
من كان يجهل ما جاء الزمان به واشغلته الأماني عن منيته
وليس يذكر سكان القبور ولا ما غيّر القبر من جسمٍ وهيئته
ولا القصور وربات الخدور ولا مَن فارق التاج في اكليل زينته
فلينظر اليوم توفيق العزيز علا على الرقاب وقد ساروا بجثتـه
وصار بعد سرير الملك يحملهُ سرير حزنٍ بـه يؤتى لتربته
لم يبقَ في مصر قلب لم يذب اسفاً عليه اذ انه محبوب أمتـه

فليجمع الناظر الباكي عليهِ اسىً ما بين عَبرته الحرّا وعِبرتهِ
وليبكِ مصر وأهليها وساكنها فالكل من بعده ميت بحسرتهِ
كانت بـهِ لهم اوقاتهم فرحاً وكان اعدل راعٍ في رعيتهِ
وكان فيهم تقياً صالحاً ورعاً بفرض مولاه مهتماً وسنتـهِ
مَن للصلاة ومن للصوم بعد ومن عن الاساءَة يعفو عند قدرتهِ
مَن للسياسة والتدبير بعدك يا هذا الامير ومَن يهدي بفكرتهِ
مَن للعباد وإحياء البلاد ومن يغيثهم ويلبي عند دعوتـهِ
لقد فقدناه شهماً فارساً بطلاً تخشى اعاديـه من بأساء صولتهِ
عُزّيتِ يا مصر فيه انهُ ملك بالملك قام ووفّى حق خدمتهِ
ولترفعي اليوم اعلام الحداد على كل الجهات وتبكي طول غيبتهِ
يا طالما طيّبَ الارجاءَ منك بما قد طاب من سيره فينا وسيرتهِ
ولست اذكر ما ابداه من اثر فالعين شاهدة تنبي بشهرتهِ
وانما اذكر اليوم الذي سلبت منا العقول بهِ من هول شدّتهِ
يوم به قيل قد مات العزيز وقد قضى وخلَّف فينا خير عترتهِ
قضى وخلفنا نبكي على ملكٍ فيه رُزئنا واضنانـا بفرقتهِ
نبكي على خير مولًى للعفاة على بدر الهداة وبيت الامن كعبتهِ
يا اوّل الناس توفيقاً لمملكـةٍ بهِ استقامت واولاهم بدولتهِ
اهناً بجنة عدن قد حباكَ بها مولاك واحظَ بقربٍ عند حضرتهِ
واسكن بها جنة الرضوان ارّخها توفيق أسكنهُ المولى بجنتهِ

—*—

١٣٠٩

﴿ وقال حضرة الاديب البارع الشيخ محمد علي العوامري باسكندرية ﴾

سلوا الافق هل منه هوى البدر توفيق
وهل غاب من بين الكواكب توفيق

وليل الدجى هل غاب فجر صباحه ... فلم يبدُ من انواره اليوم تشريق
وهل دك طود المجد والفخر بعد ما ... له كان في العلياء والعز تحليق
وهل لعزيز القطر شدت ركائبٌ ... لها في سريع السير لله تطويق
نعم سار للرحمن بالخير والتقى ... وكان له في طاعة الله توفيق
دهتنا ملمات الزمان بفقده ... فعمّ بهذا الخطب في الكون ترنيق
وغادره الدهر المسيء وخانه ... وكان له الاحسان فيه وتوثيق
وراش سهام الغدر نحو ذوي العلى ... فنافذها فيهم مصيب ومرشوق
وهذا مصابٌ ادهش الرأي والحجى ... ورزءٌ جليلٌ قد عرانا به الضيق
واذهل الباب الورى عن رشادها ... وكل فؤادٍ بالتجزع مخفوق
ففي مثله لا يحسن الصبر عنده ... ولا ينبغي فيه من الحزن تشفيق
ملمّ مريعٌ للوجود فارخوا ... عزاء الى كل الملا مات توفيق
١٣٠٩ ... ٧٩ ٤١ ٥٠ ١٠٢ ٤٤١ ٥٩٦

فيا دهر كم تعدو على كل ماجدٍ ... وكم لك في شمل الاكارم تفريق
يسابقهم منك الردى بنوائبٍ ... وليس له الا الاكابر تسبيقُ
قصفت بهذا القطر غصن شبيبةٍ ... له في رياض المجد زهوٌ وتوريق
وجرّعت كل الناس صاب مصائبٍ ... فكدرت عيشاً بالصفا فيه ترويق
وامست من الحزن الشديد قلوبها ... بنار الاسى فيها لهيبٌ وتحريق

وفاضت من الوجد المآقي كوابل ... لانسانها في ديمة الدمع تغريق
اتته المنايا بين غضّ شبابه ... وملك له بين الممالك تصديق
فحق على كل أمرئٍ لفراقه ... بكاءٌ وتسهيدٌ وشجوٌ وتغويق
وهيهات ان جفت من الدمع اعينٌ ... يفارقها بعد المدامع تأريق
قليل لهُ شقٌّ الجيوب فقد غدت ... قلوبٌ بها من لاعج الوجد تمزيق
قضى فقضى الصبر الجميل لفقده ... وفي كل قلبٍ بالتجزع توسيق
وقد قلت يوم البين فيه مورخاً ... قضى نحبه بالعز في الملك توفيق

١٨٩٢ ... ٩١٠ ٦٥ ١١٠ ٩٠ ١٢١ ٥٩٦

مضى ولهُ في كل قلب ارادةٌ ... وحبٌّ اكيدٌ في الفؤاد وتشويق
وسار على ركب النفوس بمشهدٍ ... له من جزا الطاعات بالنور تنميق
ترى نعشه في سيره حفه السنا ... فأُدهش منه حينما سار فقفوق
وشقّ القلوب القاسيات مهابةً ... وصار لهُ في حطمة الناس تبعيق
به قد مشت كل الصدور وصدرهم ... له من زفير الوجد صعدٌ تحنيق
وسارت حواليه الجنود وقلبهم ... لهُ آسفٌ من ذا الفراق ومزوق
واحشاؤهم ذابت عليهِ تحسراً ... واكبادهم فيها لهيبٌ وتفليق
وقد لبست ليل الحداد لموتهِ ... ثريا العلى في اثرها سار عيوق
وغابت شموس العز في حجب الاسى ... وامست لها في غيهب الحزن تطبيق
وساروا به والناس من كل جانبٍ ... لهم دهشة من ذا البهار وتحديق
الى مسجد المولى الحسين ابي الوفا ... وسبط رسول صادقُ الوعد مصدوق
وصلوا عليهِ والجميع لسانهم ... لهُ بالدعا من فضل مولاه مطلوق

ووافوا بــه قبرًا كروضة جنةٍ باكرام مولاه لهُ فيه تبنيق
بصالح اعمالٍ لهُ صـار يانعاً وفاح له من عرف تقواه تخليق
سقتهُ من الرحمن غادية الرضا وصوبٌ من الاحسان والعفو مدفوق
فيا آل مولانا الخديوي تثبتوا فليس مفيدًا بعد ذلك تعييق
وصبرًا على هذا الملمّ وهوله فان طريق الموت للكل مدعوق
فعظّم مولانا الكريم اجوركم وعوّضكم خيرًا لكم منه تفنيق
وان يكُ هذا الخطب في القطر هائلاً وكل امرئ من هوله فيه فروّق
فما مات من ولّى وخلّف والياً عزيزًا لهُ في الملك بالعهد توثيق
تولّى عليه حاكماً فازدهى بــهِ وصار له في شأنه اليوم تخليق
فتم لهُ بالعهد ملكٌ مؤرخ فعهد لعباس مع الصدق موثوق
سنة ١٣٠٩

فهذا الذي لولاه ما ذهب الاسى عليه ولا في الناس يوجد مشليق
فتًى ورث المجد المؤثل عن أبٍ واجداد فخر فهو بالمجد مخلوق
سليل الاولى كانوا الملوك بقطرنا وكان لهم في الحكم بالعدل تطبيق
لهُ عزمات في الامور يحثها بحزمٍ معينٍ لا يعانيه تعويق
عزيزٌ لهُ فضلٌ كثيرٌ كوالدٍ فذاك وهذا سابقٌ فيه مسبوق
كأن ابا العباس حيٌّ ولم يزل لهُ بالندى بين البرية تدفيق
فيا ايها المولى الذي بقدومه لقد زال حزنٌ من تهانيه ريوّق
تعزّ فهذه سنّة الله في الورى وهذا إسبيلٌ للبرية مطروق
وعش سيدي في ملك مصر مهنّأً يوازرك التوفيق والسعد صدّيق

ودم واحتكم فيه فتاريخه بدا لحكمك يا عباس في مصر تنسيق

سنة ١٣٠٩

فلا زلت بالحمد الذي انت اهله يوافيك مفهوم الثناء ومنطوق
ويا مصر تيهي بالعزيز الذي اتى له في قضايا الناس بالجد تعميق
ويا آل هذا القطر بالسعد ابشروا فقد لاح منهُ في الحكومة تدقيق
واهدوا لهُ بعد التعازي تهانئاً بنظم بديع في معانيه ترقيق
وهنوه بالتمليك فيه وأرخوا سرور خديوي مصر بالجد مرفوق

سنة ١٨٩٢

﴿ وقال حضرة الفاضل اللوذعي الشيخ محمد زكي ابن العالم العلامة ﴾
(والفاضل الفهامه الشيخ محمد سند)

بقاء الفتى سؤلٌ تُردُّ دعاتهُ وداء الردى داء تخيب شفاتهُ
واخرُ عمر المرء حتفٌ يزوره بـه تستوي نعأته ونعاتهُ
وداْبُ الورى ترقيعُ غير حمامها فان حل موت اعجزت رقعاتهُ
وان الفتى ياتي الصعاب بعقله وعند زؤام الموت تعيي حصاتهُ
وهيهات ردُّ الحين بعد وروده كجمر ثنت عن قبضه لذعاتهُ
وما المرء الا خافتٌ بعد خافتٍ فغايةُ كلٍّ صمته وخفاتهُ
وبابُ الردى لا بدّ تدخلهُ الورى وتأتي اليه خاضعين أُباتهُ
فان الردى ميزان تسوية الورى وميدان سبقٍ لا تؤوب مشاتهُ
فسيان أحياء الامير وجنده وسيان احبابُ الفتى وعداتهُ

وسيان نفسٌ للمليك وغيرها — وسيان ابنٌ لهُ ولداتهُ

على ان سهم الشكل لابد نافذٌ — فكيف ترجّى للمليك نجاتهُ

اما مات توفيق العزيز محمدٌ — فزعزع من طود الكمال ثباتهُ

لقد ضُمّنتْ اكفانه العدل والتقى — وساقت الى الترب العفافَ ثُباتهُ

وسارت بــه نحو التراب لدفنه — وكانت ذرى العلياء قبل حياتهُ

فان ضمهُ قبرٌ يضيق عن الندى — فقد رحبت بالمشرقين هباتهُ

وان سوّد الايام حالك خطبه — فقد بيضت صحف الطروس صفاتهُ

وان اذهب الصبر الجميل رحيله — فقد ابقت الذكر الجليل حياته

وان حال دون المدح عامل فقده — فقد نصبت سوق الرثاء وفاته

وان نسي الافضال حادث رزئه — فقد ذكرت عهد السخاء وَصاته

وان جزم الافراح امر مصابه — فقد رفعت شأن الثبات سراته

وان ترك الاكباد في شقوة اللظى — فقد شيعتــه للنعيم لُماتُه

وان وصل الاحسان جوداً وجودهُ — فقد قطع الاحشاء حزناً مماتــهُ

وان قتل الايام علمــاً وخبرةً — فقد احيت الليل البهيم صَلاته

وان ضاع ماء العين يوم فراقه — فقد حفظت ماء الحياء صِلاته

وان غاب عن عين الرعايا سخاؤه — (فعباس حلمي) قد بدت حسناتهُ

مليكٌ اقام الرعب في قلب من غوى — بصمصام عزمٍ لا تُفلُّ ظُباتهُ

مليكٌ له في العلم اكبر همةٍ — فلا ريبَ في ان العلومَ هداته

رعتك العلا من شر كل منافق — يحاول امرًا والمراد جهاتــهُ

فان اغضب الاعداء بأسك فيهمُ — فانت الذي ترضي الانامَ أناتُهُ

وان سرّهم سن الشباب لغايةٍ ... فانت الذي تدمي العدا وثَباته

وان غرّهم ماضي الزمان لحكمةٍ ... فهذا زمانٌ لا تراعُ رعاته

وان امسكت ايدي سواك عن الندى

فانت الذي لا شك تَندَى صفَاتهُ

فلا زلت غوثاً ما ترنمّ طائرٌ ... وما اعربت عن حاله سجعاته

ولا زال توفيق يحفُّ بقبره ... رضي الله ما دامت عليهِ سفاته

وما قال راثيه (زكي) بحسرةٍ ... بقاءُ الفتى سؤلٌ تُرَدُّ دعاتهُ

﴿ وقال ايضاً مؤرخاً وفاة الفقيد المغفور له وتولية سمو الخديوي عباس الثاني ﴾

مذ دهينا بفقد توفيق مصر ... حارت الخلق بعده والناس

وغدا الدهر معرضاً لاعتراضٍ ... وملامٍ وما على الدهر باس

وتولى الذهول عقل الرعايا ... واستوى الشك فيه والوسواس

فالزم الامر منصفاً وتمسّك ... بيقينٍ ما بعده نبراس

واطرح (الشكّ) إن نظمت وارّخ ... مات توفيق فليعش عباس (١)

﴿ وقال حضرة الراعي بتشر رئيس الشمامسة مؤبناً فقيدنا الراحل ومعدداً مناقبه ﴾

﴿ وكان ذلك في مجمع حافل بالنزلاء الانكليز ﴾

كان الامير المغفور له توفيق باشا صديقاً لقومه صدوقاً فكل من

(١) قصد الناظم بقوله واطرح الشك ان يطرح جمل «الشك» الذي مجموعه ٣٥١ من مجموع جمل شطر التاريخ الذي هو ١٦٦٠ . فيبقى ١٣٠٩ وهو التاريخ المقصود بالذات. وهذا وامثاله بديع في فن التاريخ خصوصاً اذا كانت هناك مناسبة مثل طرح «الشك» هنا حيث قال في البيت الثالث واستوى الشك الخ

وقف على سلم عابدين عند خروج النعش الى مدفنـه وشاهد الاعوان والخدم يذرفون العبرات وسمعهم يعولون و يصعدون الزفرات علم ان سهام الحزن اخترقت قلوب ادرى الناس به فباتوا يبكون من فؤاد جريح

نحن اليوم نبكي كبير هذه الديار وسيدًا عظيماً · اميرًا جلت فضائله فكلنا فاقد بفقده صديقاً حميماً · تاملوا مصاعبه فقد كان يحكم على أناس مختلفي الاجيال والالسنة ومتضادي الاديان والعقائد ومتناقضي الطباع والاخلاق وانا اعتقد انه كان محبوباً عند كل محب للحق والصواب وكان عادلاً رحوماً لا مبغض له الا محبو الظلم والقساوة · ثم تأملوا شجاعته فقد بانت مروءته بالاسكندرية سنة ١٨٨٢ حيث لم يكن الا نفر من الاصدقاء الذين يعوّل عليهم وكان ثمَّ ثمانية آلاف جندي معادون له وكلهم متربصون للفتك به فطُلب اليه ان يلتجئ الى بارجة من البوارج الانكليزية فاجاب جواباً يذكر له على مر الايام والاعوام حيث قال ان الواجب عليَّ هو البقاء مع قومي وبقي مع قومه

ثم تأملوا حنوهُ ووداده فانه لما تفشى الوباء سنة ١٨٨٣ كان يتعهد اماكن المرضى متنقلاً من فريق الى فريق بايمان وطيد وشجاعة وانعطاف شديد مهتماً عظيم الاهتمام بافقر المصابين شأن الوالد مع اولاده والراعي مع رعيته · ثم تاملوا حكمته في التساهل مع من لم يكن على ايمانه فانه لما حظي اسقفنا بمقابلته قال له اني أُسرُّ بمقابلة الرؤساء الروحيين لان من كان عبدًا اميناً لمولاه السماوي كان مخلصاً طائعاً لمولاه الارضي

ان مصر دانت لدولتين مكدونيتين انشأ كلٌّ دولة منهما جنديٌّ

فاتح فلدولة الاولى انشأها الاسكندر الكبير والدولة الثانية انشأها المغفور له محمد علي · واسم الثالث من خلفاء الاسكندر بطليموس المحسن وحبه واخلاصه لقرينتـه اشهر من ان يذكر حتى لقد خلد اسمها بين الكواكب · وكان مشهورًا بحب الدين والتقوى لا لسياسة منه بل رغبةً فيها · والسادس من امراء الدولة الثانية كان في الاخلاص والوفآء لذات العصمة حرمه المصون مثالاً يقتدي بـه رجال الشرق والغرب وينسجون على منوال جمال عيشته العائلية · ولا جرم انه ان كان امير قد اشتهر بالتقوى فذلك الامير هو محمد توفيق الاول فانه كان اشد الناس اعتكافاً على الصلاة واسخاهم كفاً في الاحسان فهو المحسن حقاً ونعم اللقب بالمحسن الى البلاد وعسى ان يكون اسمه معروفاً عند الالوف الذين خفف اثقالهم وحنا عليهم في احزانهم وعلّم اولادهم واصلح سيرتهم باسم محمد توفيق الرشيد اعني التقي الخائف الله

وقال حضرة القس دافس في كنيسة الرمل بالاسكندرية

قد كان الامير المغفور له واضعاً حب الله وخوفه نصب عينيـه متحرّياً اتمام الواجب على مقتضى الشرف والكرامة في اعماله ولا اشير الى رقة قلبه وكرم اخلاقه وحنوه واخلاصه فقد عرفناه وعرفنا حياتـه الطاهرة الزكية وصبره وجلده عند اشتداد الشدائد والمام الملمات فبفقده فقدنا صديقاً صدوقاً وفقد الفقراء محسناً شفوقاً وبات الكل يبكونـه من بعيد وقريب ووطني وغريب نسال الله ان يلهم آله وانجالـه حسن

الصبر وجميل العزاء

﴾ وقال حضرة القس لورانس في كنيسة الانكليز بالاسكندرية ﴿

قد تضمنت حياة خديوينا العزيز تاريخاً جليل الشان يُقَصُّ ويطالع على مدى الاعوام والازمان · فقد كان تبوُّؤهُ لسرير الامارة على فجأة في زمان محفوف بالمكاره فلما استوى عليه اظهر من الصبر والجلد والحكمة والرصانة ما رقى البلاد والامارة ايضاً في مراقي اليسر والفلاح ولو كان اقلّ حلماً وفضيلة وذمة او لو كان رجلاً عاتياً متجبرًا ومتغطرساً عنيدًا لدالت دولته من زمان ولكنه خاض غبار الفتنة سنة ١٨٨٢ وخرج منها ظافرًا منصورًا واميرًا مشكورًا على نجاة بلاده وحكيماً راى بثاقب بصيرته مكان الحذر فاجتنبه وامن جانبنا وعلم حسن مقاصد دولتنا فتكل علينا وقد كانت بغية كل انكليزي صادق منا ان نبرهن بمروءتنا وحميتنا انه اتكل على قوم لا يخيبون اتكالاً ولا يقابلون الوفاء الا بالوفاء والولاء ·· الى ان يقول—ومن لم يعلم بل لم يسمع بشفقة الامير واحسانه وصدقته سل المرضى والثكلى والذين فجعوا بذويهم ينبئوك بالرسل الذين كان يرسلهم لافتقادهم وتعزيتهم · سل المستشفيات تجبك بعياداته لها وبالاراضي والاموال التي وهبها احساناً لوجه الله حتى شعر الناس بمحبته لهم وحنوه عليهم من كل المراتب والطبقات

﴾ وقال حضرة القس الدكتور بورث الانكليزي يؤبن الفقيد وهو يعظ الناس ﴿
﴾ في كنيسة حضرة المرسلين بالقاهرة ﴿

اني لا أحقق رغبتكم اذا سكتُّ عن ذكر الخطب العظيم الذي هاج

الاشجان في الاسبوع الفائت فان وفاة المغفور لهُ غشيت بالاحزان امــة تهتمُّ بشأنها امم كثيرة غير اهلهــا الذين يقطنون وادي النيل وقد كان اميرها رحمه الله معتبرًا عند اكابر رجال السياسة في اوربا واميركا مكرماً عند كل من اسعده حظهُ بمعرفته ومعرفة قدرهِ وفضله وسياسته لامته · لا مطمع له الا خير رعيته وارتقاء شأنهم ولم يكن احدٌ يقول الا انه امير محب لوطنه ورجل عاقل وحرٌّ كريم مع ركوبه مركباً سياسياً خشناً محفوفاً بالمصاعب والمشاكل

واما ذات العصمة والعفاف حرمه المصون فكلانا مشارك لدولتها في العواطف مقاسم لها في الاحزان نطلب لها ما نطلبه للمصابين منّاً من نعمة العزاء والسلوان · والله نسأل ان يجعل الامير الذي أُلقيت تبعــة البلاد على عاتقه خليفة والده اسماً وفعلاً وصيتاً وفضلاً

﴿ وقال حضرة النبيه محمد بك المرعشلي ابن المرحوم محمد باشا المرعشلي ﴾

الكون أُوحش بعد انس الامس	لما غدا مولى الورى في الرمس
مصباح مصر وتاجها الشهم الذي	شهدت له عربٌ وكل الفرس
لا زال يرقى شبله اوج العلا	مَن اصبحت آياته كالشمس
ويحفّه الاقبال واليمن الذي	يعزى لوالده عزيز النفس
ما قال فيــه القطر حقاً ارخوا	توفيقنا قد زفَّ في الفردوس

١٣٠٩

﴿ وقال حضرة الشاعر المجيد والكاتب الفاضل حفني افندي ناصف ﴾

شقّوا القلوب وغادروا الاطواقا ... وذروا الدموع تقرّح الآماقا
ودعوا النفوسَ تصبّها أجفانكم ... دمعاً وتسكبها دماً مهراقا
ذوبوا من الاحزان لا تبقوا على ... اكبادكم واستنفدوا الارماقا
قد فارق الدنيا العزيز محمد ... يا لهف نفسي مَن يطيق فراقا
خطبٌ دوت في الخافقين رعوده ... فزعاً وطبّق نعيهُ الآفاقا
غشي الانام ولم يكن متوقعاً ... كالسحب صيفاً ارسلت إبراقا
وأصمّت الاسماع رنة وقعه ... والحزن أولى الألسن استغلاقا
ودجا الزمان فكل نور حلكةٌ ... ونبا المكان فكل رحبٍ ضاقا
ناشدتكم يوم ارتحال محمد ... مَن في الرعية لم يودّ لحاقا
هل تعلمون معمّرًا او ناشئاً ... لم يولهِ نبأُ الردى تصعاقا
هل تعلمون معمرًا أو ناشئاً ... لم يوسع الصبر الجميل طلاقا
ايُّ امرىءٍ لم يسقه يوم النوى ... كأساً من الروع المرير دهاقا
لا كان يوم سار فيه نعاته ... يلقون في مهج الورى إحراقا
هي ساعة راش القضاء سهامهُ ... فيها وحلّ بنا البلاء وحاقا
أودى فأيُّ فريصةٍ لم ترتعد ... أم أيُّ قلبٍ لم يكن خفاقا
بدرٌ عراه وهو في استقباله ... خسفٌ وصادف في الكمال محاقا
حملتهُ اعناق الرجال وطالما ... بنوالهِ قد طوّق الاعناقا
تركوه عمدًا في الظلام ولم يكن ... يرضى الشموع لبيته إشراقا

سكن القبور وكم قصور شادها ... وأوى الى غرفٍ وحلّ طباقا
ان فاق في المجد الملوك فانهُ ... أربى عليهم في العلى انفاقا
خُلُقٌ كما سرت الشمال ورقةٌ ... تحكي الشمول لطافةً ومذاقا
وبديهة نقف الروية دونها ... والسمع يلقي عندها الارواقا
وعبارة تشفي الغليل ومنطقٌ ... بمجامع المعنى يحيط نطاقا
وتساؤلٌ يذر المعمّى واضحاً ... وطلاقةٌ تولي النهى اطلاقا
خفق السماح عليه حتى انه ... لم يخشَ طالب جوده اخفاقا
لا يرهبُ الاقلال بعد لقائهِ ... عافٍ ولا يتهيّب الإملاقا
ان قيل عفوٌ فهو بحرٌ زاخرٌ ... لا يعرف الجاني لهُ اعماقا
طبعت سجاياهُ عليهِ أما ترى ... في كل بادرة له مصداقا
او قيل دِين فهو حافظ عهده ... كم شدَّ منهُ عرًى ومدَّ رباقا
او قيل اصلاح فذلك صنعهُ ... في مصر اعتق اهلها إعتاقا
لدغت أفاعي الحادثات يمينها ... دهرًا فكان لسمها ترياقا
رأب الصدوع بحكمةٍ منهُ وقد ... مُلئت طباق بلاد مصر شقاقا
وأقرَّ فيها العدل بعد تزعزعٍ ... والحقُّ أولى امره إحقاقا
ونفى الضلال فما تصدّى باطلاً ... إلاّ وازهق روحه ازهاقا
أولى المعارف في البلاد عوارفاً ... والعلمَ بعد ذبوله إيراقا
مهد الطريق لمن تقلد بعده ... وهدى السراة وفتّح الاغلاقا
فسروا بنبراس الذكاء ليغمضوا ... ممن تطلّع نحوها احداقا
ما وفق الله امرءًا في أمةٍ ... الا وكان لنفعها منُساقا

تربت يمين الدهر غيّب في الثرى	هذي الخصال وتلكمُ الأخلاقا
سبق الكرام الى النعيم وعهدنا	فيه لكل عظيمةٍ سبّاقا
وسرى الى الرب الرحيم ملاقياً	بين الملائكة الكرام رفاقا
عن فضله حدّث فطيب حديثهِ	يشفي المحبّ ويطرب المشتاقا
يـا راحلاً عنا تركت نفوسنا	تشكو الاسى وتساور الاشواقا
لم يُبقِ منا الحزن الا مهجةً	حرّى والاّ مدمعاً دفّاقا
خطفتك خاطفة المنية فجأةً	منّا وغادرت الجسومَ رقاقـا
لم تنتثر شهب السماء ولم يطل	مرضٌ ولم يبدِ الغراب نعاقا
ويدُ الردى سرقتك ليلاً ليتهم	حدُّوا بقطع يديهمُ السرّاقـا
بحماك حرّاسٌ وحولك عسكرٌ	صنوف ابهةٍ فكيف اطاقا
إنّا على الود الذي مكّنته	منا وعنهُ لا نحول فواقـا
لا كان مَن ينسى الولاء لسيدٍ	يوماً وينقض بعدهُ الميثاقـا

﴿ وقال حضرة الفاضل الشيخ محمد الزهري ﴾

اهنأ بقبرك يا مليك وعش به	متنعمًا فالعيش فيهِ انيق
وافرح بما قدمتهُ من صالحٍ	فالخير ذخرٌ والثواب رفيق
وابشر فقد قال النعيم مؤرخاً	رمسٌ عليهِ النور يا توفيق

سنة ١٣٠٩

﴿ وقال حضرة الاديب محمد افندي توفيق اباظه ﴾

قضى سيدُ العلياء فلتبكهِ مصرُ	بعينٍ تفوق السيل ادمعها الحُمرُ

وفي مثله فلينشد اليوم قائلٌ ... كذا فليجلّ الخطب وليفدح الامرُ
اميرٌ لهُ في كل قلبٍ مودّةٌ ... به مُزِجت كالماء مازجهُ الخمرُ
عليهِ نرى السلوان غير مساعدٍ ... اذا هاجت الاحزان واحتدم الصدرُ
وفي فقده مدَّ الحداد سوادهُ ... علينا فساد الغمُّ وانهزم الصبرُ
بكتهُ العلى والمجد بالدمع مثلما ... بكاهُ الندى والسيف والنهي والامرُ
ففي كلِّ عينٍ مدمعٌ غير نافدٍ ... وفي كلِّ صدرٍ من لواعجهِ جمرُ
أعظِّمُ قبرًا ضمَّ منهُ جمالهُ ... لان بذاك القبر قد غُيِّبَ البدرُ
فان غاب عن عينيَّ رسم سموّه ... ففي مهجتي الحرَّى يصوّره الفكرُ
سابكيهِ عن حزنٍ عداد جميلهِ ... وما قدَّمت للبرّ أنملهُ العشرُ
وافني عليهِ العمر ندبًا ولوعةً ... تجدّدها الشكوى ويحفظها الدهرُ
ولولا ابنه العباس عنهُ خليفةٌ ... لمادَ الكون واقترب الحشرُ
فنرجو لمولانا الفقيد مراحمًا ... يجود بها من فوق تربته القطر
ويسكنهُ المولى فراديس جنةٍ ... يُعَدُّ لهُ في دار نعمتها قصرُ
ويلهم فيهِ الآل صبرًا محببًا ... عليهِ ففي امثاله يكتسب الاجرُ

﴿ وقال ايضاً حضرة الشاعر المجيد عبد الله افندي فريج ﴾

ألا أوّاه من خطبٍ أليم ... لقيناهُ من الدهر الذميم
خؤونٌ لا يراعي ودَّ صحبٍ ... ولا يرعى عهودًا للنديم
يعاكس ذا العلى جهلاً كما ان ... يغضّ الطرف عن وغدٍ لئيم
وفيهِ الموت كالحصّاد اضحت ... لديه الناس كالزرع الهشيم

فلم يرحم كبيرًا او صغيرًا ولا يرثي الى الطفل الفطيم
أَلم ترَ كيف راح اليوم يسطو على توفيقنا الملك العظيم
أَلا يا موت ويلك في صروفٍ مذممةٍ وفي فعلٍ وخيم
لنا يا ظالماً فوَّقت سهماً فاصمى كل قلبٍ في الصميم
خسفت البدر فانشقَّت عليهِ قلوب الاهل بالوجد المقيم
كريمٌ كان للقصَّاد يصبو ويلقى الناس بالثغر البسيم
وفي حجر المعالي قد تربَّى على الاخلاص في الدين القويم
صفاتٌ كالشموس لنا تجلَّت به سبحانَ خلَّاق حكيم
فويلاهُ على بدرٍ منيرٍ دفناهُ من العظم الرميم
سنبكيه مدى الادهار حزناً وننعاهُ بنوحٍ مستديم
وننثر من مدامعنا عقودًا على علياهُ كالدر النظيم
ولكن حسبنا خلفٌ همامٌ هو العباس ذو الطبع الحليم
كأَن الله من لطفٍ براهُ بأَخلاقٍ ارقَّ من النسيم
وقد رقَّتْ شمائلهُ بحسنٍ وأُنس في محياهُ الوسيم
تولَّى ملكهُ فالحكم اضحى يسير على الصراطِ المستقيم
فدم يا أَيها المولى بعزٍ مدى عمر على رغم الخصيم
ومهلاً ايها النجل المفدَّى وثق بعناية المولى الرحيم
فذا حكمٌ قضى حتمًا علينا بهِ الخلَّاق من دهر قديم
وانت بحالة الايام ادرى جميع الناس ذو لبٍ فهيم
مضى ذاك العزيز بخير زادٍ ولاقى وجه مولاه الكريم

واذ نال الرضى من جود ربٍّ ومنهُ فاز بالفضل العميم
شدا عبدٌ رثاه حيث نادى بتاريخين عن قلبٍ كليم
نأى توفيقنا المبرور اصلاً فاضحى اليوم في جلِّ النعيم
سنة ١٣٠٩ سنة ١٣٠٩

﴿ وقال ايضاً حضرة الشاعر المجيد الشيخ محمد النجار مدرس العلوم العربية ﴾
﴿ بالمدرسة المحمدية ﴾

خفِّفي الدمع يا عيون النُّعاةِ واسمعي للهناء بشرى الرواة
غاب بدرٌ فلاح بدرٌ تربي في معاليه سارياً في الجهات
فرثينا بدر الثرى ومدحنا للمعالي بدر السُّرى والسراةِ
وسُقينا الدمعان حتى عجبنا لزمان في طوع ايدي السقاة
وسكرنا سكْرَيْ أسىً وسرور ولكلٍّ كاسٌ من المسكرات
وجمعنا ما بين لونَيْ سوادٍ وبياض في رفعنا الرايات
وبكينا تلك المعاهد حتى مرَّ حالي حلوان بالعبَرات
ورأينا اليراع يسبق منا كلَّ فكر في جمع تلك الصفات
وجرت للعزاء منّا عيونٌ في ثغور وقت الهنا باسمات
ونظمنا در الهناء نضيداً وعقيق الرثاء في ابيات
وشهدنا يومين يوم فراقٍ زاد هولاً ويوم جمع شتات
ذاك منهُ بالموت مرّاً غُصصنا وبهذا نلنا رجوع الحياة
وشكونا ليالي الخطب سوداً وشكرنا للوقت بيض هبات
ورث الشبل ليثهُ فغفرنا سيئات الزمان بالحسنات

ودعونا المولى سميعاً مجيباً وبسطنا الكفّين في الدعوات
فلتوفيقنـــا بخيرٍ نعيمٍ من جزيل الانعام والرحمات
ولعباسنا بطول بقـــاءٍ وبلوغ المنى في الاوقات
دام للملك ذلك الشبل فينا وارث الباقيات والصالحات
وارث العلم وارث الحلم عمن عمّنا بالانعــام والخيرات
وارث الملك عن نقيٍّ نقيٍّ وكثير الصلاّت جمّ الصِلاَت
وارث الملك عن ابيه وانعم بابن ليث الشرى وغيث العفاة
يا ابن توفيقنا العزيز ويا من لابيهِ الجزآء في الجنات
فز باعبآء ملك مصر وادرك أعيناً من مصابها باكيات
ضلَّ مسعاهمُ بما قد دهاهم فهداهم ضيآء هذه الذات
هذه مصر تربها لك تبرٌ وبهــا نيلهــا ابو البركات
هذه مصر هذه مصر تزهو بجواري انهارهــا الجاريات
هذه مصر والمزارع فيهــا طيّبات الاوقات والاقوات
هذه مصر والمعارف روضٌ لبنيهــا داني الجنى للجناة
هذه مصر والشريعة فيهــا حكمها العدل واضح البينات
هذه مصر والادارة فيهــا لم ينلها غير الرجال الثقاة
كن عليهم بالبرّ برًّا رحيماً وأعنهم بقوّةٍ وثبــات
واحفظا حفظ بالحزم والعزم ملكاً ملك مصر المذكور في الآيات
وهو ملك لجدكم من قديمٍ وهو محيي آثاره السابقات
دمت ما رمت يا عزيز عزيزًا بصعود السود للغايــات

ترجمة

المغفور له ساكن الجنان

محمد توفيق باشا

هو اكبر انجال سمو الخديوي اسماعيل باشا ابن المرحوم ابراهيم باشا ابن المرحوم محمد علي باشا الكبير ولد في صباح يوم الخميس ١٠ رجب سنة ١٢٦٩ وذلك في سراي القصر العالي ولما بلغ التاسعة من عمره اي في عام ١٢٧٨ عيّن له معلّمون خصوصيون في سراي الجزيرة فكان يتلقّى العلوم الابتدائية في السراي المشار اليها من الصباح الى الساعة الحادية عشرة نهارًا (حساب عربي) ثم يعود الى سراي القصر العالي للمبيت فيها · وبعد زمن يسير انتقل الى سراي النيل وعيّن له خوجات خصوصيون لتعليمه اللغتين العربية والتركية وكان معه بعض تلامذة من انجال الكبراء · ولما تم إنشاء مدرسة نظامية في السراي المشار اليها بادارة المسيو جاكلي زاد عدد التلامذة فيها حتى بلغ ٨٠ تلميذًا بقي فيها المغفور له الى ان تولّى سموّ والده الخديوي

اسماعيل باشا الاريكة الخديوية في سنة ١٢٧٩ فأُلغيت المدرسة وجُعِلَتْ إقامة المغفور له في القلعة

وفي عام ١٢٨٠ أُدخل المدرسة التجهيزية مع حضرات اصحاب السمو اخوته وجُعلتْ لهم فيها فرقة خصوصية تُعرف بفرقة الانجال · وفي سنة ١٢٨٣ سافر سمو الخديوي اسماعيل باشا الى الاستانة العلية بقصد جعل الوراثة الخديوية الجليلة حقًّا له ولذريته يتوارثها اكبر ابنائه فأكبر أبنائه · ولما أُتيح له ذلك في تلك الرحلة مُنح حينئذٍ توفيق باشا لقب « ولي عهد الحكومة المصرية » وكان لذلك احتفال باهر وإحتفاء زاهر

وبعد رجوع اسماعيل باشا من دار الخلافة العظمى بايام يسيرة عُقِدَت جمعية حافلة بسراي راس التين بثغر الاسكندرية حضرها كبار رجال الحكومة وقتئذٍ واكثر وجهاء البلاد واعيانها وقُرِئَ على مسامعهم الفرمان الشاهاني الصادر من لدن الحضرة العلية السلطانية بحصر توارث الخديوية الجليلة بسمو اسماعيل باشا وذريته الاكبر فالاكبر · وكان قد صدر الامر يومئذٍ باقفال دواوين الحكومة إجلالاً وتعظيماً وابطال المدارس الاميرية مدّة ايام فاتخذ توفيق باشا تلك الفرصة وسيلة للسياحة في جهات الوجه القبلي فتفقد احوالها وانتقد اعمالها وتعهد آثارها · وفي تلك السنة أهدته حكومة البورتوغال نيشان «الكونسيبسيون » وهو مختص بالعسكرية

وفي سنة ١٢٨٤ أُعِدّت له ولاخوته مدرسة خصوصية بادارة القبودان هابو (ضابط من اركان حرب فرنسا) وعُيِّن المرحوم عبدالله باشا فكري مدرّساً للغات الشرقية والمرحوم محمد قدري باشا مدرّساً للتاريخ · وبعد

مدة جُعِلَتْ الاقامة في سراي القبة . وكان ذكياً نبيهاً فطناً حاذقاً برهن على توقّد فكرته وعظم ذكائه في حلبة الامتحان الاول اذ نال فيها قصبات السبق . وفي اواخر تلك السنة مال للسياحة في الوجه القبلي مرّةً ثانيةً . وأُهدي اليه نيشان (غران كوردون كومندور منتيل) من جمهورية سان مارينو وقُبيل ختام تلك السنة رفع اليه المرحوم رفاعه بك الشهير كتاباً اسمهُ (انوار توفيق الجليل)

وفي سنة ١٢٨٥ كان قد أحسن تعلم اللغات العربية والتركية والفرنساوية والانكليزية وما يتبعها من العلوم كالنحو والصرف والتاريخ والجغرافيا والرياضيات والطبيعيات . وفي السنة عينها جُعلَتْ لهُ دائرة مخصوصة . وفي منتصف السنة المذكورة اهداه جلالة امبراطور النمسا نيشان (غران كوردون كورندفيل) وبعد ذلك بزمن قليل احسن اليه المغفور له السلطان عبد العزيز برتبة المشيرية الرفيعة فسافر على اثر ذلك الى الاستانة العلية لرفع مواجب الشكر والعبودية للحضرة السلطانية فحظي بشرف المثول بين يدي الجناب الشاهاني فاولاه التفاتاً وفيرًا وانعطافاً كثيرًا . ولما عاد الى القطر المصري تُلي الفرمان الشاهاني الصادر بالرتبة المشار اليها وكان لذلك حفلة حافلة . وفي اواخر السنة انتدبه سمو والده الجليل الى تسليم زمام المحمل الشريف الى امير الحج بالنيابة عنهُ وكانت هذه عادته — رحمة الله عليه — من ذلك العهد الى ان توفاه الله (ما خلا سنين يسيرة كان ينتدب فيها رئيس مجلس النظار لينوب عنه في هذه المهمة في ايام ولايته) وفي ذلك الحين تخصص له حرس دائم وكان مؤلفاً

من ١٢ شخصاً بين ياوران وضباط وجاويشية

وفي سنة ١٢٨٦ تأسست جمعيةٌ لنشر المعارف في البلاد وكان إنشاؤها بمساعي المرحوم عارف باشا الذي بذل من الجهد منتهاهُ ومن الاعتناءِ اقصاهُ في سبيل تأسيسها ولما نجحت مساعيه طلب الى صاحب الترجمة ان تكون تلك الجمعية برعايته وتحت حمايته فحاز طلبه قبولاً لديهِ واينعت اثمار الجمعية المشار اليها وكان لها شأن خطير

وفي شهر صفر من السنة المذكورة عزم سمو الخديوي اسماعيل باشا على السفر الى اوربا فعهد — قبل سفره — بمسند قائمقامية الخديوية الى فقيدنا العزيز فقام باعباء مهامها قياماً اكسبه ثناء والدهِ ورضى الامة ومما يستحق ان يذكر من اثاره اثناء وجوده في مسند القائمقامية انه انعم على مستخدمي الحكومة بخمسة عشر الف فدان من الاطيان المهملة المتروكة فامتلك بعضهم ٣٠ فداناً وبعضهم ٥٠ وبعضهم ٨٠ وبعضهم ١٠٠ فدان وكان لهذه المـأثرة ذكر مذكور في جميع الأندية والمجتمعات . وفي هذه السنة أَلَّف المرحوم رفاعه بك السالف ذكره كتاباً مستطاباً سماهُ «مناهج الالباب المصرية في مباهج الآداب العصرية» فرفعه الى مقام صاحب الترجمة فصادف حسن القبول لديه . وقداهدته حكومة ايتاليا عامئذٍ نيشان «غران كوردون دو لا كورون ديتالي» . ولما تم افتتاح قنال السويس أَنابه عنه سمو والده الكريم في استقبال الملوك والامراء وغيرهم من العظماء والكبراء الذين وفدوا على القطر المصري لحضور الاحتفال العظيم الذي أُقيم لهذه الغاية فقام برسوم الاستقبال والاحتفال والترحيب والمجاملة وحسن المعامله قياماً جاء برهاناً على انه من ذوي الهمم العاليـه . وفي منتهى

الاحتفال أهدى اليه جلالة قيصر روسيا نيشان غران كوردون من صنف النسر الاحمر واهدى اليه جلالة امبراطور النمسا نيشان غران كوردون من صنف ليوبولد . وبعد ذلك بقليل جعل اقامته في القلعة وعيّن له مبلغ ٣٠٠٠ جنيه مصري راتباً سنوياً

وفي سنة ١٢٨٧ عزم على التجول في بلاد اوربا فبارح القطر المصري في شهر مايو سنة ١٨٧٠ وقصد بادئ بدء دار الخلافة العظمى فلقي هناك إكراماً زائداً ثم بارحها وسار الى فيناً عاصمة بلاد النمسا عن طريق وارنا فأقام فيها اياماً وغادرها قاصداً بودابست فزار معاملها وتعهد مصانعها وحضر فيها جلسات مجلس نوّاب الأمة وشاهد مواقعها العظيمة واماكنها الشهيرة وعاد من ثمّ الى بلاد النمسا المشهوره بمتاحفها وآثارها ومدارسها ومعاهدها فزارها جميعاً وزار الكتبخانه الملوكية ومعمل الاسلحة الكبير وعاين غير ذلك مما يطول شرحه لو أريد ذكره . ولقد كان في عزمه ان يزور مدينة برلين فباريس فلندره ويعرج عند عودته الى مصر على (رومه) ولكنه لم يستطع انفاذ ذلك العزم فاضطر للرجوع الى مصر بناءً على إشارة والده الذي كان متأهباً للسفر الى دار السعادة للتشرف بمقابلة الحضرة العلية السلطانية فعهد اليه والده مسند قائمقاية الخديوية الجليله مرّةً ثانيةً

وفي ١٧ جمادى الثانية سنة ١٢٨٨ كان صاحب الترجمة قد سبر غور الاعمال واختبر سير العمّال وعرف مسرى كبار الرجال وكان قد كمل تثقيفه وتهذيبه وتوفرت فيه شروط الاهلية واللياقة لمزاولة الاعمال المهمة سواء كانت ادارية او سياسية فولي رئاسة المجلس الخصوصي وكان عمره اذ ذاك ١٩ سنة

وجاءت اعماله في ذلك المجلس مبرهنةً على علو همته وسمو عزيمته وثاقب فكره وصائب رأيه فتقلد بعد ذلك بقليل رئاسة مجلس النظار ونظارتي الداخلية والاشغال العمومية وكان له في كل هذه المناصب آثار فضل واجتهاد وعلم واختبار · وقُبيل نهاية السنة المذكورة اهدته حكومة اسبانيا نيشان غراند كرواه من صنف شارل الثالث

وفي سنة ١٢٨٩ أُهدي نيشان انيون سياد من الدرجة الاولى · وفي شهر ربيع الثاني من السنة المذكورة توجه والده الجليل الى الاستانة العلية وأُحيلت الى صاحب الترجمة قائمقامية الخديوية مرةً ثالثة · وفي منتصف تلك السنة تقريباً انعم عليه المغفور له السلطان عبد العزيز بالنيشان المجيدي المرصّع من الطبقة الاولى · وفي اواخر شهر شوال تمّ انعقاد العزم على اقتران صاحب الترجمه بحضرة ذات العفاف والعصمة عقيلة الصيانة وربة الكمال والرصانة امينة هانم كريمة المغفور لـه الهامي باشا المشهور ابن عباس باشا الاول ابن طوسون باشا ابن محمد علي باشا وقد أُعلنت بشائر الافراح في ٧ شهر القعدة وفي ١٤ منه سير بموكب النيشان بمصر المحروسة وكان لذلك احتفال بالغ منتهى الاحتفاء وفي ١٧ من الشهر المذكور تم عقد الزواج · وفي ليلة ٢٦ منه تمّ الزفاف بسراي القبة بابهة جمعت بين زواهر الاجلال وبواهر الكمال في السراي المشار اليها وفي القصر العالي

وفي سنة ١٢٩٠ عُهد الى صاحب الترجمة تولّي مسند قائمقاميه الخديويه مرةً رابعة · وبعد ذلك بمدة قليلة حصل بعض تعديلات في الفرامانات الشاهانية المتعلقة بامتيازات ولاية عهد الاريكة الخديوية

وفي اوائل شهر جماد آخر سنة ١٢٩٠ (١٤ لوليو سنة ١٨٧٤) أَشرقت في افق الوجود انوار طلعة الامير عباس باشا (الخديوي الحالي) .

وفي سنة ١٢٩١ أُهدي صاحب الترجمة نيشان الغران كوردون من صنف « ايلدنبرج » ونيشان « ليوبولد » البلجيكي من الرتبة الاولى . وفيها امر صاحب الترجمة — يا رحمهُ الله — بترميم قبة جامع الغوري . وانشاء سبيل « علاَّم » الكائن بطريق القبَّة . وتجديد الزاوية المنسوبة الى سيدي ابراهيم المدبولي الكائنة ببركة الحج وإصلاح طريقها . وإعادة افتتاح مدرسة القبة (التي كانت مؤسسة على نفقته) . وإنشاء جامع السواح . واحداث مسجد بكفر الجاموس ببركة الحج

وفي سنة ١٢٩٢ اهدته دولة الانكليز نيشان « كوكب الهند » وقد سلَّمه اليه صاحب المقام الملوكي البرنس دوغال ولي عهد الدولة الانكليزية الذي اقام عامئذٍ في مصر بضعة ايام قبل توجهه الى الهند . واهداهُ جلالة شاه ايران نيشان الشمس والاسد من الدرجه الاولى

وفي ١١ شوال من سنة ١٢٩٣ (الموافقة سنة ١٨٧٦) وُلد لهُ ثاني انجاله سمو الامير محمد علي بك (شقيق ولي نعمتنا خديوينا عباس باشا الثاني اطال الله وجوده وادام فضله وجوده)

وفي سنة ١٢٩٤ امر صاحب الترجمة بتشييد المسجد الكائن بجهة القبة السابق بناؤُه هناك على مقربةٍ من قبر سيدنا ابراهيم بن عبد الله بن الحسن بن علي بن ابي طالب (رضه) لما سبق تحققه لديه من ان هذا المسجد بُني قبلاً إكراماً لصاحب المقام المشار اليه فاراد رحمة الله عليه ان يعيد

تشييد ذلك المسجد إحياءً لذكر صاحب المقام وإكراماً لآل البيت الكرام .
وأمر في الوقت نفسه بتجديد بناء القبر الكائن هناك وبناء قبة فوق المسجد وإحداث سبيل لتستقي منه القصاد والوفاد .

وفي اوائل سنة ١٢٩٥ حصلت في مصر تقلبات اوجبت تأليف مجلس النظار من عناصر مختلطة إجابةً لداعي الاحوال فاستقال فقيدنا العزيز من الوظائف التي كان قابضاً على زمامها وسبقت الاشارة اليها فيما مرّ من البيان وتمّ اذ ذاك تشكيل هيئة النظار من عناصر مختلفة كما مرّ الكلام وكان ذلك في ٢٦ ربيع اول من السنة المذكورة (٣٠ مارس سنة ١٨٧٨) وتراءى للهيئة الجديدة وقتئذٍ عدم التمكن من اصلاح الاحوال ولا سيما المالية منها الاّ اذا تنازل حضرات امراء العائلة الخديوية عمّا كانوا يمتلكونه من الاطيان المعروفة الآن باطيان الدومين فكان المغفور له ممن تنازل عن تلك الاطيان . وفي ٢٥ صفر من السنة المذكورة (١٨ فبراير سنة ١٨٧٩) كان الضنك قد اشتدّ كثيرًا على مستخدمي الحكومة المرفوتين فدعتهم الحالة الى احداث ثورة في ذلك العهد فتجمهر نحو ٥٠٠ ضابط و٢٠٠٠ نفر في اليوم المذكور وامسكوا ببعض النظار طالبين ما كان متاخرًا لهم من الرواتب الشهرية وكاد الامر يفضي الى ما لا تحمد نهايته فتدارك الامر سمو الخديوي اسماعيل باشا واقبل بهيبته على اولئك القوم فبهتوا عند رؤيته وجنحوا الى السكينة فلاطفهم في الكلام ووعدهم خيرًا فامتنوا وشكروا واستقال على إثر ذلك الوزيران صاحبا الدولة نوبار باشا ورياض باشا فرارًا من كل مسئولية . وعُهدت حينئذ الى ساكن

الجنان صاحب الترجمة رئاسة مجلس النظار فسعى جهده واجتهد وسعه في مداواة المعتل من الامور وإصلاح المختل من الشؤون واول امر اعتني بإنفاذه صرف المتاخر من الرواتب الى ذوي الشان وسن قانون للمعاشات وجعل إقامته في سراي الاسماعيلية بدلاً من سراي القبة · وبعد بضعة شهور رأى استحالة الوصول الى التوفيق بين مصالح الحكومة وصوالح ارباب المطالب الجمة فاستقال من رئاسة مجلس النظار

وفي ١١ جمادى الاولى سنة ١٢٩٥ ولدت له الاميرة المصونة خديجه هانم

ولاية

الخديوي المغفور له

محمد باشا توفيق

من يوم الخميس ٦ رجب سنة ١٢٩٦ هـ او ٢٦ يونيو سنة ١٨٧٩ م الى يوم الخميس ٧ جمادى الثانية سنة ١٣٠٩ هـ او ٧ يناير سنة ١٨٩٢ م

تولى سمو الخديوي المغفور له محمد باشا توفيق خديوية مصر الجليله في يوم الخميس ٦ رجب سنة ١٢٩٦ (الموافق ٢٦ يونيو سنة ١٨٧٩) وذلك إثر استقالة سمو والده الجليل الخديوي اسماعيل باشا فاعتلى الاريكة

الخديوية والبلاد بين محن داخلية واحن خارجية ومصاعب مشكلة ومتاعب معضلة وغير ذلك مما لا محلّ لايراده في هذا المقام · وكانت توليتهُ بمقتضى تلغراف ورد اليه من الباب العالي بناء على ارادة السلطان الاعظم · وكان ورود التلغراف الى مصر في الساعة الرابعة والدقيقة ٣٠ من يوم الخميس السالف ذكرهُ وهذا تعريبهُ

« بناء على ان الخطة المصرية هي من الاجزاء المتمة لجسم ممالك السلطنة السنية وان غاية صاحب الشوكة والاقتدار انما هي تأمين اسباب الترقي وحفظ الامن والعمارة والممالك وبناء على ان الامتيازات والشرائط المخصوصة الممنوحة للخديوية المصرية مبنية على ما للحضرة الشاهانية من المقاصد المذكورة الخيرية وبناء على تزايد اهمية ما حصل في القطر المصري ناشئاً عمّا وقع فيه من المشكلات الداخلية والخارجية الفائقة العادة وجب تنازل والد جنابكم العالي اسماعيل باشا · ثم انهُ بناء على ما اتصفت بهِ ذاتكم السامية الآصفية من الرشد وحسن الروية وعلى ما ثبت لدى ملجإ الخلافة الاسمى من ان جنابكم الداوري ستوفقون الى استحصال اسباب الامنية والرفاهية لصنوف الاهالي والى ادارة امور المملكة على وفاق ارادة الحضرة الشاهانية الملوكانية توجهت الارادة العلية بتوجيه الخديوية الجليلة الى عهدة استئهال آصفانيتكم وبناء على الفرمان العلي الشان الذي سيصدر حسب العادة على مقتضى الارادة السنية السلطانية التي صار شرف صدورها وبناء على ما كتب في التلغراف الى حضرة المشار اليه اسماعيل باشا من تخليه عن النظر في امور الحكومة وتفرغه منها بصورة وقوع انفصاله قد تحرر تلغراف هذا العاجز لكي يعلن حال وصوله للعلماء والامراء والاعيان واهل المملكة جميعاً وتباشر من بعده امور الحكومة وهذا من التوجيهات الوجيهة الى اثر استحقاق آصفانيتكم لتجري التنظيمات والترقيات مبدأً ومقدمة . ويصير تكرير الدعاء بتوفيق الذات الجليلة الفخيمة السلطانية ولذلك صارت المبادرة الى ايفاء لوازم التهنئة لحضرتكم ايها الخديوي المعظم والامر والفرمان على كل حال لمن له الامر افندم »

الامضاء

خير الدين

وما وصل التلغراف المشار اليه حتى صدرت الاوامر باعداد ما يلزم إعداده من معدات الاحتفال بذلك ولما تهيأت الاسباب جلس سموهُ في صدر مقام الاحتفال بالقلعة واخذ يستقبل وفود المهنئين من وزراء وعلماء (وفي مقدمة هؤلاء حضرات نقيب الاشراف وقاضي مصر وشيخ الجامع الازهر) وقناصل جنراليه وامراء عسكريه وملكيه ورجال قضاء ونواب ووجهاء وارباب جرائد وكبار موظفين وغيرهم· وفي ختام الحفلة أرسل سموه الى الباب العالي تلغرافاً جواباً على تلغراف التوليه · وفي ١١ رجب سنة ١٢٩٦ (٣٠ يونيو سنة ١٨٧٩) بارح مصر سمو الخديوي اسماعيل باشا قاصدًا اوروبا عن طريق الاسكندرية فكان لوداعه في محطة مصر ازدحام عام وفي مقدمة المودِّعين سمو نجله الخديوي السابق فخاطب سمو اسماعيل باشا جمهور الحاضرين بعبارات الشكر ثم التفت الى نجله المشار اليه وخاطبهُ بما اقتضاه المقام وابتغاهُ الموضوع وختم كلامهُ بان اوصاه باخوته وبجميع آله

وفي ١٣ رجب من السنة المذكورة اي سنة ١٢٩٦ (٢ لوليو سنة ١٨٧٩) عين مجلس النظار رواتب محدوده الى اعضاء العائلة الخديوية الكريمة رغبةً منه في التوفيق بين ايرادات الحكومة ومصروفاتها فتنازل الفقيد العزيز عن مبلغ ٢٠٠٠٠ الف جنيه من مرتبه الخصوصي السنوي وامر بضمه الى مرتب والده · وفي اليوم المذكور قدّمت الوزارة استعفاءها كما جرت به العادة عند تولية والٍ جديد فقبل الجناب الخديوي استعفاءها وكلف الطيب الذكر المرحوم شريف باشا بتشكيل وزارةٍ برئاسته .وبعث سموهُ في ١٤ رجب (٣ لوليو) منشورًا الى هيئة الوزاره الجديده أبان

فيهِ اراءَهُ واوضح افكارهُ فيما يتعلق بمستقبل سياستهِ وبما ينوي اجراءَهُ من الاصلاح فسرت الوزارة على سنن سموه وسعت في تسوية الديون السائرة. وفي اوائل شهر شعبان اصدر سموهُ امرًا الى نظارة الجهاديه (بعد التداول مع هيئة الوزارة) قاضياً بصرف ١٠٠٠٠ نفر من الجنود التي كانت في الخدمة وبقي الجيش المصري مؤلفاً من ١٢٠٠٠ فقط . وفي ٢٦ منه (١٤ اغسطس) ورد الفرمان السلطاني المؤذن بتولية سموه خديوياً على البلاد المصرية وكان ارسالهُ صحبة دولتلو علي فوآد بك باشكاتب المابين الهمايوني . وهذا تعريبه

فرمان تولية توفيق باشا المعظم

« الدستور الاكرم والمعظم الخديوي الافخم المحترم نظام العالم وناظم مناظم الامم مدبر امور الجمهور بالفكر الثاقب متمم مهام الانام بالراي الصائب ممهد بنيان الدولة والاقبال مشيد اركان السعادة والاجلال مرتب مراتب الخلافة الكبرى مكمل ناموس السلطنة العظمى المحفوف بصنوف عواطف الملك الاعلى خديوي مصر الحائز لرتبة الصدارة الجليلة فعلاً الحامل لنيشاننا الهمايوني المرصع العثماني ولنيشاننا المرصع المجيدي وزيري سمير المعالي توفيق باشا ادام الله تعالى اجلالهُ وضاعف بالتاييد اقتدارهُ واقبالهُ

« انه لدى وصول توقيعنا الهمايوني الرفيع يكون معلوماً لكم انه بناء على انفصال اسماعيل باشا خديوي مصر في اليوم السادس من شهر رجب سنة ١٢٩٦ ﻫ وحسن خدامتكم وصداقتكم واستقامتكم لذاتنا الشاهانية ولمنافع دولتنا العلية ولما هو معلوم لدينا من ان لكم وقوفًا ومعلومات تامة بخصوص الاحوال المصرية وانكم كفوءٌ لتسوية بعض الاحوال الغير المرضية التي ظهرت بمصر منذ مدة واصلاحها وجهنا الى عهدتكم الخديوية المصرية المحدودة بالحدود القديمة المعلومة مع الاراضي المنضمة اليها المعطاة الى ادارة مصر توفيقاً للقاعدة المتخذة بالفرمان العالي الصادر في ١٢ محرم سنة ١٢٨٣ ﻫ المتضمن توجيه الخديوية المصرية الى اكبر الاولاد وحيث انكم اكبر اولاد الباشا المشار اليه قد وجهت الى عهدتكم

الخديوية المصرية . ولما كان تزايد عمران الخديوية المصرية وسعادتها وتأمين راحة كافة اهاليها وسكانها ورفاهيتهم هي من المواد المهمة لدينا ومن اجل مرغوبنا ومطلوبنا وقد ظهر ان بعض احكام الفرمان العلي الشان المبني على تسهيل هذه المقاصد الخيرية المبين فيه الامتيازات الحائزة لها الخديوية المصرية قديماً نشأت عنها الاحوال المشكلة الحاضرة المعلومة فلذلك صار تثبيت المواد التي لا يلزم تعديلها من هذه الامتيازات وتأكيدها وصار تبديل المواد المقتضى تبديلها وتعديلها واصلاحها فما تقرر اجراؤه الآن هو المواد الآتية وهي

« ان كافة واردات الخطة المذكورة يكون تحصيلها واستيفاؤها باسمنا الشاهاني . وحيث ان اهالي مصر ايضاً من تبعة دولتنا العلية وان الخديوية المصرية ملزومة بادارة امور المملكة والمالية والعدلية بشرط ان لا يقع في حقهم ادني ظلم ولا تعدٍ في وقت من الاوقات فخديوي مصر يكون ماذوناً بوضع النظامات اللازمة للداخلية المتعلقة بهم وتاسيسها بصورة عادلة . وايضاً يكون خديوي مصر ماذوناً بعقد وتجديد المشارطات مع ماموري الدول الاجنبية بخصوص الجمرك والتجارة وكافة امور المملكة الداخلية لاجل ترقي الحرَف والصنائع والتجارة واتساعها ولاجل تسوية المعاملات السائرة التي بين الحكومة والاجانب او بين الاهالي والاجانب بشرط عدم وقوع خلل بمعاهدات دولتنا العلية البوليتيقية وفي حقوق متبوعية مصر اليها وانما قبل اعلان الخديوية المشارطات التي تعقد مع الاجانب بهذه الصورة يصير تقديمها الى بابنا العالي . وايضاً يكون حائزاً للتصرفات الكاملة في امور المالية لكنه لا يكون ماذوناً بعقد استقراض من الآن فصاعداً بوجه من الوجوه وانما يكون ماذوناً بعقد استقراض بالاتفاق مع المدائنين الحاضرين او وكلائهم الذين يتعينون رسمياً . وهذا الاستقراض يكون منحصراً في تسوية احوال المالية الحاضرة ومخصوصاً بها . وحيث ان الامتيازات التي أعطيت الى مصر هي جزء من حقوق دولتنا العلية الطبيعية التي خصت بها الخديوية واودعت لديها لا يجوز لاي سبب او وسيلة ترك هذه الامتيازات جميعها او بعضها او ترك قطعة ارض من الاراضي المصرية الى الغير مطلقاً ويلزم تادية مبلغ ٧٥٠ الف ليرة عثمانية الذي هو الويركو المقرر دفعه في كل سنة في اوانه وكذلك جميع النقود التي تضرب في مصر تكون باسمنا الشاهاني ولا يجوز جمع عساكر زيادة عن ثمانية عشر الفاً لان هذا القدر كافٍ لحفظ امنية ايالة مصر الداخلية في وقت الصلح . وانما حيث ان قوة مصر البرية والبحرية مرتبة من اجل دولتنا يجوز ان يزاد مقدار العساكر بالصورة التي تستتب فيها حالة دولتنا

العلية محاربة وتكون رايات العساكر البرية والبحرية والعلامات المميزة لرتب ضباطهم كرايات عساكرنا الشاهانية ونياشينهم ويباح لخديوي مصر ان يعطي الضباط البرية والبحرية الى غاية رتبة اميرالاي والملكية الى الرتبة الثانية ولا يرخص لخديوي مصر ان ينشيء سفناً مدرعة الا بعد الاذن وحصول رخصة صريحة قطعية اليه من دولتنا العلية · ومن اللزوم وقاية كافة الشروط السالفة الذكر واجتناب وقوع حركة تخالفها وحيث صدرت ارادتنا السنية باجراء المواد السابق ذكرها قد اصدرنا امرنا هذا الجليل القدر الموشح اعلاه بخطنا الهمايوني وهو مرسل صحبة افتخار الاعالي والاعاظم ومختار الاكابر والافاخم علي فواد بك باشكاتب المابين الهمايوني ومن اعاظم دولتنا العلية الحائز والحامل للنياشين العثمانية والمجيدية ذات الشان والشرف

« حرر في تاسع عشر شهر شعبان المعظم سنة ١٢٩٦ من هجرة صاحب العزة والشرف »

وفي ٢٩ شعبان (١٧ اغسطوس) استقالت وزارة المرحوم شريف باشا استقالةً غير مبنيةٍ على اسبابٍ واضحة فخلفتها وزارة أُخرى وقتية برئاسة العزيز الراحل ورأى سموه وجوب استقدام دولتلو رياض باشا من اوروبا ليعهد اليه تشكيل وزارة برئاسته فأُرسلت التلغرافات الى دولتلو رياض باشا وفي ١٧ رمضان (٣ ستمبر) قدم دولتهُ الى الاسكندرية وفي اليوم الثاني اتى الى مصر فعهد اليه سموهُ تأْليف وزارة جديده بعد ان استعفى النظار الذين كانوا على منصة الاحكام

وما مرَّ على عهد وزارة دولتلو رياض باشا الاَّ بضعة شهور حتى تحسنت شؤُون الحكومة وانتظمت احوال البلاد تحسناً وانتظاماً زادا ثقة المغفور لهُ صاحب الترجمة في تلك الوزارة واستوجبا ارتياح الأُمة الى منهاج سيرها · وفي ٢٩ محرم سنة ١٢٩٧ (١١ يناير سنة ١٨٨٠) قرَّر مجلس النظار تشكيل لجنة خصوصية للنظر في إنشآء مبادي مشروع قانون

التصفية المعلوم الشأن لدى كل مصري · وفي ٥ صفر (١٧ يناير) صدر الامر العالي القاضي بإلغاء الضرائب الجزئية والشخصية وكان مجموعها لا يتجاوز ٦٠٠٠٠٠ جنيه سنوياً · وفي ٩ منه (٣١ يناير) صدر امرٌ آخر بالغاء البون المعروف ببون حليم باشا

وفي ١٠ صفر (٢٢ يناير) ابتدأ سموهُ يتجول في بلاد القطر القبليه ثم استتبع ذلك في البلاد البحرية وكان تجولهُ بناءً على اقتراح الوزارة جرياً على العاده المألوفه في كل تولية جديده · وقد كان لسياحته هذه وقع عظيم التأثير في نفوس الاهالي الذين كانوا يتسابقون في اظهار شعائر الامتنان بإقامة الزينات الفاخرة والاحتفالات الباهرة · وفي ١٠ شعبان (١١ لوليو) كانت لجنة التصفيه قد سنّت قانونها المعلوم (وهو مؤلف من ٩٩ بنداً وكشفين يحتويان بيان التسويات) فصدر الامر العالي بالتصديق عليه

وفي ١١ ذي القعده سنة ١٢٩٨ (٤ اكتوبر سنة ١٨٨١) أصدر سموهُ امرًا عالياً باعتماد لائحة مجلس النواب التي تمت في عهد وزارة المرحوم شريف باشا وذلك اجابةً لرغائب الجهاديه · وفي ١٣ منه (١٠ اكتوبر) وفد على القطر المصري وفدٌ من السلطنة السنية مؤلفٌ من حضرات نظامي باشا وراضي باشا وفؤاد بك وصفر افندي بقصد تبليغ سموه رضى الجناب السلطاني عن عزمهِ وحزمهِ في اصلاح شؤون العباد وتحسين احوال البلاد فاكرم الفقيد — رحمهُ الله — وفادة هذا الوفد وشكر تعطفات الحضرة السلطانية ودعا بطول بقائها · وفي ٢٦ منه (١٩ اكتوبر)

سافر الوفد المشار اليه عائداً الى الاستانة ناشراً لواء الثناء على الامير المأسوف عليه · وفي ٢٥ ذي الحجه (١٧ نوفمبر) اصدر امرهُ العالي المؤذن بتنظيم المحاكم الاهلية ولائحة ترتيبها · وفي ذلك التاريخ انفذ وفداً الى دار السعادة لردّ الزيارة للوفد السالف ذكره · وفي هذه السنة ولدت لهُ الاميره المصونه نعمت هانم

وفي ٥ صفر سنة ١٢٩٩ (٢٦ ديسمبر سنة ١٨٨١) كان قد تمّ تشكيل مجلس النواب (كان هذا المجلس مؤلفاً من ٧٢ عضواً وكان رئيسه المرحوم سلطان باشا ورئيس اقلام كتبتهِ المرحوم فكري باشا) فحضر المغفور لهُ جلسة افتتاحهِ وألقى مقالةً اظهر فيها ميلهُ الغريزي الى تعضيد هذا المجلس وتنشيطه ليكون مساعداً لهُ في نشر الاداب وبث المعارف

وفي مساء يوم الجمعة اول رجب سنة ١٢٩٩ (١٩ مايو سنة ١٨٨٢) وفدت على مينا ثغر الاسكندريه دارعة حربية انكليزيه وفي صباح اليوم التالي دارعتان أخريان وبعدها دوارع أخرى بين انكليزيه وفرنساويه حتى اجتمع في الميناء اسطولان كاملان وكان وفودهما على إثر تظاهر الجهاديه بمطالبها المعلومة الشأن لدى الجميع · واخذت من ثم الثوره العرابية المشهورة تنمو وتزيد يوماً فيوماً حتى نجم عنها ما كان من حادثة ١١ يونيو من السنة المذكورة وهي الحادثة المعروفة عند العوام «بمذبحة اسكندرية» ومن هناك اخذت ثورة الخواطر وهياج الافكار باسباب الامتداد والانتشار حتى كان ما كان من امر الاحتلال الانكليزي الذي لا نرى وجوباً لشرح بيانه في هذا المقام لانهُ يتعدّى الموضوع المقصود بالذات من تأليف

هذا الكتاب ولكننا مع ذلك نثبت لصاحب الترجمة ببضعة سطور مـا كان من حزمه وشهامته في إبان الهيجان وفي اشتداد العنفوان فقد كان لما اظهرهُ من الجلد والصبر والحلم ولا سيما في عدم نزوله الى الدوارع الانكليزيه (كما اشار الاميرال سيمور ليكون آمناً فيها من شرور الثوره) وقعٌ عظيم في القلوب وتأثيرٌ حسن في النفوس . وبعد انطفاء شعلة الثورة ببضعة ايام اي في ٢٥ سبتمبر من سنة ١٨٨٢ المذكوره عاد سمو الخديوي المرحوم الى مصر المحروسة مصحوباً بجميع النظار فكان لهُ احسن استقبال في المحطة وتوجه سموهُ راساً بموكب حافل الى سراي الجزيره لاجراء التشريفات فيهـا بمناسبة عودته الى مصر بعد مقاساة تلك الشدائد وأُقيمت الاحتفالات الفاخرة في العاصمة إجلالاً لذلك مدة ثلاث ليالٍ متوالية . وفي ١٥ ذي القعده سنة ١٢٩٩ (٢٨ سبتمبر ١٨٨٢) أَمر سموهُ بتشكيل لجنة مخصوصه في العاصمة برئاسة المرحوم اسماعيل باشا ايوب لتحقيق قضايا مَن كان لهُ يد في الثوره . وبتشكيل محكمة شرعيه برئاسة المرحوم محمد راؤف باشا للفصل في القضايا التي تقدمها اليها اللجنه الآنفة الذكر ويكون فصلها انتهائياً لا يُستأنف . وبتشكيل لجنة عسكريه في الاسكندريه برئاسة عثمان باشا نجيب للفصل في قضايا لجنة الاسكندريه المخصوصه ولجنة طنطا واحكامها كأحكام المحكمه الشرعيه السالف ذكرها . وامر ايضاً عقيب ذلك بإلغاء الجيش المصري والاقتصار في المحاكمه على الضباط والقوّاد والرؤساء عموماً . وبتجديد جيش مصري اخر . وفي ١١ ذي الحجة (٢٤ اوكتوبر) اصدر عفواً عن الملازمين واليوزباشية (ولكنه

استثنى بعضاً منهم) الذين كانوا مشتركين في الثورة · وانعم بعدة نياشين مختلفة الدرجات على ٥٢ من ضباط الانكليز · وبعد ذلك بايام يسيرة اصدر امرًا عالياً (بعد مخابرات ومداولات مع قناصل الدول وغيرهم) بتاليف لجنة في ثغر الاسكندرية للنظر في طلبات الذين يستحقون التعويض عليهم بسبب ما تكبدوه من الخسائر سوآء كان بالحريق او بالنهب · وفي ٢٢ صفر سنة ١٣٠٠ (٢ يناير سنة ١٨٨٣) اصدر عفوا كريماً عن جميع اهالي القطر المصري الذين كانوا مشاركين للعرابيين في الثوره· وفي ٢٣ جمادى الثانيه (اول مايو) اصدر امرًا بتشكيل مجلس في كل مديرية من مديريات الوجهين البحري والقبلي · وبتشكيل مجلس شورى القوانين · وبتأليف الجمعيه العموميه ومجلس شورى الحكومه (وهذا الاخير لم تتحدّد وظائفهُ ولم تتبين اوجه اختصاصاته) · وفي ٨ شعبان (١٤ يونيو) اصدر امرهُ بإنشآء المحاكم الاهلية ولائحة ترتيبها ثم عقب ذلك صدور الامر الكريم بكلٍ من القانون المدني والتجاري والمرافعات وتحقيق الجنح والجنايات

وكان بعد ذلك بقليل قد ظهر الهواء الاصفر في ثغر دمياط ثم امتدّ الى غيرهِ من البلاد حتى انتشر فيها انتشارًا مريعاً وفتك باهاليها فتكاً ذريعاً فكان الامير المغفور لهُ يصدر اوامرهُ تباعاً سراعاً باخذ الوسائل التي تقي الناس من فتكاته وباتخاذ التحوطات الصحية وكان يزور المستشفيات ويخاطب المرضى بما طبع عليه — رحمهُ الله — من الانس والدعة غير مبالٍ بخطر ذلك الوبآء الفتّاك .فكانت المرضى تدعو له من صميم الافئدة

لقاء صنيعه الجميل

وفي ٢٠ محرم سنة ١٣٠١ (٢٠ نوفمبر سنة ١٨٨٣) اصدر امرًا بتعيين اعضاء مستديمين لمجلس شوري القوانين · وفي ٢١ منه (٢١ نوفمبر سنة ٨٣) صدر امره الكريم بإلغاء عوائد الدلالة التي كان جارياً تحصيلها على مصنوعات الاقمشة وعلى الاواني النحاسية والاسلحة والساعات وغير ذلك مما يباع بالمزاد العمومي · والغاء عوائد الارضية في مصر واسكندرية (التي كانت تؤخذ في ايام الاعياد والموالد الخ)

وفي ١٥ صفر صدر عفوه الكريم عن ضابطان الجيش وعدم حرمانهم من احتساب مدد خدماتهم فيما يتعلق بالمعاشات التي يستحقونها · وفي ١٧ منه أمر بتعيين الجنرل باكر باشا لاتخاذ الوسائل اللازمة لاطفاء نار الفتنة السودانية التي كانت مشتعلة وقتئذٍ بين بربر وسواكن وذلك بطرق المسالمة وحث مشائخ العربان للانقياد الى الحكومة المصريه · وفي ١٢ ربيع اول (٣١ دسمبر) اصدر اوامره العالية بافتتاح المحاكم الابتدائية الاهلية في كلٍ من مصر واسكندرية وبنها وطنطا والمنصوره ومحكمة للاستئناف في مصر وتعيين القضاة ورؤساء النيابة وغيرهم من رجال القضاء والنيابة العمومية · وفي اليوم نفسه تشرف هؤلاء بالمثول بين يديه الكريمتين (وفي مقدمتهم ناظر الحقانية) لحلف يمين الاخلاص امام سموّه فألقى عليهم خطبةً ابان فيها مواجب كل فريق منهم وحثهم على إخلاص الذمةّ في سيرهم · وفي ٢٠ ربيع الثاني أمر بإنشاء ادارة منظمة لمصالح الصحه تابعةً لنظارة الداخليه بقصد إصلاح شؤون الصحه العموميه في جميع البلاد المصريه · وفي ٢٨

جمادى الثانيه أمر بتشكيل اقلام قضايا للحكومه · وفي ٤ رجب أمر بتشكيل مجلس في كل مديرية للنظر في احوال الاشخاص المنسوب اليهم بانهم لصوص او قطّاع طرق الخ

وفي ٤ صفر سنة ١٣٠٢ زار سموه مطبعة بولاق الاميريه · وأمر بتهيئة عدّة مشروعات متعلقة باصلاحات عديدة داخلية · وفي السنة المذكورة أمر بالغاء عوائد الدخوليـة بناحيتي شلقان (قليوبية) والمناشي (الجيزة) وإنشاآء ترعة بجهة بني عامر (شرقية) بقصد ايصال مصرف ابي الاخضر بترعة المسلمية واتصال هذه ببحر مويس · وانشاء ترعة بجهة شبين القناطر لاتصال الترعة الشبينية بترعة الاسماعيليـة · وانشاء ترعة جديدة تصل ترعة فارسكور بالبحر الصغير · وفيها صدر الامر بتجديد وتوحيد العملة المصرية · (تاريخ الامر ١٦ نوفمبر سنة ١٨٨٥)

وفي اوائل عام ١٣٠٣ (٢٣ نوفمبر) اهدى الجناب السلطاني الاعظم الى المغفور لهُ فقيدنا العزيز نيشان الامتياز المرصّع (وهو اسمى درجات النياشين في السلطنة العثمانية) وكان لاهداء هذا النيشان وقعٌ حسنٌ للغاية في نفوس المصريين عموماً وقامت أُدباؤُهم وشعراآؤُهم ينظمون القصائد الغراء تهنئةً بذلك نذكر منها في هذا المقام ما علّقهُ الخاطر من نظم صديقنا الفاضل وهبي بك ناظر مدرسة حارة السقائين بمصر حيث قال

لخاطب العلياآء ربِّ الجميل ... يحسن اهداءُ الثناآء الجميل
والفخر في الدنيا لذي إمرةٍ ... يصدع بالحق فيشفي العليل
وليس مَن ساد سوى حازمٍ ... شاد عماد المجد في كل جيل

فخذ بسيف العزم نلت المنى	واحرص على العلياء ترو الغليل
واذكر ابا العباس من فضله	كالشمس يغني نورها عن دليل
فرع الملوك الصيد سامي الذرى	خير سليل لسليل الخليل
آلت اليه مصر فاستقبلت	كلّ الاماني وطاب المقيل
واحسن السيرة في اهلها	بحكمة عزّت ورأي اصيل
حتى غدت في عهده جنةً	تروى بفيض النيل من سلسبيل
واقتاد ما قد شاء من منية	انجازها ضرب من المستحيل
فاصبح الكل به يقتدي	ويهتدي الى سواء السبيل
وحسبه أنّ مليك الورى	متبوعه ظل الاله الظليل
رآهُ بالعهد وفيّاً ولم	يزل بما شاء الزعيم الكفيل
فاختصهُ بالامتياز الذي	بشأنه البطحاء اضحت تسيل
عنوانه النيشان وافى به	مندوبه رب الوفاء النبيل
فازّينت مصر لتشريفه	وكاد واديها سرورا يميل
فيا خديوي قد سما قدره	وامتاز بالمجد الاصيل الاثيل
لا زلت تجني من ثمار العلا	ما شئت من عزّ وخير جزيل
ما غرّدت ورقاء في روضة	ورنّحت غصن النقا بالهديل
وليهنكَ النيشان تاريخه	خُصّ الخديوي بامتياز جليل

سنة ١٨٨٥

وفي عام ١٣٠٣ (موافق عام ١٨٨٦) أصدر امرين كريمين الاول بانشاء ترعة على الشاطئ الايسر لفرع رشيد وذلك بجهة العطف (بحيره)

لري الاطيان الواقعة بين النيل وبحيرة ادكو · والثاني بانشآء هويس بجهة المنصوره · وفي السنة المذكوره (٢٧ فبراير) أَمر بتقسيط دفع الاموال الاميرية على اقساط عديده بحسب مواسم المحصولات رغبةً منهُ — طيب الله ثراه واكرم مثواه — في تسهيل دفعها على المزارع وقد جاء هذا التقسيط بالغاً منتهى الحكمة وباعثاً قوياً على رواج حال الفلاح اذ لم يَعُدْ لهُ سبيل لاستدانة الاموال بالربآء الفادح · وفي ١٥ مايو صرَّح لناظر المالية بجواز استبدال معاشات مستخدمي الحكومة بنقود او باطيان من املاك الميري الحرَّة والدومين والدائرة السنية · وقد عاد هذا المشروع بالفائدة الجزيله والعائدة الجليله على ارباب المعاشات ولم تُحْرَم الحكومة من اقتسام فوائده

وفي ١٤ يونيو من السنة المذكوره صدر الامر بجواز دفع البدليه العسكريه ممَّن يلتمسون اعفاءهم من خدمة الجهادية

وفي سنة ١٣٠٤ (موافقة سنة ١٨٨٧) صدر الامر المؤْذن باعفاء السكَّر البلدي (المصنوع بعمل التكرير المصري) من عوائد الدخولية (بتاريخ ١٢ لوليو) · وفي ١٥ اغسطوس صدر امرٌ عالٍ بعدم دفع الرسوم على البضائع التي تجتاز قنال السويس وتكون منقولةً بالسكك الحديدية ·

وفي سنة ١٣٠٥ (٢٤ دسمبر سنة ١٨٨٧) صدر الامر باعتبار زنة كل جواب يرسل بالبوسطة المصرية ١٥ غراماً بدلاً من ١٠ غرامات

في ٣٠ رمضان من هذه السنة استقالت وزارة دولتلو نوبار باشا فدعى الجناب العالي دولتلو رياض باشا الى تشكيل وزارة جديدة فقام دولته باجابة الطلب بعد ان كانت الناس بين الشك واليقين من ذلك فتعلَّقت

آمال الأمة بتلك الوزارة لعلم الشعب المصري بصدق وطنية حضرة المشير رياض باشا وثقته باخلاصه التام في خدمة البلاد والأمة · (والحق يقال ان دولة الباشا المشار اليه خدم البلاد المصرية في الثلاث سنين التي مكثها في وزارته الثانية خدمةً جليلةً لا ينساها كبيرٌ او صغيرٌ وكفى بالمشروعات العديدة المهمة التي تمت في عهد وزارته وعادت باجزل الفوائد برهاناً ساطعاً ودليلاً لامعاً على صدق هذا القول · وكلٌ عارف بفضل هذا الوزير الخطير يعلم علم اليقين باننا لم نأتِ القول تمويهاً ولم نصدع بغير الحق تصريحاً وتنويهاً)

وفي سنة ١٣٠٦ (٣١ اكتوبر سنة ١٨٨٨) تمّ الاتفاق بين الحكومة السنيه والخواجات سوارس وتصرّح لهم بتمديد وتوسيع نطاق خط حلوان· وفي ١٩ ديسمبر صدر الامر بتشكيل لجنة استشاريه بنظارة المعارف تؤلف من اهل العلم والفضل للنظر في مشروعات القوانين واللوائح المختصة بالتعليم وغير ذلك مما من شأنه ان يحسِّن حالة المدارس ويسهِّل التعليم · وفي السنة المذكوره (٢٢ ديسمبر) صدر الامر بالغاء عوائد الدخولية والقبانه والذبيح والحمله من اكثر بلاد الوجهين البحري والقبلي · وفي ٣١ منه (ديسمبر) اصدر امرًا باعفاء عمد البلاد ومشائخها واولادهم من الخدمة العسكريه · وفي ٢٥ مارس سنة ١٨٨٩ سمح سموه بان يكون سمو البرنس عباس باشا (وليُّ العهد وقتئذٍ والآن وليُّ نعمتنا) رئيساً للجمعية الجغرافيه الخديويه إعلاءً لشأن هذه الجمعيه وتنشيطاً للقائمين باعبائها · وفي ٢٧ افريل سنة ١٨٨٩ صرّح سموهُ بانشاء الشركة التوفيقيه المصريه

للملاحه والتجاره في النيل واظهر ارتياحهُ الى هـذا المشروع خصوصاً وان مؤسسيه من الوطنيين · وفي اول مايو صدر الامر بتخصيص مبلغ ٢٥٠٠ جنيه سنوياً لاصلاح شأن الكتبخانه الخديويه · وفي ٢٩ يونيو صدرت اوامرهُ العاليه بتعميم المحاكم الاهليه في الوجه القبلي وتعيين القضاة ونوّاب القضاة ورجال النيابه وغيرهم لسير اعمال هذه المحاكم

وفي سنة ١٣٠٧ (١٩ دسمبر سنة ١٨٨٩) صدر الامر بالغاء العونـة (السخرة) التي كانت اكبر ضريبة على المصريين يرزح ابناؤهم تحت احمالها واثقالها كما رزحت تحتها اباؤهم واجدادهم من قبلهم واجداد اجدادهم وذلك من عهد الفراعنة الى هذا التاريخ

وفي السنة المذكورة صدر الامر بتشكيل المجلس البلدي بثغر الاسكندرية (تاريخ الامر ٦ يناير سنة ١٨٩٠) · وفي ٢٧ منه تقرّر جعل التخليص على المراسلات التي تتبادل في داخلية القطر بواسطة البوسطة ٥ مليمات (او نصف قرش صاغ) بدلاً من ١٠ مليمات (او قرش واحد صاغ) · وفي ٢٦ فبراير من سنة ١٨٩٠ المذكوره صدر الامر بانشاء السكك الزراعية في بلاد القطر (وقد جاءت بفوائد جليلة جدًّا أخصها تأمين المارّة وتسهيل النقل ونشر الامن وغير ذلك ممَّا لا يحصى ولا يحصر) وفي ٢٦ مارس صدر الأمر بتعداد النخيل مرة في كل ٥ سنين منعاً للغبن ودفعاً للغدر · وفي ٩ افريل صدر الامر بانشاء الخط الحديدي الكائن بين اسيوط وجرجا · وفي ٧ يونيو صدر الامر بتحويل الدين الممتاز · وفي ١٤ منه بانشاء كبري امبابه · وفي ١٨ منه بجعل جميع المكاتب الاهلية تحت سلطـة ومناظرة

نظارة المعارف · وفي ٢٥ منه صدر الامر بانشاء خط حديدي يوصل محطة العاصمة بشاطي النيل الايسر مارًّا بكبري انبابه · وفي ١٠ لوليو صدر الامر بجعل تلقيح الجدري اجبارياً على جميع ساكني مصر

وفي سنة ١٣٠٨ صدر امر بتاريخ ١٧ دسمبر سنة ١٨٩٠ بتخفيض قيمة تذاكر البوسطة بداخليــة القطر الى ٣ مليات بدلاً عن ٥ · وصدر الامر ايضاً باعفاء تلامذة المدرسة الزراعية من الخدمة العسكرية

وفي سنة ١٣٠٨ صدر امر عالٍ بتاريخ ٣ يناير سنة ١٨٩١ يقضي بتسوية الديون المطلوبة من الاهالي للحكومة وترك ما كان منها في ذمة العديمي الاقتدار على السداد · وفي ٢٩ منه تخفضت عوائد الذبح من ٩ في المائة الى ٨ فقط · وفي ٢٩ مارس صدر الامر بانشاء سكة حديدية بين السيدة زينب وعين صيره · وفي ٤ يونيو صدر الامر باعفاء حلاقي الصحة من الخدمة العسكرية · وفي ٢١ منه تقرّر انشاء هويس على بحر القاصد (غربية) وتوسيع عدة ترع بمديرية الشرقية

وفي سنة ١٣٠٩ صدر امر بتاريخ ١٧ نوفمبر سنة ١٨٩١ بانشاء فرع حديدي بين الفيوم وسنورس · وفي ١٨ منهُ أمر بالغاء رسوم الرخص التي كانت تؤخذ من الاطباء (بمن فيهم من البيطريين وحكماء الاسنان) والصيدلية وغيرهم كالقوابل · وفي ١٢ دسمبر صدر الامر بتخفيض اجرة المراسلات التي ترسل في البوسطة من المدينة واليها الى ٣ مليات بدلاً من ٥

وفي ١٥ منه عقدت الجمعية العمومية جلستها السنوية وقد شرّف المقـام

المغفور لهُ ساكن الجنان عزيزنا الراحل وبعد ان تمثل لدى جنابه العالي جميع الاعضاء وحلفوا اليمين بين يديه نطق سموه بخطابٍ انيق استخلص منهُ الى الكلام على مشروع الغاء كسور الضرائب واختتمهُ بما زاد الاعضاء نشاطاً على نشاط واجتهادًا على اجتهاد · وفي ١٩ منه صدر الامر باعفاء محلات السكن من دفع عوائد الاملاك متى كانت قيمة ايجارها السنوي لا تزيد عن ٥٠٠ غرش صاغ حتى لو كانت غير مأهولة باصحابها

هذه هي لُمَعٌ من آثار فقيدنا العزيز قد اوردناها بحسب مقتضيات المقام وهي كثيرةٌ لا تدخل تحت حصرٍ ووفيرةٌ لا تقبل عدًّا واحصاء · ونزيد على ما مرَّ منا من البيان ان دول اوروبا عموماً قد اهدتهُ نياشين الافتخار من الدرجات الساميه والطبقات العاليه اعترافاً بعلو فضله وإقرارًا بسمو نبله

وقد اكتفينا بذكر ما وصل اليهِ علمنا القاصر من الاعمال والمشروعات التي تمت في عهد ولاية فقيدنا العزيز مأخوذًا بعضهُ عن مصادر رسمية وبعضهُ عن مصادر شبيهة بالرسمية وبعضهُ عن دليل وادي النيل لحضرة صديقنا الغيور المجتهد ابراهيم افندي عبد المسيح (وهو الكتاب الوحيد الذي نُسج في لغتنا العربية على منوال المرشد الامين)

ونقول — على الجمله — ان فقيدنا — برَّد الله ضريحه بصيّب الغفران وروَّح روحهُ بطيّب الرضوان — كان لهُ من بواهر الاعمال · وزواهر الافعال ما لا يبلغ الكاتب حدَّه · ولا يستطيع الحاسب عدَّه · ومن محاسن الخلال · واحاسن الخصال · ما لا يحصر ولا يحصى · ولا يستوفى

ولا يستقصى*ومن صفات الكمال . وسمات الجلال . مايعذر مثيله . و يعسر تمثيله*
ومن طهارة الاعراق . ودماثة الاخلاق . مايقصر دونهُ البيان . و يعجز عن وصفهِ
اللسان*ومن رقيق المجانسه . ولطيف المؤآنسه ما يسبي العقول . و ينسي المعقول*
وغاية المقال . في هذا المجال . انهُ كان رحيماً بالأُمة رؤوفا . كريماً على
الرعية عطوفاً . شفيقاً شفوقا . صديقاً صدوقاً . حميد السجايا . مجيد المزايا .
كريم الطويه . سليم النيَّه . عزيز الجانب . غزير المواهب * محباً لذوي قرابتهِ
وعائلته . رحيماً بخاصته وحاشيته . فيوالي اولئك بصلة الارحام . ويولي
هؤلآء بوصلة الإِنعام . فاحلوهُ محل الارواح من الابدان . وانزلوهُ منزلة
القلب من الانسان . فكانوا على محبته مجمعين . وفي ظل حمايتهِ راتعين .
وفي الدعآء بامداد ايامه مخلصين . الى ان نفذ القضآء المبرم . وقضى الامر
المحتم . فلم يمحو الدعآء ما كان مسطوراً . ولم يدفع الولاء قدراً مقدوراً .
فالى الله ذي الجلال . نرفع اكفَّ الابتهال . باستهمآء غيث الرضوان .
واستنزال سحب الغفران . على روحهِ الطيبة النقيه . ونفسهِ الذكية النقية .

آمين آمين لا ارضى بواحدةٍ حتى يقول جميع الناس آمينا

ونسالهُ وهو اكرم مسئول . واعظم مأْمول . ان يكتب لآله الاجر
الجزيل . ويلهمهم نعمة الصبر الجميل

الصبرُ لفظٌ وجهدُ النفسِ معناهُ والموتُ حتمٌ وأَمرُ الله أَجراهُ
والمرء مرأَى الأَسى والحزن من قدمٍ والحزن في داخل الأَحشآء مأْواهُ
والعمرُ طيف خيالٍ لا ثبات لهُ والدهرُ مثل سرابٍ غرَّ مراهُ
والدارُ دارُ فنآء لا بقآء بها والملك للهِ مبداهُ وعقباهُ

فليعلم المرء ان الموت غايته وليعمل الخير كي يحيا بذكراه
وليترك الامر للأقدار فهي كما شاء المهيمن جاءت طبق مرضاه
وليطرح اللومَ ان اللوم منقصةٌ فما سمعنا بعبدٍ لامَ مولاه
وليصحب الصبر فيما جاء من كدرٍ فالكون شِيدَ على الأكدار مبناه
فكم ترى العين في روض الشباب فتى أمسى واصبح ترب الارض مثواه
مثل الخديوي الذي رام الثرى عجلاً مثل الخديوي الذي لا كان منعاه
مثل الخديوي الذي رقّتْ شمائلهُ مثل الخديوي الذي راقت سجاياه
مثل الامير الذي أغنت مكارمه مثل الامير الذي عمّتْ عطاياه
مثل المليك الذي ذاعت مفاخره مثل المليك الذي فاقت مزاياه
مثل العزيز الذي سارت محامده مثل العزيز الذي سادت رعاياه
مثل الفقيد الذي شاعت مآثره مثل الفقيد الذي طابت نواياه
فأيُّ عينٍ وما سالت مدامعها وأيُّ قلبٍ وما ذابت سويداه
وأيُّ نفسٍ تباهت بعد مظعنهِ وأيُّ روحٍ أُريحت بعد مرماه
قد كان مظهر فضلٍ لا خفاء له فضلّت الناس حين القبر اخفاه
وكان كعبة جودٍ فاز قاصدها وكان يهوى العلا والناس تهواه
وكان ركن النهى والعدل عادتهُ وإن يكن فيه ما يخشاهُ يرضاه
لا كان يوم فقدناهُ ولا طلعت فيهِ الشموس ولا غابت ثناياه
لقد عرفناهُ بدرًا ما لهُ شبهٌ في اللفظ فرد وكل الناس معناه
لا زال منهل الغفران يغمرهُ ما قيل من لهفٍ لا كان مبكاه
ومـا رثاهُ (عزيز) قائلاً أسفاً الصبر لفظٌ وجهد النفس معناه

نهاية العزآء وبداية الهنآء

قضت آية الحكمة الربانية الزاهرة في عالم الكائنات · وسنَّة القدرة الصمدانية الباهرة في هيئة المجتمعات · ان يكون الانسان واقفاً في مشهد احوالٍ تتنابهُ من جهةٍ فواعل العنآء · وتتنازعهُ من أُخرى عوامل الرخآء · فيسلّم الأَمر الى الله في الضرآء · ويحمدهُ جلَّ شأْنهُ في السرآء · فسبحانهُ من الهٍ جلَّت قدرتهُ · وتعالت حكمته · لا اله إلاَّ هو تبارك وتعالى * يقضي بالأَمر ثم يعقبهُ بضدّه · فيمحو الثاني ما أَثبت الاوَّل · وكلٌّ بالغٌ ذروة حدّه · وعليهِ جلَّ وعلا في الحالين المعوَّل

قضى الله بأَن جلا ظُلَمَ الأَتراحِ · بلألآء سراج الافراح · ومحا ما ارتسم على صفحات القلوب من العزآء · باستقبال وفود البِشر والهنآء · حيث قيَّض لنا بمحض افضاله · وفيض نواله · مَن أَخذ بمقاليد هذه الديار · واستوى على عرش المهابة والاقتدار · مشروعةً وراثتهُ بمقتضى الفرمانات الشاهانية العالية · في الحقبة الحاليَّة الحاليه · أَلا وهو الدستور الاكرم · والخديوي الافخم · مصدر آمال العائذ · ومنتهى رحال اللائذ · ومظهر كنوز الاماني

عباس باشا الثاني

وقد تهلَّلت مصر بتشريف خديويها الجليل · واميرها النبيل · وطاب بتشريفه خاطرها · وقرَّ به ناظرها · وعاد اليها الانتعاش · بعد اضطراب

الجاش · وهدأ منها الروع · بعد ذلك الجزوع · فحمدت الله على السرّآء · كما سلّمت الامر اليهِ تعالى في الضرّآء · وأنشدت بلسان الحال · قول مَن قال

هنآءٌ محا ذاك العزآء المقدّما فما عبس المحزون حتى تبسّما

وقد قابل المصريون اميرهم الكريم · وخديويهم الفخيم · بانشراح الصدور · وابتسام الثغور · ووجهوا اليهِ نواظرهم · وحوّموا حواليه خواطرهم · ولا عجب فهو الامير الذي تعلّقت به الآمال · في الحال والاستقبال ·

ذو قوّةٍ وذو شبابٍ مُقْتَبَلْ لا جَزَعَ اليوم على حسن الامل

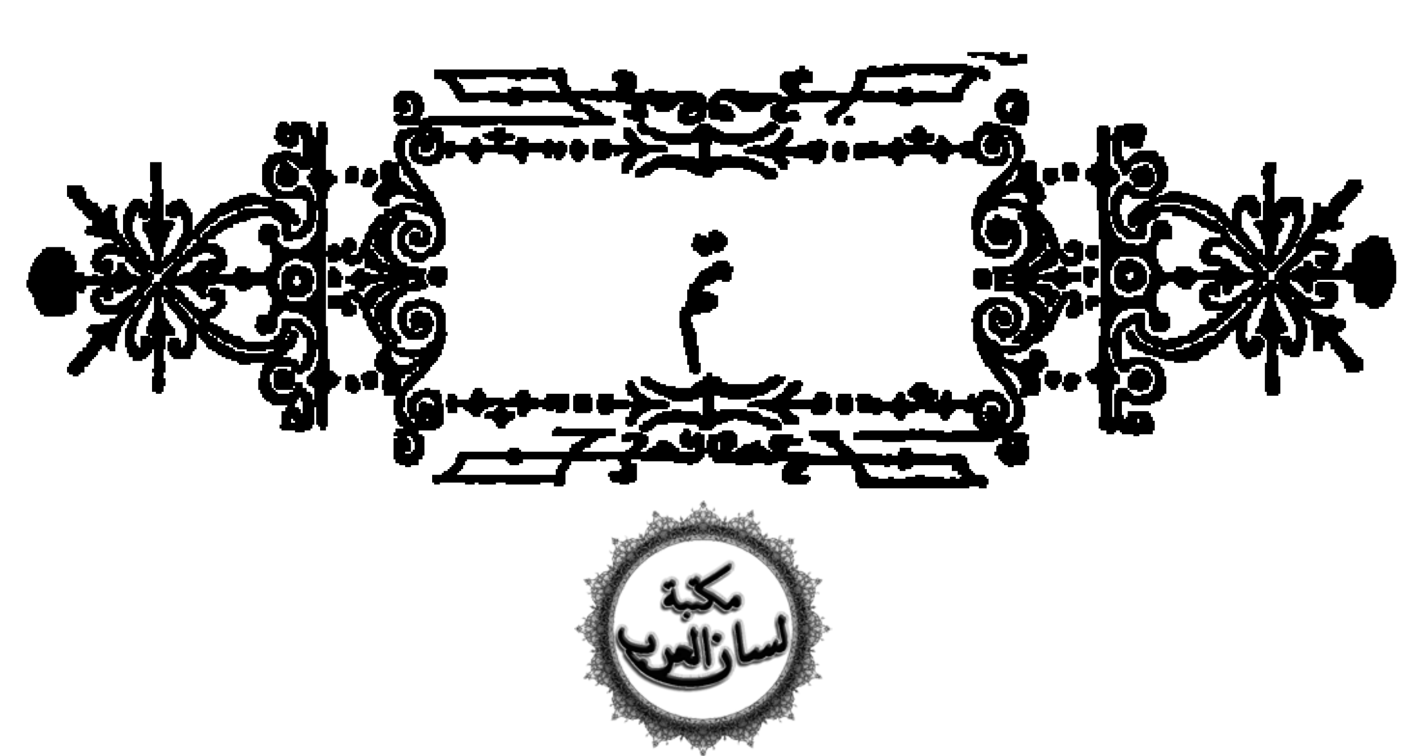
وأنّى يكون جزعٌ وقد خصّ الله الامير الخطير باجلّ الصفات · واوجد فيه أطيب النيات · وميزهُ بحسن العقل · وزانهُ بالفضل والنبل · واختصهُ بقوّةٍ من غير عنف · ولينٍ من غير ضعف · فيا لله ما اكرم · ويا لله ما اجمل · ويا لله ما اعظم · ويا لله ما اكمل

ومَن كانت مزاياهُ ما سردنا · وسجاياهُ ما أوردنا · فكيف لا يكون نجاح البلاد على يديهِ · وإسعاد العباد مضموناً لديهِ · وكيف لا تتحد القلوب على وفائهِ · وتعقد خناصر الشعوب على ولائهِ · بل كيف لا تخلص لهُ النية والطوية · وتخصهُ بصدق العبودية · وقد وهبهُ الله همة الشباب · ورحمة الكهول · وحكمة الصواب · وحوزة المعقول · فنسأل الله وهو اكرم مسؤول ان يلهمه ما فيه الخير والنجاح · ويهد في سبيله طرق الفلاح · وان يديمه لنا بدرًا ساطع النور · على ممر الايام وتوالي الدهور

ولّى الأسى وتوالى الأُنس والطرَبُ وبين هذين قام العذرُ والعجبُ

امران مرٌّ وحلوٌ لا نظير لهُ ففيهما للرعايا الصابُ والضربُ
وأَخلفَ الليثَ شبلٌ عزَّ مقدمهُ واستبشرت مصر لما جآءها الطلبُ
عبَّاسُ شرَّفها فارتاح خاطرها وسوف ان شآء ربي تنجلي الكُرَب
وعن قريبٍ ترى الاقطار في سعةٍ ويذهب البؤس والبأسآء والوصبُ
هو الامير الذي جلَّت فضائلهُ وقارنتهُ بدورُ المجد والشهُبُ
ماضي العزيمة فعلاً ليس يدركهُ فيما يهمُّ بهِ عذرٌ ولا تعبُ
فانْ أطال العدا في القول عن غرضٍ فان دعواهمُ عند الملا كذبُ
فليصمتوا ان ارادوا زاد راحلةٍ اولا فانَّ زمان الهزم مقتربُ
فلتهنئي مصرهُ لا تذكري ترحاً فكلُّ شيءٍ لهُ فيما نرى سببُ
ولتنشدي من «عزيز» قولهُ أَبدًا ولَّى الأسى وتوالى الأُنس والطرَبُ

﴿ عزيز زند ﴾





هذه السلسلة تضم :

١ - فتح العرب لمصر
٢ - تاريخ مصر إلى الفتح العثمانى
٣ - الجيش المصرى البرى والبحرى فى عهد محمد على
٤ - تاريخ مصر من أقدم العصور إلى الفتح الفارسى
٥ - تاريخ مصر من عهد المماليك إلى نهاية حكم اسماعيل
٦ - تاريخ مصر من الفتح العثمانى الى قبيل الوقت الحاضر
٧ - ذكرى البطل الفاتح ابراهيم باشا
٨ - تاريخ مصر فى عهد الخديو اسماعيل باشا (مجلدان)
١٠ - فتوح مصر وأخبارها
١١ - تاريخ مصر الحديث مع فذلكة فى تاريخ مصر القديم
١٢ - قوانين الدواوين
١٣ - تاريخ مصر من محمد على إلى العصر الحديث
١٤ - الحكم المصرى فى الشام
١٥ - تاريخ الخديوى محمد باشا توفيق
١٦ - آثار الزعيم سعد زغلول

مكتبة مدبولى MADBOULI BOOKSHOP
٦ ميدان طلعت حرب - القاهرة - ت : ٧٥٦٤٢١
6 Talat Harb SQ. Tel. : 756421